
كتابي
مذكرات كيوبيد
وكتب أخرى
حلمي مراد
٨ كتب
٨ قروش

مذكرات كيوبيد

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية) الناشر « كتب للجميع »
اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومأساته) الناشر « البـــلاغ »
قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج الناشر « روايات الهلال »
انا كارنينا لتولستوى الناشر « روايات الهلال »
رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن الناشر « روايات الهلال »
ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز الناشر « روايات الهلال »
ابنة البخيل (أوجينى جرانديه) لبلزاك الناشر « روايات الهلال »
الذئب الاغبر (مصطفى كمال) الناشر « كتاب الهلال »
« كتابى » الاول : « خطايا الحب » وكتب اخرى مارس سنة ١٩٥٢
« كتابى » الثانى : « قلب عـذراء » وكتب اخرى ابريل سنة ١٩٥٢
« كتابى » الثالث : «الهاربة من الجنة» وكتب اخرى مايو سنة ١٩٥٢
« كتابى » الرابع : « حواء الجديدة » وكتب اخرى يونيو سنة ١٩٥٢
« كتابى » الخامس : «احدب نوتردام» وكتب اخرى يوليو سنة ١٩٥٢
« كتابى » السادس : «جريمة حب» وكتب اخرى اغسطس سنة ١٩٥٢
« كتابى » السابع : «عشيقة نابليون» وكتب اخرى سبتمبر سنة ١٩٥٢

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة ـ تليفون ٦٥٦٠٨

الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان: ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الثامن ـ اكتوبر ١٩٥٢

رمز الكتاب : مصباح الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية


مذكرات كيوبيد
قصة مصرية
للمحرر

٣٠ نوفمبر

فكرت ان اقضى فترة من الشتاء فى الاقصر . . . سأسافر اليها بالقطار ، فانى لا احب الطائرات . انها تصل الى غايتها سريعا ، قبل ان تتاح لى فرصة تمهيد الجو المناسب لايقاع الركاب فى شراكى ، وتسهيل التعارف بينهم . . !

واكثر البشر يحسبون ان مهمتى سهلة ، وانه ليس على الا ان اختار كلا من هدفى ـ الرجل والمرأة ـ وارمى كلاهما بسهمى ، فتتم المعجزة : يقع كل فى هوى صاحبه ، بسحر ساحر !

يا للاغبياء .. انهم لا يعلمون ان التعب والكد فى الحياة فرض علينا ، نحن الآلهة ، كما عليهم .. واننا نشقى مثلهم كى نحصل على النتائج التى ترضى رؤساءنا .. فانا ـ مثلا ـ مطالب بأن اقدم كل شهر حسابا مفصلا بالارقام الى امى ـ افروديت ـ فاذا وجدت فيه عجزا عاقبتنى بزيادة عدد ((القلوب البشرية)) المطلوب منى اصطيادها بسهامى فى الشهر التالى ، وهكذا ..!

واحيانا يحتدم النزاع بيننا وتثور امى فى وجهى ، فتذكرنى بقصة ما تدعوه «عارى» الاكبر .. يوم ارسلتنى لايقاع الحورية الفاتنة «سايك» فى هوى رجل وضيع ، انتقاما منها ـ لتنافس بينهما على عرش الجمال ـ فكان ان وقعت انا فى هوى «سايك» ، وافسدت بذلك انتقام أمى افروديت !

لكننى انا بدورى لا اترك فرصة الا واذكر امى بعارها هى .. يوم اثار حسنها الباهر غيرة عجائز الالهة فى جبل «الاوليمب» فاوغرن عليها صدر كبيرهن «زيوس» حتى اغرينه

بان يصدر عليها حكمه الصارم بان تصير زوجة للحداد ذى الحاجبين الغزيرين «فولكان» ، اقبح الالهة شكلا واقلهم شأنا .. فى الوقت الذى كان فيه قلبها قد تعلـــق باله الحرب الجبار «مارس» ، فما كان منها الا ان تحـدت حكم الزعيم زيـوس وصارت تلتقى بعشيقها كل ليلة تحت جنح الظلام ، ثم يفترقان قبل مطلع النهار ، قبل ان تفتح «اورورا» الهة الفجر بوابتها ليمر موكب «ابوللو» ، اله الشمس ، فى عربته الذهبية ! ورغم ان مارس قد عين حارسا خاصا مهمته ان ينذرهما عند اقتراب موكب اله الشمس ،تجنبا لوقوع بصره عليهما ، فان الحارس أغفى ذات ليلة .. فوقع المحظور ! ورأى ابوللو العاشقين فى خلوتهما المحرمة، فسارع بنقل النبأ الى الزوج المخدوع «فولكان»، الذى هاج وماج والقى عليهما شبكة ضخمة من سلاسل الصلب ثم تركهما هكذا «فى القفص» حتى تفرج عليهمـا الالهة جميعا وضحكوا ساخرين ، وعندئذ اطلق سراحهما شامتا ..

وكنت انا ثمرة هذا العشق الحرام !

ولم اكد اشب عن الطوق حتى سلمتنى امى قوسا وجعبة مملوءة بالسهام ، وعهدت الى بمهمتى الخالدة الشاقة : ان ابذر الحب فى قلوب البشر !

ويا لها من مهمة ! .. ان اسلحتى ليست سحرية كما يخيل للبعض ، بل انها تخيب اذا لم احسن التمهيد والاختيار .. ولكى اطعن فى الصميم يجب ان اكون سريع الخاطر نهازا للفرص ، ويجب ان امهد للامر بدراسة طبائع الاشخاص الذين توقعهم الصدفة فى طريقى ، فاشحذ حواسى كلها كى اسمع وارى وارقب عن كثب .. حتى اعثر على ضالتى وأقف على موطن ضعفها فأصميها بسهمى النافذ !

وويلى اذا اصطدم السهم بقلب حجرى ، فانكسر ..

يومئذ يكون حسابى مع امى عسيرا .. وعقابى مريرا !

٢٣ ديسمبر

اف .. متى ينقضى هذا الشتاء الثقيل ؟ .. ان زمهريره يقتل براعم الحب التى ابذرها فى القلوب ، فتجف قبل ان تتفتح ! والناس فى هذا الفصل تتبلد مشاعرهم فلا يغدو لهم هم غير ان يتدثروا بثياب ثقيلة ويلوذوا ببيوتهم ، ليقرأوا كتابا او يناموا مبكرين ! .. **الشوارع مقفرة ، والحدائق مهجورة ، والسهرات قليلة ، والزيارات نادرة . فكيف اعمل برغم كل هذه القيود ، واين التقى بالناس فى جو يناسب اغراضى ومهمتى ؟**

ان حسابى الختامى قد تدهور فى الشهر المنصرم ، وقائمة جرحاى قد هبطت الى النصف .. !

لامفر من السفر الى جهة اكثر دفئا ، ينفسح فيها أمامى المجال ..

الاقصر هى ضالتى !

٢٦ ديسمبر

حزمت اليوم امتعتى وركبت القطار الى .. الاقصر !

وعندما حان وقت العشاء تسللت الى عربة الاكل .. كانت مزدحمة بالطاعمين ، من الجنسين ، فأجلت فيهم عينى الفاحصة ، حتى وقعت على شاب وحيد منطو على نفسه فى ركن العربة ، يختم عشاءه بقدح من القهوة .. وقد بسط امامه على المنضدة الصغيرة كتابا وجعل يقرأ ، فى هدوء واستغراق ، دون ان يجيل بصره فى وجوه المسافرين او .. المسافرات !

فكرت ان ابحث له عن انيسة تبدد وحشته ، فانا لا احب ان ارى الشباب بلا رفيق ، واكره له العزلة والانطواء .. والحرمان ! انها تغرس فيه بذور الخمول واليأس والعجز عن مواجهة الحياة ..

ووقع بصرى فى الركن المواجه له على زوجين : امرأة ورجل .. شابة وكهل .. حسناء ومسخ ، فرثيت لحالها معه . انا لا انكر على الشيخ حقه فى ان يستمتع بالشباب الساحر .. لكنى لا أرى بأسا فى ان يكون له فى امرأته شريك ! ومن واجبه ان يوطن نفسه على ذلك من البداية، ان كان فطنا !

واستخفتنى الفرحة حين لمحت امام المرأة على المنضدة كتابا ! .. اذن فهى والشاب شريكان فى ميل واحد ، والتفاهم بينهما لن يكون عسيرا .. سوف يجدان فى محتويات كتابيهما مادة لا تنفد للاحاديث ، التى هى مفتاح كل شىء !

وبغير ان يلحظنى احد اخرجت من جعبتى سهمين ، وشددت قوسى ، ورميت كليهما بسهم .. فرفعت وخزة النصل بصريهما عن الكتابين ، والتقت نظراتهما فى الحال !

وحين طالت النظرة ، وشاركها الفم بابتسامة خفيفة ، ادركت ان سهامى قد اصابت منهما القلب ! .. فآثرت ان انصرف الى مخدعى ، مطمئنا .. فمتى تعلق القلب لم يعدم العقل حيلة ، واللسان وسيلة .. للتعارف !

غدا .. اعرف النتيجة !

منتصف الليل

بعد ان غادرت عربة الطعام سرت فى ممر عربة النوم ابحث لنفسى عن مخدع مناسب ، اقضى فيه ليلتى ..

وخطر لى ان اجرب حظى فادخل مثلا خامس مخدع الى اليمين ، قبل ان اتعرف الى شاغليه !

وخدمتنى المصادفة ، فوجدت فى المخدع .. آية من آيات الجمال ، لعلها تفوق فى جمالها امى ! وبعد ان اختبأت فى ركن ، اوصدت الفتاة الباب وشرعت تبدل ثيابها .. فوقع بصرى على جسد مرمرى فاتن ، سرعان ما انسدل عليه قميص فاخر من

«الساتان» الابيض ادركت فورا انه قميص عروس ، ترتديه لاول مرة !

اذن فهى فى طريقها لتقضى فى الاقصر شهر العسل .. ما اسعدها !

ولكن قبل ان افرغ من هذا الخاطر رفعت بصرى من جسمها الى وجهها ، فاذا فى عينيها شرود حزين ، واطياف دموع ! .. ولمحتها تتناول من داخل صدرها ورقة صغيرة مطوية، ثم تنشرها بين اناملها وتقرأ سطورها بشفتين راعشتين!

واستبد بى فضول قوى الى الوقوف على سرها .. فوثبت فوق كتفيها ، وشرعت اقرأ معها : كانت السطور تحوى رسالة تفطر القلب من حبيبها الذى قهرتها الظروف القاسية على الزواج من غيره .. يواسيها فيها ويناشدها الصبر ، ويتمنى لها الهناء والسلوان ، بعبارات باكية دامية !

تساقطت دموع العروس على الورقة ، فطمست بعض سطورها .. ثم كأنما تنبهت الفتاة لنفسها فمسحت اهدابها وخديها بمنديل مطرز ، وأخفت الورقة فى حقيبتها .. ثم رسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة وفتحت الباب ... فدخل منه ، يتعثر فى خطاه ، رجل فى ثياب النوم ، اقرب الى الشباب منه الى الكهولة ، يبدو على محياه النبل الاصيل والخلق الكريم

.. اقترب منها ، لكنها اشاحت عنه ، بحركة مهذبة .. ودلفت الى فراشها ، وتدثرت بغطائها .. فمشى هو فى هدوء الصابر الى المشجب فخلع عليه «الروب» وصعد الى الفراش العلوى .. وحين استوى فوقه وسحب الغطاء على جسمه اطلق تنهدة مكتومة ، بلا صوت .. ثم اطفأ النور !

ادركت موقف العروسين ، فرق قلبى للزوج النبيل ، الذى لم يجن ذنبا .. والذى جهل كل شىء عن غرام عروسه

السابق ! .. ورق فى الوقت نفسه قلبى على الفتاة التعسة التى ارغمتها الظروف الظالمة ـ التى تدعى اسرتها ، والمجتمع ـ على الزواج من رجل غير الذى تحبه ! .. فصممت ان افعل شيئا لاسعاد الضحيتين اللتين اوقعتهما المصادفة فى طريقى .. ولبثت اترقب الفرصة المناسبة

وطال انتظارى ساعات ... واخيرا شعرت بالعروس تتقلب فى فراشها الاسفل ، وتتأوه برغمها ، كانها تشكو من مغص ! .. وللحال اضىء النور ووثب الزوج على قدميه الى جوارها ، يسألها عما بها والحنان يبلل صوته ، ويفيض من عينيـــــه ..

ووجدت فى ذلك فرصتى ، فشددت قـوسى ورميت العروس بسهم .. ومن فورها لانت نظراتها وهى تتناول من يده كأس «الكونياك» وتشكره بكلمة رقيقة ..

وبعد دقائق تركتهما متعانقين !

ما اسعدنى بهذه النتيجة .. انها كفيلة بأن تمحو الف سيئة وسيئة من سيئاتى !

٢٧ ديسمبر

لم اكد اطأ بقدمى ارض «الاقصر» حتى ذكرتنى آثار اجدادنا بنصر من اروع انتصاراتي القديمة واعظم امجـادى الخالدة على الزمن : غرام كليوباترة ومارك انطونى . لقد كنت انا خالقه .. فأين منه غرام هذه الايام ، الذى يغلب عليه طابع العصر : السرعة ،والتقلب، وعبادة المادة !؟

المادة هى اليوم عدوى الاول والاكبر .. هى التى تبذر فى قلوب شباب هذا الجيل بذور الكفران بى ، والتحدى لى .. حتى لم يعد يخضع لسلطانى اليوم عشر معشار من يخضعون لسلطان المنفعة واغراء المال .. صار الفتى يبحث عن الزوجة

الغنية، والفتاة تزن اقدار طلابها حسب أفضلية طراز «العربية»! وكم انكسرت منى سهام فى قلوب رجال ونساء فضلوا زواج المصلحة ، والنسب الذى يقود الى الترقية ، او الارث ، او المجد .. على زواج الحـــب ، المبنى على وفاق الارواح والاجساد ؟!

انها حرب قاسية بينى وبين المادة ...

لكننى سأنتصر !

وحسبى مشجعا على الكفاح ان اذكر الملك الامبراطور الذى تنازل عن عرشه كى يحتفظ بالمراة التى احب ... ولم يندم حتى الآن !

انه داعيتى الاكبر !

٢٨ ديسمبر

خرجت فى الضحى الى «الاقصر القديمة» متنكرا ، خشية ان يرجمنى احفاد الفراعنة بالاحجار .. فقد انبأنى احدهم بانهم يكرهوننى ، وانهم قد تنكروا لتقاليد جدتهم الملكة العاشقة .. لكننى عدت من جولتى مقتنعا بخطأ صاحبى وسطحيـــة نظرته . كل ما فى الامر ان الاقصريين المحافظين ـ كأكثر اهل الصعيد ـ ينكروننى فى العلن .. اما فى السر فهم من اتباعى المخلصين، شأنهم فى هذا الرياء الاجتماعى شأن القاهريين فى القرن الماضى ، قبل ان يرفع عن وجوه نسائهم الحجاب ، وعن قلوبهم النقاب .. حين كانت «مشربيات» الدور المحافظة تنوء بمـــا تكتم وتصون من اسرار وفضائح جريحاتى وجرحاى !.. اليوم أيضا تعرفت فى الاقصر القديمة على عدد من تابعاتى المخلصات، بعد ان كادت ثيابهن المحتشمة ووقارهن الصارم تخدعنى عن حقيقتهن !

بل ان دليلى قادنى فى ختام جولتى الى حيث ارانى صرحا

ضخما من صروحي ، قل فى القاهرة ذاتها نظيره ، هــو قصر منيف شادته قصة حب جارف بــين نبيلة اجنبية وشاب اقصرى !

وقبل ان اترك الاقصر القديمة الى الجديدة ـ التى هى قطعة من طنطا او اسيوط ـ لذ لى ان أترك ورائى اثرا .. لمحت فى احد دكاكين العاديات المتناثرة خلف معبد الاقصر ، عملاقا اسمر ، فى سمرة وفتوة اجداده الفراعين ، يرتدى جلبابا انيقا هفهافا من «السكروتة» فوقه سترة من الصوف ، وقد ربض خلف «فترينة» مليئة بالتحف الثمينة و«الجعارين» الاثرية الخضراء .. وفى يده «منشة» من الشعر ذات مقبض من العاج المنحوت على هيئة راس نفرتيتى الجميلة

ومرت «سائحة» مصرية من حســـان الاسكندرية ، فتوقفت عنده تسأله ان يريها ما عنده لتنتقى هدايا لصديقاتها وتذكارات لرحلتها الى «مجاهل الصعيد» .. واثار التعبير اللاذع نخوة الشاب الفخور بموطنه فبادلها سخرية بسخرية ، ونكتة بنكتة .. وحين خفضت رأسها لتتأمل مجموعته الاثرية امده مزاحهما بالجرأة على ان يختلس نظرات الى صدرها الذى انحسر عنه ثوبها .. اما هى ، فقد ادركت من نظـرتها التى ارتفعت لتستقر فى عينيه السوداوين اللامعتين ان سخونتهما قد اعجبتها .. فلم يبق الا ان أحيل الاعجاب العابر الى حب مكين ، يهزم جميع الاعتبارات المثبطة ويزيل ارسخ الحوائل !

ورشقتهما بسهمين ..

ثم مضيت ، واثقا من النتيجة .. فانى استطيع ان ارى فى لوح الغيب ما سوف يحدث فى خلال اسبوعين .. سوف يحزم الرجل امتعته وبضاعته وثروته ويختفى من البلدة مع فاتنته ، كى يظهر بعد حين فى متجر صغير انيق بشارع النبى دانيال ، بالاسكندرية .. اما السكندرية الحسناء فانها واسرتها

متوسطة الحال سوف تباركان «الصفقة» وترحبان «بالزوج» الفرعونى الثرى !

٢٩ ديسمبر

بينما كنت استمتع بشمس الضحى الدافئة فى شارع «البحر» لمحت عربة «حنطور» تقف امام باب البنك الاهلى وتهبط منها «حبرة» سوداء تكاد تكون مقفلة تماما ، تمشى على قدمين ، وبداخلها امرأة ٠٠! هرعت نحوهاحتى حاذيتهاوتأملت وجهها ، فاذا هى فى نحو الستين ، سمراء الوجه مترهلة الجسم ، تمسك فى يدها حقيبة يد سوداء ، مثلها .. وتصعد سلم البنك بخطى سريعة ما وسعها جهدها ، خشية ان تقع عليها عين رجل !

تبعتها الى داخل البنك وقد تنسمت فى الجو رائحة مغامرة طريفة .. فرايتها تقف امام الصراف ، وتطلب منه مبلغا من رصيدها الضخم ، الذى تركه لها «المرحوم» .. ويبدو ان الشاب كان حديث عهد بالنقل الى البلدة ، جاهلا بشخصيات عملاء البنك الكبار فيها ، فقد طلب منها ما يثبت شخصيتها !

واهتزت الحبرة ، بمحتوياتها ، غضبا لهذه الاهانة ... وانفجرت المرأة فيه محتدة : «سخصية ؟ .. سخصية ايه اللى عايزنى اجيبها لك يافندى يا قليل الحيا .. اسأل زملاتك مين انا وايه كونتى فى البلد !» ... فانتفض الفتى خوفا على مركزه من نفوذ العميلة الثرية وبادر بالاعتذار لها وهو يبتسم متلطفا ثم صرف لها المبلغ الذى طلبته ... فأحصته ورقة ورقة وهى تتلفت يمنة ويسرة خشية عين السارق .. او عين الحسود !

.. ويبدو ان ابتسامة «صبحى افندى» كانت خلابة حقا ، فقد قابلتها «الست أم عزيز» بابتسامة اعتذار تسلب اللب ،



ورأيت انا الفرصة سانحة لامتاع نساء البلدة بقصة غرام مضحكة تشغل جانبا من فراغ احاديثهن وتؤنس مجالسهن .. فسددت الى كل من الارملة الثرية والشاب الوسيم الفقير سهما نفذ مباشرة الى القلب !.. ثم تركتها وهى تدعوه همسا الى زيارتها فى بيتها ليعلم ابنها الصبى قواعد الحساب وجدول الضرب !

٣١ ديسمبر

لطالما تمنيت ان اسهر ليلة راس السنة فى فندق «ونتر بالاس» الفاخر .. وها امنيتى قد تحققت !

كانت ابهاء الفندق وصالاته تموج بأسر كبراء المصريين والاجانب ، وموسيقى الجاز تصدح فينسى الجميع على انغام «السامبا» المجنونة وقار ارستقراطيتهم .. واتخذت لنفسى مائدة فى مكان يصلح لممارسة لعبتى الخالدة ، ثم جلست اتسلى بمراقبة الجمع الصاخب ، وارهف سمعى للاحاديث والهمسات ..

سمعت رجلين من اعداء الزواج العابثين ــ وكلاهما قد جاوز طور الشباب ــ يرويان النكات لعروسين من اقاربهما فى ربيع العمر وشهر العسل .. قال الأول فى هيئة الجاد ، كى يقتنص انتباه سامعيه : **«اعتاد زوج ان يقضى سهراته فى اكثر الليالى عند امرأة صديقة ، طيلة عدة سنوات .. فلما ماتت**

زوجته ظن الناس انه سوف يتزوج من تلك الصديقة .. وحثوه على ان يفعل . لكنه قال لهم مستغربا : «واين اذن اقضى ليـــالى ؟»

وقال الثاني ــ ويدعى الدكتور اسماعيل : «رأيت منذ برهة رجلا وامراة متجاورين على مائدة العشاء ، بغير ان يتبادلا كلمة واحدة ، فقلت لنفسي : اما انهما غريبان ، لا يعرف احدهما الاخر .. او انها زوجته !»

وضحك الشاب ، وابتسمت عروسه ، ثم نهضا ليرقصا .. بينما استأنف الدكتور اسماعيل وصديقه عبد العزيز بك مباراتهما الطريفة فى تسفيه الحب والزواج .. وفيما يلى بعض ما وعته ذاكرتى من حديثهما :

عبد العزيز بك (مشيرا الى العروسين وهما يرقصـــان) : ان الحب فى مجتمعنا العصرى ليس اكثر من تبادل وهمـــين ، واحتكاك بشرتين !

اسماعيل : ولكن من الحماقة العقيمة يا عزيزى ان تحـــاول بكلامك اقناع فتاة عاشقة بالتخلى عن حبها .. فان الحب لا يقيم فى الاذن !..

عبد العزيز : الواقع ان فى الحب لتناقضا صارخا .. فنحـن عندما نحب شخصا نحرمه من «الحق» فى ان يؤلمنا ــ سواء بكلماته او تصرفاته ــ فى الوقت الذى فيـــه نضع فى يـــده «الوسيلة» التى تمكنه من ايلامنا !

اسماعيل : والانكى من ذلك ان الحب اصم ، فان ابلغ خطاب لا يؤثر فى مجراه عشر تأثير حركة طائشة تصدر بلا تفكير !

عبد العزيز : الغريب ان الرجل قد يفعل مع المرأة التى تحبه ما يفعل ، ويرتكب فى حقها ما يرتكب ، ورغم ذلك فهى تراه على الدوام «ملاكا» تنقصه الاجنحة ! .. بل انها قد تضحى بحياتها الف مرة ومرة ــ لو استطاعت ــ من اجل حبيبها ..

ثم تخاصمه يوما من اجل اتفه مسألة تزعم انها تمس كرامتها .. وهى تغفر لحبيبها خياناته واخطاءه الجسيمة اكثر من التافهة !

اسماعيل : مرجع ذلك التناقض كله واشباهه الى سبب واحد: هو أن كتاب المنطق النسائى ملطخ بالدموع، والعدالة فى محاكمهن تخضع دائما للعاطفة !

وكان العروسان قد فرغا من رقصتهما واقتربا، فصدمت سمعهما الفقرة الاخيرة .. فعلقت عليها الزوجة قائلة : «وما قولك يا «آبيه اسماعيل» فى منطق الرجال، الذين يصمد الواحد منهم لمناقشة مفحمة، لكنه يتخاذل ويستسلم امام نظرة !.. لكنك معذور فى الواقع، فان الاغنياء لا يمكن ان يؤمنوا او يطمئنوا الى حب لا فائدة مادية لهم من ورائه !

اسماعيل : ما الحب فى بدايته الا قليل من الحماقة وكثير من الفضول ..

الزوج (سامى) : بغير الحب لا يكون الرجل .. جنتلمان ! .. والرجل العاقل قد يحب كمجنون .. لكنه لا يحب قط كالحمقى !

عبد العزيز : العنف فى الحب، يا ابنى، شىء يخشى كما يخشى العنف فى البغض ..

سامى : ان اعظم معجزات الحب فى نظرى يا عمى، هى شفاء النفس من ميلها الى العبث والاستهتار ..

اسماعيل : انت مخطىء، فان مسلك الرجل مع المرأة يظل فاضلا نظيفا، حتى يقع فى هواها .. وعندئذ يستحل لنفسه كل شىء باسم الحب ! .. والمراة لا تلبث ـ اذا كانت مرهفة الاحساس ـ ان تذعن له، لانها بطبيعتها لا تستشعر لذة الحواس الا مع الرجل الذى تحبه ..

سامى : أكثر الناس يعجزون عن التمييز بين الحب والمتعة ..

مثلهم مثل السائح الذى يخيل اليه انه قد احب بلدة ما لانه تناول فيها وجبة شهية !

عبد العزيز : ما من رجل فى مجتمعنا الحاضر يندم على متعة اقتنصها .. انه اذا ندم انما يندم على المتع التى تركها تفلت منه ، والخطايا التى لم يرتكبها .. عندما تشيخ مثل الدكتور اسماعيل سوف تدرك هذا ...

اسماعيل : كما ستدرك ايضا ان الرجل الذى يعظ بالفضيلة مراء .. والمرأة التى تعظ بها قبيحة .. !

الزوجة (عنايات) : (ضاحكة) ـ انا لم اعظ بها ..

اسماعيل : برافو .. ارأيت يا عزيزى ؟ .. ان الجمال اقدس عند المرأة من الفضيلة !

عنايات : (مستدركة) انا لم اقل هذا .. ان منطقك يا ابيه اسماعيل ملىء بالمغالطات ..

اسماعيل : المنطق يا ابنتى هو فن اقناع الناس بالاكاذيب .. انه مطية ذوى البديهة الحاضرة ، التى تشغل الناس عن الجوهر بالبريق ... فلو اخذنا بالمنطق المجرد مثلا لقلنا انك تغيرين ازياء ثيابك كل ستة اشهر لانها لون من القبح لا يحتمل ... بينما الحقيقة انها ما زالت كيوم اخترتها فى البداية لونا من الجمال لا يبارى .. ارأيت الفارق بين المنطق والحقيقة ..؟

عنايات : (متخابثة) اسمح لى يا آبيه ان اسألك: «لماذا لم تتزوج؟»

اسماعيل : لان الرجال المتزوجين فى مجتمعنا العصرى يعيشون كعزاب .. والعزاب يعيشون كمتزوجين .. ! .. وفى رأيى ان الزواج جعل لكى لا تقفل محاكم الطلاق ابوابها .. وانا لا يهمنى مصير هذه المحاكم !

واعجبنى منطق الرجل .. لكن تحديه لسلطانى اغاظنى ، واغرانى بالانتقام منه ، فنهضت من مكانى لاعد له كمينا ..

وبعد جولة قصيرة عثرت على ضالتى .. فى شخص عانس

انجليزية جاوزت الاربعين : وجهها مفعـــم «بالرجولة» .. و«جفاف» عودها يذكر بطقس اسوان ! .. كانت قد جثمت كالغراب على مائدة ، وقلب ، مفتش الآثار ! .. وراحت تمطره بسيل لا ينتهى من الاسئلة «الاثرية» السخيفة والاستفسارات «الفرعونية» اللحوحة .. حتى ضاق بها ذرعا ، فلم يجد وسيلة للخلاص منها غير ان يعرفها بصديقه الدكتور اسماعيل ، زاعما لها انه حجة لا يبارى فى علم الآثار المصرية .. وقبل ان يحس اسماعيل بفداحة الكارثة لمح فى اصابع المرأة ، وجيدها، واذنيها ، ثروة من المـــاس البراق ، دلته على مبلغ ثرائهـــا واستدرت جشعه للمال .. فالتمعت عيناه ببريق الاعجاب ! .. وانتهزت انا الفرصة فاصميت كليهما بسهم من جعبتى .. ثم تركت الميل المتبادل بينهما «يختمر» على مهل ، ومرقت الى القاعة المجاورة ـ حيث يوجـد البار ـ فجعـلت اتفحص الموجودين ببصرى ، بحثا عن وجوه جديدة !

وفجأة لمحت على مقعدين متجاورين من مقاعـد البار العالية .. جريحى الامس الذين صادفتهما فى عربـة الطعام بالقطار .. زوجة الكهل الشابة «زينات» ، والفتى المنطوى على نفسه «حسنى» .. ولكم سرنى ان أرى ما كان منطويا منه قد انبسط ، بفعل الخمر التى اطاحت باتزانه وارسلت الدم الى عينيه فراح وصاحبته يتضاحكان ويتغامزان ، وقد زايله خجله وزايلها هى حذرها ..

وخطر ببالى الزوج الكهل .. ترى اين هو ؟ الا تخشى زينات ان يدخل المكان فى اية لحظـــة فيفاجئهما على هذه الصورة ؟ .. **عجبا لجراة نساء هذه الايام ، انها شىء لم يكن يواتى نساء الاجيال الماضية ولا فى الاحلام !**

وصح ما توقعت ، وما توجست !

لم تمض دقائق حتى أقبل الزوج من البهو المجاور ، فدار

بعينيه برهة فى ارجاء القاعة ، حتى وقع بصره على زوجته تعابث الفتى الذى بجوارها ، فاتجه نحوهما فى خطوات ثابتة لا اثر فيها لترنح الخمر ..

وامسكت قلبى بيدى توقعا للشر ..

لكن الزوجة حين رأته لم تبد ادنى انزعاج او اهتمام .. كل مافعلته انها استقبلته بابتسامة عريضة ثملة ورفعت كأسها الى شفتيها تشرب نخبه .. ثم شيعته باطيب التمنيات وهو ينصرف عنها الى قاعة القمار ، بعد ان رجاها فى لهجة رقيقة أن لا تنتظره او تتقيد به اذا ارادت ان تنام .. وان لا تنزعج اذا قضى الليلة حتى مطلع الفجر حول المائدة الخضراء ، يبارك حظه فى مطلع العام الجديد !

وفيما هو منصرف ، لم ينس ان يهز رأسه بالتحية للفتى المخمور !

ما اطيبه .. انه زوج فطن ، «مودرن» !!

تركت قاعة البار ، مطمئنا ، لأقوم بجولة واسعة النطاق فى بقية ابهاء الفندق ، نثرت فيها سهامى بلا حساب على عدد كبير من الرجال والنساء ، الشباب والمشيب .. ثم وقفت انتظر اللحظة التى انعم فيها بجنى ثمار جهودى ، وقد أخذت عقارب الساعة تزحف ببطء نحو منتصف الليل ..

اخيرا .. اطفئت الانوار ، عدا نور عينى .. فرأيت منظرا شائقا ، لو قدر لآلة تصوير من التى يحملها البشر أن تلتقطه لرأى بعض الازواج مباذل زوجاتهم اللواتي اصطنعن النسيان وابتعدن عنهم قبل انطباق عقربى الساعة بثوان .. الى اركانهن التى اخترنها بعناية !

مئات من الاذرع المتعانقة ، والشفاه المتلاصقة ، والانفاس اللاهثة ، والهمسات المحرقة ، والايدى المتلصصة ، والانامل العابثة ... !

وتلفت ابحث عن زينات .. فرأيتها تنسحب من بين ذراعى حسنى ، قبل ان تضاء الانوار ، وهى تهمس لـه أن يلحق بهـــا !

وسار الفتى وراءها يتعثر فى مشيته ، وفجأة اضيئت الانوار .. فتسمر فى مكانه يتصبب عرقا ، كمجرم هارب من العدالة ! .. حتى استرد بعض هدوئه فتسلل الى مكان السلم المؤدى الى الطابق العلوى ، وصعد درجاته .. ثم مشى فى الممر يتلفت الى ارقام الغرف بحثا عن رقم غرفته التى اضله الانفعال عنها .. حتى وجدها . وبعد ان غاب فى داخلها لحظات جفف فيها عرقه واصلح من شأنه ، استأنف الطواف بحثا عن .. غرفة صاحبته !

وعلى بابها وقف يزدرد لعابه ، مجفلا .. فانه لأصعب على الرجل أن يدخل غرفة مقفلة فيها امرأة واحدة ، من ان يدخل غرفة فيها حشد من النساء ! ..

وحين جمع حسنى شجاعته وطرق الباب ، ثم دخل .. انصرفت مطمئنا الى نجاح خطتى .. واثناء عودتى فى الممر لمحت باب غرفته مواربا ، وقد نسى ان يغلقه .. فدخلت لاستريح فترة من الوقت

ولفت نظرى فوق المنضدة كتاب مفتوح ... تناولته فاذا هو الكتاب الذى كان حسنى يقرا فيـه فى عربة الطعام بالقطار ، وكان من كتب «شوبنهاور» عدو المرأة والحب ! .. فاغرانى الفضول بان اقرأ فى الصفحة المفتوحة منه هذه الفقرات :

«لو كنت ملكا لكان امرى الاول الى شعبى عبارة واحدة : «عيشوا على انفراد .. واياكم والحب والزواج !» .. فالزواج يعنى الفاقة والحرب داخل البيت ، وهو ليس غير فخ نصبته الطبيعة للانسان بغية تحقيق هدفها الاكبر ، وهو استمرار

اعظم شر فى الدنيا ، واعنى به الحياة ! .. فما من عجب اذن فى ان يقترن الحب الجنسى فى انظار الناس بالخجل والعار ، فانه اتعس توكيد لارادة الحياة ! .. ونحن عندما نرى نظرات العاشقين المختلسة تلتقى فى الظلام نلمح فيها طابـع التخفى والسرقة والخوف .. فلم ذلك ؟ .. لأن هذين العاشقين هما خائنان يسعيان الى استمرار العوز والكد والعبوديـة التى تشقى الجنس البشرى ، الذى لولاهما ولولا امثالهما لبلغ نهايته وانقرض وشيكا .. !

«ما من انسان ذكى يقبل ان يصبح شريكا فى المهزلة التى يسمونها حب الجنس الآخر .. ما الحب الا مكيدة دبرتهـا الطبيعة للتغلب على عدوها الدائم «الموت» عن طريق اعضاء حفظ النوع .. والطبيعة فى كيدها لا تأبه للفرد ، وانما تسعى لحفظ النوع والجنس فقط ، ومن ثم لا يكاد الفرد ينجب نسلا حتى يفقد كل قيمة له فى نظر الطبيعة ويكون قد أتم مهمته ونضج للقبر !

«**والطبيعة** تزود المرأة ـ لبضع سنوات محدودة ـ بثروة من الجاذبية الجنسية والجمال ، على حساب شقائها بقيـة حياتها ... حتى تستطيع خلال تلك الاعوام من شبابها ان توقع فى حبائلها رجلا الى الدرجة التى تجعله يهرع الى ربط مصيره بمصيرها والتعهد برعايتها طيلة حياتها .. لكن الفراشة البشرية لا تكاد تفقد قدرتها على الاخصاب حتى تفقد بفقدانها اجنحتها الملونة وجمالها الاخاذ ، بعد ان انتهت رسالتها .. ثم تتولى الطبيعة نقل هذه الرسالة من على عاتقها الى عاتق من هن اصبى منها واجمل واصح جسما ، كى يتولين بدورهن مهمة الانتاج !

« فيالها من مهزلة ! .. وما اغبانا حين ننساق الى فخ الطبيعة ، فنحب .. ! »

❖

الا خسئت يا «شوبنهاور» .. ايها المرائى الكبير الذى ثرثر وسفسط بهذا الكلام ، ثم فعل ما حذر منه ، فأحب مرتين .. انجب من احداهما طفلا غير شرعى ، ابى عليه جبنه ونذالته ان يعطيه اسمه العظيم !

وابتسمت فى كمى وانا اذكر الفتى المنطوى ، قارىء شوبنهاور .. الذى لم يكد يفرغ من قراءته حتى انهارت فلسفته امام فلسفة الطبيعة ، امام اغراء نظرة من امرأة .. وتداعى عزمه تحت وطأة سهامى النافذة ... ولعله الآن قد تورط فيما تورط فيه استاذه الفيلسوف !

ولكن .. ما هذا ايضا ؟

لم اكد القى كتاب الفتى من يدى حتى لمحت على فراشه كتابا آخر ، تذكرت انه كتاب الزوجة الحسناء الذى كانت تقرأه فى القطار .. فتحته فاذا سطور من «فولتير» مؤشرا تحتها بخطوط ، من قلم رشيق .. قرات فيها :

«الحب هو توشية الخيال على نسيج الطبيعة . اذا اردت ان تكون لنفسك فكرة عنه فانظر الى العصافير والحمائم فى حديقتك .. بل تأمل الثور حين يقدم الى البقرة ! .. ثم انظر الى ذلك الحصان القوى يقوده سائسان نحو فرسه التى تنتظره فى هدوء ، وتسر لمجرد اقترابه .. لاحظ التماع عينيه ، واسمع صهيله العالى ، وارقب قفزاته ووثباته ، وانتصاب اذنيه ، وانفراج فمه وهو يلهث ويشهق فى شبه تشنج .. ثم تأمل انبساط خياشيمه ، وانفاسه الساخنة ، واهتزاز عرفه .. والحركة العنيفة التى يندفع بها نحو الهدف الذى اعدته له الطبيعة .. ولا تغار من سعادته ، فكر فى امتياز الجنس البشرى وتفوقه عليه . ان البشر يملكون فى «الحب» عوضا هائلا عن كل الصفات التى اسبغتها الطبيعة على الحيوان وحده ،

كالخفة ، والسرعة ، والقوة الخارقة ! .. البشر يستمتعون بمسرات تجهلها كافة فصائل الحيوان الاعجم .. ما من حيوان غير الانسان يعرف العناق والقبل .. التى يستجيب لها اطار جسمه الحساس كله ، وتستشعر لها شفتاه لذة لا نظير لها ، لا تمل ولا يزهد فيها . وحسبك ان تفكر فى هذه المظاهر الرفيعة للسمو والتفوق حتى تؤمن معى بأن الحب كفيل بان يهدى شعبا كاملا من الملحدين الى الله ! ..»

اذن فهكذا انتصرت المرأة على تلميذ شوبنهاور .. كان «فولتير» خير معوان لها .. ولى !

❖

وضعت الكتاب الآخر مكانه .. وانسللت من الغرفة، عائدا الى الطابق الاسفل .. كان الليل يلفظ آخر انفاسه فى ضوء القمر . وفى ركن منزو من الشرفة فوجئت بمنظر اطربنى ، واضحكنى ! .. كان الدكتور اسماعيل منحنيا على حاجز الشرفة ، منهمكا فى مغازلة العانس الانجليزية الثرية ، وذراعه على ظهرها ..

وحين اقتربت منهما متلصصا سمعت هذا الحوار الشائق :

اسماعيل : الآن فقط آمنت بان صحة النفس ليست اكثر أمانا من صحة الجسم .. فنحن قد نبدو أحرارا من الحب ، ولكننا فى حقيقة الامر معرضون للاصابة به فى اية لحظة كما يتعرض الجسم لجراثيم الامراض .. وهذا ما حدث لى ! ..

مس جونس : وفارق الجنسية ، والدين ، الذى بيننا ؟

اسماعيل : لا يكون حب حقيقى بين ندين .. ينبغى أن تكون بين العاشقين فوارق ليمحواها ، وثغرات واسعة ليملآها !.. مس جونس ، لقد احببتك من النظرة الاولى حبا طاهرا لا قبل لك بتصور مداه !

مس جونس : اذا كان يوجد حب طاهر منزه من شوائب جميع الشهوات ، فهو الحب الذى يرسب فى قاع القلب .. وهذا لا يحس به المحب نفسه !

اسماعيل : الحب يصون الجمال ، ولحم المرأة يتغذى بالعناق كما يقتات النحل من الازهار ..

مس جونس : وبعد يا اسماعيل .. تكاد تغريني !

اسماعيل : (يناشدها فى لهفة وهو يتناول كفها بين راحتيه وينظر فى عينيها) السبيل الوحيد للخلاص من الاغراء الملح هو الاستسلام له ، هكذا قال اديبكم اوسكار وايلد ... مس جونس ، هلا قلت : «نعم» ؟

مس جونس : (بعد تردد .. وهى تبتسم) نعم ..!

ثم التقت شفاهما فى قبلة طويلة ! .. وفى تلك اللحظة خرج الى الشرفة شبحان : العروسان ، سامى وعنايات .. فوقفا يتأملان المعجزة الكبرى وقد فغرا فاهيهما دهشة وراحا يضربان كفا بكف ويتمتمان : « لا حول ولا قوة الا بالله .. لا حول ولا قوة الا بالله ..! »

❖

أختم هذه المذكرات قبيل الفجر ، وقد أخلد الجميع للنوم .. واخلدت نفسى لراحة عميقة .. لقد اديت عملى فى اليومين الماضيين على خير وجه ، وأحرزت انتصارات ساحقة .. ولسوف تتهلل امى فرحا حين اقدم لها قائمة حسابى الختامى غدا ، فقد بلغت غنائمى من القلوب فى الاسبوع الاخير وحده ٣١٦ قلبا ، هذا بيانها :

٤٣ زوجة وام (بين العشرين والاربعين) يقابلها :
٢٦ زوجا من مختلف الاعمار و١٧ فتى مراهقا
٦٩ فتاة (بين الخامسة عشرة والثلاثين) يقابلها :
٥١ شابا و٨ ازواج و١٠ شيوخ !

١٥ ارملة (بين الثلاثين والخمسين) يقابلها :
٨ شبان ، ٥ ازواج ، وكهلان ..
٣ عوانس (بين الاربعين والخمسين) يقابلها :
شيخان وفتى مراهق
٢٨ خادمة (بين الخامسة عشرة والاربعين) يقابلها :
٧ خدم ، ٥ بوابين ، ١١ سيدا كبيرا ، ٥ اسياد صغار

.. وهكذا يمكنني ان استقل قطار الصباح الى القاهرة ، مستريح الضمير !

وغدا سأطلب من امى اجازة لمدة اسبوعين ، استريح فيهما من عناء الاعمال ..

١٠ يناير

حدث اليوم امام عينى حادث طريف ..

كنت اقضى فترة الشاى فى قاعة الرقص بفندق سميراميس .. فرأيت شابا وسيما أنيقا رشيق الجسم يتقدم الى حسناء فاتنة طالبا مراقصتها .. وقبلت الفتاة طلبه ، تأدبا، فخاصرها الشاب على أنغام «التانجو» الحالمة ، مأخوذا بجمالها. ويبدو انه ضمها الى صدره ضمة قوية مستورة وهما يقومان بحركة التفاف ناعمة بحجة مسايرة الانغام ، ثم تحسست انامله خصرها فى مداعبة غير كريمة ، ودنا الشاب بفمه من شعرها فأودعه قبلة صامتة مختلسة دغدغت اذنها .. واذا الفتاة تفلت يدها من يده وتهوى على خده الاسيل بصفعة قوية صببت عرق الخجل على وجهه .. ثم لم تكتف بالفضيحة التى اصابته بل اصرت على ابلاغ الامر للبوليس !

وحين تركت انا المكان بعد حين كان الهرج والمرج يسودانه والناس يحاولون اثناء الفتاة عن عزمها .. بغير جدوى

من سوء حظ المسكين انى فى اجازة ، وان قوسى وجعبة

سهامى لم تكن معى .. والا لعرفت كيف اجعل الفتاة تستكين للمسات الفتى وتستنيم لقبلاته ، ولو كان وجهه فى دمامة القرد او كانت سنه فوق السبعين !

اليس من حقى ان اصاب بالغرور ؟

١٤ فبراير

كنت أعبر ميدان ابراهيم باشا صباح اليوم ، حين أوقفت اشارة المرور بمحاذاتى سيارة «بونتياك» فارهة من افخر طراز .. وشاءت المصادفة ان يقع بصرى على صاحبها الذى يقودها .. فكدت اصعق ! عرفت فيه موظف البنك الذى اوقعت «ام عزيز» فى هواه اثناء اقامتى بالاقصر !

واغرانى الفضول بمعرفة تفصيلات القصة ، ففتحت باب السيارة وقفزت الى جوار الشاب المحظوظ ، ثم ابتلعت برشامة سحرية اظهرت له هيئتى متجسدة .. فلم يكد يرانى حتى رحب بى مهللا وعانقنى .. ألست رب نعمته ؟؟ .. ومنه وقفت على كل ما حدث له : **ان دروس الحساب للمحروس «عزيز» قد تطورت الى غرام جارف مع امه ، انسى المسكينة لابسة الحبرة تقتيرها المأثور ففتحت خزانتها للحبيب الغالى واراقت منها عليه من «الانتيكات» والشيكات ما جعله يرتع فى بحبوحة النعيم .. والمال الذى ادخره «المرحوم» قرشا قرشا صار الفتى يبعثره على خليلاته من الصبايا الحسان فى**



يبعثره على خليلاته من الحسان ..

الاقصر والقاهـرة ، بعشرات ،ومئات الجنيهات ! .. بـل ان المحتال الواعي ينصب الآن شباكه ويدبر خطته كي يظفـر من العاشقة المدنفة برصيد «محترم» فى البنك ووصية دسمـة «تكتب له» فيها حصة من ثروتها ، تجنبه مفاجآت القـدر وغوائل الدهر ، وتكفل له التخمة بالمال مدى الحياة !

كان الله فى عونك يا « عزيز » !

٢١ مارس

اطلعت هذا الصباح على بضع صور ورسوم لامى ولى فى عدد خاص اصدرته احدى مجلات البشر لمناسبة بدء فصل الربيع اليوم ـ حسب مزاعم كتب الجغرافيا ـ وان كان البرد القارس ما يزال يدثر الناس بالمعاطـف الثقيلة ويلجئهم الى بيوتهم اكثر الوقت ..

كانت الصورة الاولى تمثل أمى « أفروديت » خارجة من البحر عند شاطىء جزيرة «سيتيرا» ـ قبل ان تتخذ «قبرص» مقرا لها ـ وقد استندت بخفة على محارة كبيرة وردية اللون، وبالقرب منها «فلورا» آلهة الازهار ..

اما انا فقد نشرت المجلة لى صورتين : احداهما تمثلنى فى هيئة طفل ذى أجنحة ممسك بالقوس فى يمينى ، وفى جعبتى السهام أطلقها فى مرح واستهتار على قلوب البشر ! ..

والصورة الثانية تمثلنى آلها معصوب العينين ، لترمز الى ان « الحب اعمى ! » ..

متى تكف هذه المجلات عن دعاباتها السخيفة ؟ .. انـا لست آلها معصوب العينين ، اقذف الناس بسهامى كيفما اتفق، وانما أنا أكمل ما أكون بصرا وأرجح ما أكون عقلا وادراكا ! .. ولولا مغامراتى الشاذة الجريئة التى اوفق فيها بين قلـوب اناس ينعدم بينهم التناسب والتجانس ـ سواء من حيـث الشكل او السن او البيئة او المال ـ لظل أكثر المحرومين من

الجمال او الشباب او الثراء .. محرومين ايضا من الحب والزواج ، ولتضاعفت الفوارق بين الطبقات !

لكنى لست مكلفا بان اشرح فى كل مناسبة فلسفتى الخاصة .. وانما حسب البشر أن يعلموا اننى أؤدى لهم خدمات ـ أجتماعية وانسانية واقتصادية ـ لا تقدر ولا تحصر ! .. ولولا قلبى الرحيم لاختل توازن الكون وكثر فيه الشر والشقاق والحقد والبغضاء !

الا ليت الناس جميعا يعرفون فضلى ، وقدرى ، كما يعرفهما العشاق ! ..

اذن لكنت اسعد الالهة على الاطلاق !

٣ أبريل

وافرحتاه ..

لقد أقبل الربيع ، بعد غياب طويل ، فاستقبلته مرحبا بالعناق والقبل .. انه معاونى الاكبر فى عملى ، وساعدى الايمن . لا يكاد ينفث عطره فى الهواء حتى تخور مقاومة الآدميين لارادتى ، فيستسلم لى اعند المكابرين من ضحاياى .. ضحاياى ؟

ولكن هل انا «غول» ، له ضحايا ؟ .. الاوفق أن اسميهم مختارى المحظوظين ، وانهم لمحظوظون حقا . انى انفحهم بلحظات خالدة ، تظل تسكرهم بخمرها العمر كله ! .. حتى الآلام النفسية التى يقاسيها العشاق فى غرامهم لها لذتها الخاصة وسحرها الذى لا ينسى ، والذى اكاد احسدهم عليه ! .. انها تبدد وحشة الحياة وتشابه الايام الرتيب الممل . تجعل لها طعما محببا ، ونكهة لاذعة فى حلاوتها ، عذبة حتى فى مرارتها !

وبرغم ذلك فان اكثر البشر ينسون دائما افضالى ، ويلذ لهم ان ينحوا على باللائمة ويتجنوا ! .. كلما تنكر لهم حبيب

أو أفسد الدهر لهم تدبيرا حسروا رؤوسهم واستمطروا على اللعنات .. هم يخلطون بينى وبين «القـدر» ويعتبروننى مسؤولا عن النتائج ، وهذا عين الخطأ . فانا كل مهمتى ان أبذر البذرة ٠٠ وهو الكفيل بانباتها خضراء مورقة ، أو خنق جذورها فى باطن التربة ٠ وما تحميلى المسئولية كلها الا افتئاتا شبيها باعتبار الزارع مسؤولا عن استنزال الامطار ، وضمان صلاحية الطقس ، وحماية المزروع من آفات الطبيعة وسرقات اللصوص حتى يتم الحصاد ! .. او شبيها بمؤاخذة الوالـد على كل ما يصيب ولده من لحظة ولادته الى ساعة مماته ، لا لشىء الا لانه كان السبب فى وجوده ومجيئه الى الحياة !

بل ان بعض الحمقى يريد أن يدس أنفـه فى عمـلى ويحاسبنى على تصرفاتى ، زاعما انى أجنح فيها أحيانا الى الشر دون الخير ، فأبذر بذور الخلاف فى الاسر وأهدم البيوت فوق رؤوس أصحابها ، أو أوقع بين القلوب المتصافية ، أو أغرى الناس بارتكاب الحماقات ٠٠ الى آخر قائمة التهم التى يحاولون الصاقها بى ووضع وزرها على رأسى !

وفات هؤلاء انه مامن تصرف اقدم عليه الا ولى من ورائه حكمة آلهية خافية على عيونهم ، قد تكون التأديب والقصاص ، او الاغداق والمكافأة ، او التجربـة والامتحان ، او توزيـع الحظوظ بالعدل والقسطاس ، او تحقيق اهداف خاصة .. الخ

لكن البشر لايكفون عن تصديع راسى بحملاتهم ، وغبائهم !

فمتى يفهمون ان الحياة معقدة متشابكة ، وان ما نراه نحن من سماواتنا ، بنظرتنا المحايدة المجردة ، لا يرونه هم فى زحمة دنياهم وانشغالهم بشئون انفسهم .. !

٢٥ ابريل

احس اليوم بانتعاش كبير ، فان حمى الربيع قد فعلت

فعلها فى القلوب ، فأخذ الناس يتساقطون تحت سهامي كالفراش المحترق . وفى هذه الاحوال تسرى العدوى عادة سريان النار فى الهشيم، فاذا النفوس والابدان متفتحة للعناق، ظمآنة للهوى والقبل .. ترتمى فى احضان بعضها البعض عند اقل بادرة كالثملة النشوانة ، صيرها الحب مجنونة مجنونة.!

وهكذا عدت الساعة من الفيوم بصيد دسم ، يعوض خسائرى السابقة فى الشتاء اضعافا مضاعفة . كان « شم النسيم » ممتعا فى اوبيرج البحيرة ، وقد تحرر خليط الحاضرين من كل قيد واعتنقوا جميعا ديانة واحدة : هى ان الحياة لا تساوى شيئا بغير الحب .. ولا الجمال يساوى شيئا بغير متعة !

وكان اكثر صيدى من الوجوه الجديدة التى لم اصادفها من قبل، فاتسع امامى مجال العمل متحررا من مفعول سهامي السابقة .. وفيما انا اجوس فى الشرفة المطلة على بحيرة قارون لمحت وجهين اعرفهما .. ولم يحوجنى الامر الى اكثر من قدح زناد ذاكرتى ثوان معدودة ، تبينت بعدها فيهما عروسى عربة النوم : الزوجة الباكية النافرة ، التى زوجت مرغمة غير فتاها الذى تحبه .. وزوجها النبيل الصابر ، الذى قبل نفورها منه ليلة الزفاف صاغرا !

اردت ان ارقبهما عن كثب ، لارى نتيجة تدخلى السابق فى حياتهما ، وهل كانت ثمرته وقتية ام دائمة ؟ .. فاقتربت منهما ،حتى شاركتهما مائدتهما . واذا اول ما تلحظه عيناى، عدا الابتسامة المتبادلة على الشفاه ، والسعادة المشرقة فى العيون .. بوادر الامومة فى قوام العروس ، الذى « كان » رشيقا .. !

وكان يحوم حول المائدة شاب حائر ، يختلس النظرات الى الزوجة فى الذهاب والاياب ، فى قلق وغيظ ، حتى افلح فى

ان ينبهها الى وجوده .. لكنها تظاهرت بانها لا تعرفه ، ولم تعره ادنى التفات ، بل لم يبد على وجهها ادنى ظل للانفعال او الحنين !

ولم ييأس الحبيب القديم ، فعاد يستأنف طوافه فى ارجاء الحديقة والشرفة ، حتى اصبح على قيد خطوات من محبوبته .. وعندئذ تعمد ان يسأل أحد السقاه بصوت عال عن مكان غرفة التليفون ، فلما أشار له الى الطريق المؤدى اليها فى داخل الفندق اتجه نحوها .. بعد ان التفت الى الخلف التفاتة تنادى الزوجة ان تتبعه !

لكن هذه لم تتحرك من مكانها أو تقطع حديثها الضاحك مع زوجها .. فلما عاد الشاب بعد ربع ساعة يائسا ارتمى على احد المقاعد واشعل سيجارة ينفس بها عن غيظه ، ثم تمتم لنفسه فى خيبة امل :

ـ حقا ان النساء خائنات .. !

واطربتنى النتيجة .. لكن الاسى الذى داهم الفتى على الاثر حرك قلبى بالاشفاق عليه، فانتهزت فرصة دخول مهاجرة فلسطينية فاتنة واختيارها مائدة قريبة منه ، ورميتهما بسهمين .. فالتقت النظرات ، ولم تمض برهة حتى كانا يجلسان الى مائدة واحدة !

وخرجت من الفندق راضيا عن نفسى ، مستريحا الى محصول يومى ، تاركا ورائى مجموعة من القلوب المتشابكة اعقد تشابك وامتعه .. لكنى لم اصل الى الباب الخارجى حتى لمحت فى احدى السيارات الانيقة المتراصة امامه .. رجلا وفتاة . ادركت من هيئتهما انه هو سائق السيارة وهى ابنة مخدومه .. وكانا يتبسطان فى الحديث ، فلذ لى ان اتسلل الى داخل العربة لانصت الى حديثهما ..

كانت تشكو اليه ، فى سذاجة ابنة السادسة عشرة ،

تشدد ابيها معها وحرمانه اياها من الاختلاط البرىء باسرات الاصدقاء والاقارب والجيران ، التى بين افرادها شبان ، اياكان خلقهم ومسلكهم .. حتى لقد ضاقت بحياتها ولم تعد تجد فى العيش لذة او متعة ، بين قضبان هذا السجن الكئيب الذى يكاد يزهق انفاسها ..

ورق قلب السائق لحال مخدومته ، فجعل يسرى عنها فيلتمس لها العذر فى شكواها من ناحيــة .. ويلتمس لابيها العذر فى تشدده من الناحية الاخرى ، محاولا جهده افهامها خطورة الحرية التى تطلبها لنفسها ، وايضاح الامر لها بالامثلة والحكايات التى استقاها من خبرته الطويلة .. ولذ الحديث للفتاة فراحت تستوضحه اكثر فاكثر ، وهو يشرح لها ويفصل .. حتى تفتحت حواس الغريزة لهذه الامور الشــائقة التى يحدثها «محمود» بانها تقع لغيرها من الفتيات اللواتى فى سنها ...

ولمحت – من مكمنى – عينى الفتاة تشردان الى بعيد ، كالحالمتين .. وعينى السائق الشاب تلمعان لمعانا خاصا .. فوجدت فى ذلك فرصتى لتأديب الآباء الذين من هذا الطراز ، الذين يهيىء لهم غباؤهم ان فى وسعهم صون بناتهم من التلف بحبسهن فى قمقم ، كما كان يفعل اجدادهم ، بدلا من تنشئتهن التنشئة القويمة فى ظل التربية الصالحة والحرية المعتدلة التى تناسب روح العصر ...

ومن ثم اخرجت جعبتى واطلقت على كل من الشــاب والفتاة سهما نافذا .. فالتقـت عيونهما فى نظـرة طويلـة صامتة ..

– محمود ... اريد ان تدربنى على قيادة السيارة

– واذا خرج ابوك يبحث عنك فى فترة غيابنا ؟

– انه لن يخرج .. لن يقلق على مادمت فى حراستك .. ففارق الطبقات بيننا فى نظره خير حارس !

وحين ابتعدت السيارة عن الفندق ، اقتربت «سميرة» من محمود لتمسك بعجلة القيادة ، فالتصقت كتفها بكتفه .. ونفخ الهواء قميصها الحريرى «السبور» فأبعده عن صدرها .. واطلت نظرات محمود من فوق كتفيها على الصدر الخمرى فلم تحس الفتاة الا وهو يضغط بقدمه على «الفرامل» ضغطا قويا ، ثم يختطفها ويطبق على شفتيها بفمه :

ولم تمانع .. !

٣٠ ابريل

خرجت اليوم ساعة الاصيل للتنزه فى مصر الجديدة ، التى يبدأ فى هذا الوقت من كل عام موسمها الصيفى البهيج ، فتعج شوارعها بالشباب والغيد الحسان ، من كافة الاجناس والطبقات والازياء والاعمار .. وتصير مقاهيها «كرنفالا» للفتنة والاناقة والجمال ، احار فيه اين اوجه غزواتى .. واى الناس اترك ، واى الناس اختار !

وفيما انا ارصد المارة عند تقاطع شارعين كبيرين سمعت شابا وفتاة يتناقشان فى حدة ظاهرة .. تذكرت فورا انهما من عملائى السابقين فاقتربت منهما لانصت الى موضوع المناقشة .. كان الشاب يتهم حسناءه بانها تخدعه مع شاب آخر ، ويدلل على اتهامه بالامثلة والبراهين .. ثم يهددها بالانتقام الذريع !

وفجأة رايته يتركها وينطلق عدوا الى الرصيف المقابل ، ثم يلقى بنفسه عامدا امام عجلات «مترو» كان يشق الشارع فى اقصى سرعته ! .. وصرخت الفتاة ، وتصايح الناس ، واقبلت عربة الاسعاف ، ولكن .. بعد فوات الاوان !

وصحبت الجمع الى قسم البوليس ، حيث كتب المحضر التقليدى وسجلت اقوال الفتاة واهل الفتى .. ولمحت والد

المنتحر يذرف الدمع السخين ، فلما رآنى حدجنى بنظرة اتهام قاسية ..

من لى بمن يفهمه انى من دم ابنه برىء ، مظلـوم ؟ .. لقد ادرت الامر كله فى راسى وانا منطلق مع الجماهير الى قسم البوليس ، فاقتنعت بانى غير مسؤول .. وانى لم افعل اكثر من انى بذرت الحب فى قلب الفتى كما ابذره فى قلوب الملايين ، ثم تركت القلب والعقل يتصارعان ، ويصفيان الامر بينهما كما يحلو لهما . وليس ذنبى ان اولهما كان الاقـوى فصرع غريمه ، ثم اودى بصاحبه .. بينما كان يمكن ان يحدث العكس!

وهمست فى اذن الاب المفجوع : «قر قلبا .. فان ما وقع كان لابد ان يقع للفقيد يوما .. فى اول ازمة تواجهه ، ولو لم تكن ازمة حب !»

مرة اخرى انادى على رؤوس الاشهاد : «انى برىء !»

فليحتكم رعاياى الى عقولهم اذا تحرج الامر ، والا فعلى انفسهم هم الجانون !

٢ مايــو

كان لحادث الامس تأثير سىء على اعصابى ، فلما صحوت اليوم شعرت وانا اتمطى فى فراشى بانى قد ضقت ذرعا بالمدن الصاخبة ، وانتابنى حنين الى الريف .. فركبت من الجيزة احدى سيارات اتوبيس الاقاليم بغير ان اسأل عن وجهتها .. ثم غلبنى النعاس فاغفيت . وحين صحوت بعد نحو ساعة كانت السيارة تشق طريقها وسط الحقول الخضراء الزاهية ، المنبسطة على الجانبين ، وهواء الصبح الجميل يداعب ابدان المزروعات فتميس قـدودها دلالا وهى تلين للمساتـه .. فاستخفتنى فتنة الطبيعة وقفزت من السيارة

وفيما انا منطلق عبر الحقول ، اقفز فوق هامات الشجر وانحنى لاشرب من مياه الغدران ، سمعت همسا يسرى الى اذنى مع النسيم منبعثا من ظل شجرة صغيرة .. فاسترقت الخطى نحو مصدره ، واذا فتى وابنة عمه يتندران باحاديث القرية وقصص الاهل والجيران . وكان حديثهما بريئا من كل شائبة ، صافيا صفاء ماء الجدول الرقراق .. لكن السآمة كانت تقطر منه . فحلا لى ان اذيقهما رحيق الحب واشعل بين ضلوعهما انفعال العواطف الحارة ، التى بغيرها لا تتفتح مسام القلوب لادراك حقائق الحياة وكنه الوجود ...

لكنى اردت ان اداعبهما فى البداية مداعبة طريفة، فرشقت الفتى وحده بسهم دون الفتاة ! وجلست اتسلى برؤيته ينعطف نحوها ، ويتودد اليها تدريجا ... ثم يخفض بصره الى الارض وهو يرسم على التراب بغصن فى يده خطوطا واشكالا لا معنى لها .. وفجأة يقول لها :

ــ انا فى قلبى يا خضرة يا بنت عمى حاجة عاوز اقولها لك ..

ويصارحها بحبه .. فتفغر الفتاة فمها دهشة ، وتحملق فيه متعجبة من هذا الطارىء المفاجىء الذى طرا على علاقتهما .. بينما يمضى الشاب فى مطارحتها الغرام ، وهى جامدة القلب ، باردة العاطفة .. تستمع اليه ، وتصده ، وتسخر منه ، فى هدوء مثير ..

وبذلت وانا ارقب العاشق الولهان من مكمنى جهدا كبيرا كى اقمع ضحكة تريد ان تفلت منى .. فان الحب ــ كالحماسة ــ يبدو مدعاة للضحك حين لا يكون متبادلا !

وبدأ «علوان» ييأس ، ويفتر ... حتى رق قلبى له ، واستمتعت بغايتى من دعابتى ، فأطلقت السهم الاخر على قلب الفتاة .. وجلست ارقبها وهى تتراجع من عنادها، وتستجيب

لعاشقها خطوة فخطوة ، حتى تداعت اخيرا بين ذراعيه القويتين!

وفيما هو يعتصر بدنها الرخص لصق صدره وينهل من شفتيها . . . دوى فى الفضاء طلق نارى ، اصاب الفتاة فى مقتل!

والهت الصدمة العاشق المفجوع عن مطاردة القاتل فى الوقت المناسب . . فلما افاق من حدة المفاجأة ، كان هذا قد اختفى بغير ان يعرفه احد !

اما انا فقد رايته وهو يتسلل بين عيدان المزروعات ، لائذا بالفرار . .

انه . . اخوها ، قد ثأر لشرفه !

وعندما حمل علوان جثة حبيبته باكيا منتحبا ، فاضت دموعى برغمى . . فقد حزت الفجيعة فى نفسى . بل اعترف انى عدت الى امى ثائرا واعلنت اليها استقالتى من عملى ، الذى يحمل ضميرى كل يوم وزر هذه المآسى الدامية . . . فجعلت تهدىء من ثائرتى بمنطقها المقنع المألوف . . **ذكرتنى باننى وفقا لدستور عملى لست مسؤولا عن النتائج ، وان مسؤولية الحادث انما تقع اولا على القاتل ذى العقلية المخبولة ، وثانيا على العاشقين ذاتيهما اللذين ـ وهما اعلم الناس بتقاليد بيئتهما القروية ـ تركا نفسيهما ينساقان وراء عاطفتهما دون ان يحتكما الى ((العقل)) الذى كان يقتضيهما ان يتخذا جانب الحيطة والحذر . .**

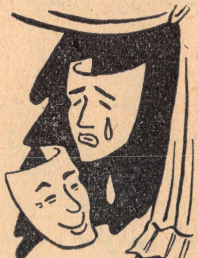
واقنعتنى حجة امى . . فاسترددت استقالتى ، واستأنفت عملى !

(طبق الاصل)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة من ((كتابى)) ، المسرحيات العالمية الآتية .. على التوالى : ((خطايا الحب)) لاوسكار وايلد .. ثم ((الحب الآثم)) أو (سلطان الظلام) لتولستوى .. و((نزاهة الحكم)) او((المفتش العام) لجوجول .. و((سلاح المرأة)) لاريستوفان .. و((فولبون)) أو ((الثعلب)) لـ ((بن جونسون)) .. و((جيوكندا)) لدانونزيو .. واليوم اقدم لك هذه المسرحية من المسرح الاسبانى : ((كلام الناس)) لجوزيه اشيجاراى .. تليها فى الاعداد القادمة بأذن الله المسرحيات الخالدة الآتية : اوسكار وايلد : (مروحة الليدى وندرمير) جون درنكواتر (ابراهام لنكولن) - برنارد شو : (بيجماليون) - مكسيم جوركى : (الصعاليك) - تشيكوف : (الشقيقات الثلاث) - ابسن : (مهزلة الحب) - هوجو : (هرنانى) - موليير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل.. الخ) - شكسبير : (عطيل ، هملت ، ماكبث ، ترويض النمرة ، تاجر البندقية ، روميو وجولييت .. الخ) - سوفوكل : (أوديب الملك) .. الخ

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى

(التمثيلى.. والغنائى)



كلام الناس

قصة تمثيلية كبرى: للكاتب الأسبانى "جوزيه إشيجراى"



المـــؤلف

«جوزيه اشيجاراى» ـ الذى عاش بين عامى ١٨٣٢ و١٩١٦ ـ هو زعيم كتاب المسرح فى اسبانيا الحديثة .. درس فى شبابه الهندسة، ثم اشتغل زمنا بتدريس الرياضيات فى مدرسة «كامينوس» بمدريد . وفى عام ١٨٦٧ عين وزيرا للمعارف والمالية ، وبقى فى منصبه سبع سنوات .. حتى آل حكم البلاد الى اسرة «البوربون» فاعتزل السياسة وكرس حياته للتأليف المسرح . ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٩٠٥ ـ اى طيلة ثلاثين سنة كاملة ـ ظل يؤلف للمسرح بمعدل مسرحيتين كل سنة ! .. وفى مسرحياته نرى طابع التأثر بروح عميد المسرح العالمى الحديث « ابسن » ، كما نلمس الميل الواضح الى معالجة موضوعات مسرحياته بصراحة العالم الذى يصور الواقع على بشاعته ، وليس بخيال الشاعر الذى يلونه وينمقه ! .. وفى سنة ١٩٠٤ فاز «اشيجاراى» بجائزة نوبل للآداب فارتفع الى مصاف الكتاب العالميين . والمسرحية التى اقدمها لك فيمايلى عنوانها الاصلى «ال جران جاليوتو»، لكنها مثلت على مسارح انجلترا باسم «الناس .. وزوجته» ، فلقيت نجاحا هائلا خلال السنوات الاخيرة ..

شخصيات الرواية

ارنست : شاب يتيم يهوى التأليف المسرحى — Ernest

دون جوليان : الاب «الروحى» لارنست — Don Julian

تيودورا : زوجة دون جوليان — Theodora

سيفيرو : شقيق دون جوليان — Severo

مرسيدس : زوجة سيفيرو — Mercedes

تمهيد للقصة

◆ تبدأ الرواية بشبه «مقدمة» ، نرى فيها الشاب اليتيم الموهوب «ارنست» ـ الذى يعيش فى كنف السيد «دون جوليان» ـ منهمكا فى تأليف رواية مسرحية. لكن الرواية مستعصية عليه ، تأبى ان تخرج الى «الحياة» ! .. فهى ما تزال بلا عنوان ، ولا حوادث ، ولا حبكة ، ولا خاتمة فاجـعة ! .. والشخصية الرئيسية فيها ليست شخصا محددا من البشر أو الاحياء ، وانـما هى شخصية «معنوية» ـ أو بالاحرى رمز فلسفى ـ انها «الرأى العام» !

وفيما «ارنست» منهمك فى صراع أدبى مع هذه الفكرة المستحيلة ، يدخل «دون جوليان» مع زوجته الحسناء تيودورا ، وقد عادا لتوهما من المسرح :

جوليان : أو تريد نصيحتى ؟

ارنست : نصيحة صديقى وحامى ، وأبى الروحى ؟ بالتأكيد أريدها ..

جوليان : اذن فلتنبذ هذه الفكرة السخيفة وتمضي الى فراشك .. وغدا تبدأ فى تأليـف رواية جـديدة ، رواية لها عنـوان وخاتمة ، وحوادث ، واشخاص ، وعقدة .. الخ

تيودورا : كان ينبغى ان تذهب معنا الى المسرح يا ارنست ، بدلا من ان تضيع وقتـك فى محاولة تأليف هذه المسرحيـة «المستحيلة» .. فانك فى المسرح تلتقى بالناس ، وتستمد منهم افكارا ، وتسمعهم يثرثرون أحدهم فى سيرة الآخر ..

ارنست (يكرر كلماتها الاخيرة) : يثرثرون احدهم فى سيرة الآخر! .. رجال ونساء ينهشون سمعة بعضهم البعض ، كما تنهش الوحوش لحوم البشر .. آه ، اخيرا واتتنى الفكرة التى كانت تنقص مسرحيتى ! والآن ، الى العمل .. فلأبدأ كتابة المسرحية .. لم تعد الصفحة الاولى بيضاء خالية ، فقد كتبت فيها على الاقل عنوان الرواية : « كلام الناس ! »

- ١ -

◆ ترفع الستار فاذا نحن فى صالون منزل «دون جوليان» ، حيث كل شىء يوحى بالترف البالغ .. والوقت قبيل المساء

دون جوليان جالس على اريكة ينظر شارد الفكر الى زوجته «تيودورا»، الواقفة بجوار النافذة :

تيودورا : ما الذى يشغلك يا عزيزى ؟

جوليان : انى افكر ..

تيودورا : وفيم تفكر ؟

جوليان : فى لاشىء .. فى الخير !

تيودورا (فى حنان) : هذا ليس بغريب ياجوليان، مادمت انت الذى تفكر !

جوليان (جادا) : انى افكر فى امر «ارنست» .. ومستقبله

تيودورا : ياله من فتى مسكين ! .. انه طيب ، نبيل ، كريم الى غير حد ..

جوليان : مثل ابيه ، الذى ضحى باسمه ، واملاكه ، بل وبحياته ، من اجل ابى .. والآن وقد ترك ارنست وحيدا فى الدنيا فقد بات من واجبى ان افعل شيئا من اجله ، كى أسدد الدين ..

◆ ونفهم ان ارنست يعيش فى بيت جوليان ، وفى كنفه .. وان الاخير قد جعل من نفسه «ابا ثانيا» للشاب اليتيم ، كما جعلت زوجته من نفسها اختا له .. لكن الفتى يستنكف الوضع الشاذ الذى يكتنف اقامته فى بيت راعيه وحاميـــه :

ارنست : كان يجب ان أكون سعيدا مع «اب» مثلــك ، و «اخت» مثلك انت ، ولكن .. الا تريان زيف موقفى وحرجه؟ .. انى اعيش من احسانكما !

جوليان (الى زوجته تيودورا) : ان صديقنا الصغير واسع الخيال .. !

تيودورا (الى زوجها جوليان ، تكمل كلامه) : وساذج للغاية ! .. انه يبدو كأنما يعيش فى عالم غريب ، من صنع مخيلته !

ارنست : اخشى ان اكون كذلك .. انى لا اعرف فى الواقع سوى النزر اليسير من امور هذه الدنيا ، ولا افهم الناس الذين يعيشون فيها ، بل اننى ارتجف حين افكر فيهم : ماذا يقولون عنى ، وعن مركزى فى هذا البيت ؟ لابد انهم يتساءلون : «من يكون هذا الفتى ؟ .. هل هو احد الاقارب ؟ كلا .. هل هو سكرتير لرب البيت ؟ .. كلا ! .. ام هو شريك له ؟ ولا هذا ايضا ! .. اذن فماذا يصنع فى بيت دون جوليان ؟» .. هذا مايتهامسون به ولابد فيما بينهم !

جوليان : انت تتوهم ذلك كله !

ارنست : كلا ، لست اتوهم شيئا ، بل ان بعض افراد اسرتك ذاتها ـ اخاك وزوجته ، وابنهما ـ قد بداوا يتناولون سيرتى ، ويرددون ما يسمعونه من الآخرين .. ما هم الا مرآة تعكس آراء الناس !

جوليان : ومن يعبأ بكلام الناس ، او بثرثرة الفضوليين الاشرار !

ارنست : آه ، لكن ثرثرة الناس تبدأ عادة كأكذوبة ثم تنتهى كحقيقة ! .. انها «تخلق» الخطيئة التى تندد بها .. !

(ويرى جوليان ان ارنست يعانى اعراض «فلسفة» شاعر ساذج ، مرهف الاحساس ! .. لكنه لكى يريح ذهن الفتى فى هذا الصدد يعرض عليه منصب السكرتير الخاص له ، فيقبل ارنست العرض مرحبا .. ثم يمضى جوليان الى بعض أعماله تاركا ارنست وحيدا .. مع تيودورا :

ارنست : لقد كنتما دائما شديدى العطف على . كيف استطيع ان اوفيكما يوما بعض دينكما ؟

(ويتهالك جالسا على الاريكة فى تأثر بالغ ، بينما تعبر تيودورا الغرفة الى حيث جلس وتظل واقفة الى جواره ..)

تيودورا : تستطيع أن توفينا دينا بتطليقك الخوف والريب!

وفيما هما يتحدثان هكذا يهبط الليل رويدا ، وتغرق الحجرة فى شبه ظلمة .. وفى هذه الاثناء يقبل من الخارج «دون سيفيرو» شقيق جوليان ، وزوجته « مرسيدس » .. فيسمعان لغط الحديث من داخل الغرفة دون أن يميزا الالفاظ :

مرسيدس (الى زوجها دون سيفيرو ، فى صوت هامس) : انه ارنست .. !



انهما دائما معا !

سيفيرو (الى مرسيدس) : وتيودورا !

مرسيدس : انهما دائما معا .. !

سيفيرو : لا عجب اذن فى ان يتكلم الناس عنهما .. يجب أن ننبه جوليان !

مرسيدس : نعم وننذر تيودورا .. !

◆ وهكذا يتدخل الفضوليان بين الزوجين !.. وفى أثناء انهماكهما فى تسميم اذهان جوليان وتيودورا ، يتولى ابنهما «ببيتو» التأثير فى قلب ارنست المرهف بثرثرته الشريرة !.. ويلح ثلاثتهم فى الايحاء لضحاياهم بان كل تلك الاقاويل ليست من ثمار افكارهم الخاصة .. كلا .. بل هى صورة دقيقة لما سمعوه من افواه الناس . فان الجميع يتحدثون فى الامر ، لاسيما وان جوليان فى الاربعين، بينما زوجته تيودورا لم تجاوز العشرين ، وارنست شاب انيق جذاب .. فلم لا يتكلم الناس ؟!

ونتيجة لهذا التدخل الآثم لا يستطيع الاصدقاء الثلاثة ـ دون جوليان ، وتيودورا ، وارنست ـ أن يحتفظوا كل نحو الآخر بالود الصريح البرىء الذى كان يشعر به من قبل ، وان ظلت صلتهم فى الظاهر كما هى .. انهم يأبون

السماح لألسنة المجتمع الشريرة ببث الكراهية فى قلوبهم مكان الحب الخالص. وحين يحل موعد العشاء يلح جوليان على ارنست فى أن يتأبط ذراع زوجته ، كالعادة ، قائلا له : «لست أعبأ البتة برأى الناس ! .. دع الناس يثرثرون ويتهامسون ، بل دعهم يتصايحون ، فان براءتنا هى خير دفاع فى جعبتنا .. !»

لكن بذرة الشك قد زرعت فى ذهنه ، وبدأت تنمو وتكبر ! .. وفيما هو يهم بدخول غرفة المائدة يستدير الى أخيه سيفيرو متسائلا :

جوليان : لماذا ينظر ارنست وتيودورا الى هكذا ؟ لماذا ؟

سيفيرو : اخيرا بدأت تعود الى صوابك !

جوليان : تقصد ان تقول انى بدات أصدق ترهاتك .. لقد سددت فريتك جيدا فسلكت سبيلها مباشرة الى القلب !

- ٢ -

◆ فاذا كان الفصل الثانى فقد تعقدت الامور ، وترك ارنست بيت جوليان وتيودورا ! .. وهو الآن فى طريقه لان يبحر الى أمريكا الجنوبية كى يشق مستقبله فى مجاهلها .. ولكن قبل أن يسافر يتعين عليه أن يواجه أمرا هاما : ان يبارز نذلا حقيرا يدعى الكونت «نبرادا» لتطاوله على سيرة تيودورا على ملأ من الناس ! .. وقد اختيرت لاجراء المبارزة غرفة خالية تقع فوق مسكن ارنست المؤقت ..

لكن جوليان يعلم بأمر المبارزة المزمع أن تتم ، فيعتزم أن يسبق ارنست اليها : «فان الاهانة التى توجه الى زوجتى يجب أن أدفعها انا ، وليس هو !» .. وهكذا يختار جوليان شقيقه سيفيرو شاهدا ويتوجه الاثنان الى الغرفة المقصودة ، لاتمام المبارزة .. بغير علم ارنست !

وفى هذه الاثناء تعلم تيودورا بنبأ المبارزة العتيدة أن تجرى بين ارنست والكونت نبرادا ، فتهرع الى مسكن الشاب مذعورة ، رغم أن صداقتهما قد فترت واعترتها الكلفة :

ارنست : ان الشياطين الصغار الذين ينسجون خيوط

الافتراءات الظالمة فى الخفاء قد افلحوا فى بلوغ غايتهم .. !

تيودورا : لم تعد الاحوال ملائمة الآن يا ارنست ، فهناك هوة بيننا .. !

ارنست : انت على حق يا تيودورا .. لم يعد فى وسعنا الآن ان نحب احدنا الآخر كأخ واخت .. ولن يستطيع الناس ان يفهمونا اذا فعلنا !

تيودورا : ولا انا استطيع ان افهم الناس ..

ارنست : ما كان يجب ان تأتى يا تيودورا .. فلو رآنا احد هنا؟

وهنا تبوح له تيودورا بسبب قدومها :

تيودورا : يجب الا تقدم على المبارزة !

ارنست : لماذا ؟

تيودورا : انه ليزعجنى ويفزعنى ان افكر فى الدم الذى سوف تريقه من اجلى ! .. ثم يجب الا تغرب عن بالك الفضيحة ..

ارنست : اية فضيحة .. ؟

تيودورا : كل الناس يتحدثون عنا ، ويشيرون نحوى باصبع الاتهام والتحقير ، لان الذى يدافع عن شرفى هو انت ، وليس زوجى .. !



◆ لكن ارنست يصر على أن يكون هو ـ دون غيره ـ الذى يبارز الكونت نبرادا: «فلو قتلته فسوف يربح الناس، اذ يتخلصون من نذل ! .. واذا قتلنى هو أكون أنا الرابح ، اذ أتخلص من الناس .. !»

وهنا تعمد تيودورا الى التوسل والمناشدة ، بعد أن فشل سلاح الجدل والمناقشة .. ودون أن تشعر ترق تدريجيا عباراتها ، وتوسلاتها ، فيتحول

الصديق فى لهجتها الى عشيق !..ثم تتعطل لغة الكلام، فيلوذ كلاهما بالصمت.. ويطول صمتهما دون أن يجرؤ احدهما على النظر الى الاخر !

وفجأة يقطع حبل الصمت صدى اقدام تقترب من باب الحجرة ، فيشير ارنست الى تيودورا كى تختبىء فى الحجرة المجاورة ! .. ولا تمضى لحظات حتى يحمل جوليان الى المكان مصابا بجرح خطير ، ويحدج «سيفيرو» ـ الذى كان يحمل الجريح ـ «ارنست» بنظرة تنطوى على البغض الشديد :

سيفيرو : انت السبب فيما حدث .. !

ارنست : دون جوليان ! .. صديقى ! .. رب نعمتى ! ابى ..!

جوليان (بصوت خفيض) : لا بأس يا ابنى .. لقد أديت انت واجبك ، وأنا واجبى !

سيفيرو : اسرع .. الالم يكاد يقتله .. خذه الى مخدعك ، أرحه على فراشك ..

ارنست : كلا .. ليس هناك !

سيفيرو : ولم لا ؟ من فى تلك الغرفة ؟

◆ وفجأة يفتح الباب على مصراعيه ، وتظهر على عتبته تيودورا ! .. فيتحامل جوليان على نفسه ويصيح كمن لا يصدق عينيه : «من هنـــاك ؟ تيودورا ؟» ثم يقع على الارض مغشيا عليه .. !

- ٣ -

◆ فاذا كان الفصل التالى فقد بارز الشاب «ارنست» غريمه الكونـت نبرادا ، وقتله !.. بينما حمل جوليان الى بيته، حيث رقد فى حالة احتضار.. ويأتى ارنست ليستفسر عنه ، فيلتقى بزوجة اخى جوليان ـ مرسيدس ـ وابنها ببيتو :

ارنست : مرسيدس ، بحق الرحمة اجيبينى .. آه لو علمت بمبلغ عذابى ! .. أخبرينى ، هل جوليان .. ؟

مرسيدس : انه يعانى اثار جرحه الخطير ، وهو يمقت مجرد ذكر اسمك ! .. ابرح هذا البيت .. !

◆ لكن الفتى يأبى الخروج ، وانما هو يتوسل كى يرى جوليان ويتحدث

اليه ولو بكلمة واحدة يؤكد له فيها براءة تيودورا : «إن السنة الناس الشريرة قد قتلت شرف ثلاثة ، وسمعة ثلاثة ، وارواح ثلاثة .. انهم قد دفعونا الى قلب دوامة رهيبة من الاكاذيب والابتذال .. الناس يقولون أن جوليان أخذ مكانى فى منازلة «نبرادا» ، واننى تأخرت فى الحضور لاننى كنت بين ذراعى (...) رباه ! ان شفتى تأبيان النطق ببقية العبارة ! .. ابحثى ياسيدتى عن أقذر شيء يمكن أن تجديه ، حثالة و «وحل» النفس البشرية ، والقيها الى الرياح الاربع كى تذروها فى كل اتجاه ، وتلطخ بها كل الالسنة والشفاه .. وعندئذ تتجمع لك عناصر هذه المأساة ، التى هدمت حياة رجلين شريفين وامرأة نبيلة .. !»

وبعد أن يطلق الفتى العنان لسخطه وحنقه على هذا النحو ، يعود فيستعطف مرسيدس كى تسمح له بأن يرى جوليان لحظة واحدة ، والا فقد عقله!

ولكن ، مرة اخرى تجابهه المرأة بالرفض البات : انه لن يرى جوليان !.. وان كان يستطيع اذا شاء أن يودع تيودورا ، بشرط ان لا يطأ البيت مرة اخرى!

ويلتقى ارنست وتيودورا ، على انفراد :

تيودورا : ارجوك أن تذهب يا ارنست ... وانى اغفر لك كل الشر الذى جلبته علينا

ارنست : الشر الذى جلبته «انا» عليكما ؟

تيودورا : ارجوك أن تذهب ، فان جوليان يتعذب فى الغرفة المجاورة .. وانا اتعذب هنا

ارنست : وانا ألست اتعذب بدورى ؟

تيودورا : اغفر لى اذا كنت قد اسأت اليك ..

◆ وعند هذه الكلمات يغلب على ارنست التأثر فيخر جاثيا على ركبتيه أمامها ويتناول يدها .. فى الوقت الذى يظهر فيه سيفرو عند الباب ويراهما معا ! .. فيأمر ارنست بمبارحة البيت فورا ، ثم يستدير نحو تيودورا قائلا : «أما انت .. فاخفضى رأسك الى الارض خزيا وعارا !»

ويمسك بها من خصرها فى وحشية محاولا ان يجبرها على أن تجثو عند قدميه ، فيلقى ارنست بنفسه عليه ويخلص تيودورا من قبضته .. ويبلغ ضجيج الصراع مسامع جوليان فينهض من فراشه ويقبل مترنحا :

جوليان : سيفيرو ، لقد خدعانى .. كذبا على ! الآن ارى وافهم كل شىء بوضوح ..

ارنست : انك تراه من خلال ذهنك المحموم يا ابى ..

.. لكن جوليان يصر على أن زوجته وربيبه قد خاناه ، ويصيح بالاخير :

جوليان : اعترف باثمك .. !

ارنست : ليس ثمة اثم !

◆ فيصفعه جوليان على وجهه بقوة تستثير شفقة مرسيدس ذاتها ! .. بينما يهتف زوجها سيفيرو فى ارتياح : «هذا جزاء عادل .. !»

أما جوليان فيعود وهو يترنح الى الغرفة المجاورة ، مستندا على ذراعى سيفيرو ومرسيدس. وتحاول تيودورا أن تتبعه، لكن سيفيرو يتصدى لها صائحا:

سيفيرو : اخرجى من هذا البيت فورا .. اخرجا كلاكما .. !

تيودورا : هل هذه رغبة زوجى .. ؟

سيفيرو : زوجك قد مات .. !

.. ويأمر ابنه ببيتو بأن يطرد تيودورا الى الطريق : «فى التو واللحظة .. اتسمعين ؟ لقد دنست هذا البيت بما فيه الكفاية !»

ارنست : احذروا من ان يمس احدكم هذه المرأة بأى أذى ، فانها تخصنى ! .. هذه ارادة الناس ، وانا اقبلها !

سيفيرو : اخيرا رفعت النقاب عن نواياك أيها النذل !

ارنست : انت على حق .. اخيرا أصبحت انا عاشقها المتيم ، ومغويها الشرير ، وكل ما اردتنى ان اكونه .. فاعلن ذلك .. اعلنه على الملأ .. واذا سألوك من كان الوسيط فى هذه الصفقة الآثمة فقل انه انت ! انت .. انت وامثالك من ذوى الالسنة القذرة والقلوب الشريرة التى صاغت منى على هواها صورة طبق الاصل من شخصك .. !

تعالى يا تيودورا ، اننى استطيع ان أرى خيال امى تطبع قبلة على جبينك الطاهر .. انك تخصيننى انا الآن ، ولتكن السماء حكما بين الناس وبينى .. !

(ستار)

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعـداد السابقة من (كتابى) ـ فى هذا الباب ـ الكتب النفسية التالية : ((كيف تصـارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية)) للعالم النفسانى ماكدونالد لاديـل .. ثم ((طريق السعادة الزوجية)) لفريدريك برينك .. و ((مركب النقص ـ اسبابه وعلاجه وأمثلته عند العظماء)) تأليف و. ج. ماكبرايد .. و((حواء الجديدة ـ مرشد المرأة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبـل الزواج وبعـده)) للدكتور كورتنى بيل .. و((كيف تقهر الخـجل)) تأليف س. هـ. تيار .. و((كيف تقهر القلق)) تأليف جون كنيدى

وفى العدد الماضى قدمت لك ((فن الحب)) ، وهو الفصل الاول من كتاب ((اندريه موروا)) الممتع الخالد : (فن الحياة) .. واليوم أقدم لك الفصـل الثانى منه وهو ((فن الزواج)) .. يليه فى الاعداد القادمة بأذن اللـه : فـن الصداقة ، فن الحياة العائلية ، فـن العمل ، فن الزعامة ، فن الشيخوخة ، فن الصداقة ، فن الحياة العائلية ، فن السعادة .. الخ



L'ART DE
MARIAGE
par
ANDRÉ MAUROIS
اندريه موروا
فن الزواج

فن الحب .. وفن الزواج

◆ **اذا** كان فن الحب هو فن تحويل الرغبة الطارئة الى عاطفة قيمة .. فلابد أن تواجهنا فى صدده حالة رجل يتصدى له القانون أثناء ممارسته هذه الرغبة بالقول : « **قف ! أنت لا تستطيع الاستسلام لغرائزك الطبيعية ما لم توقع عقدا شرعيا يربطك بالمرأة التي تشعر نحوها بهذه الرغبة ، وبالاطفال الذين قد يولدون نتيجة هذا الارتباط !** »

وهذا الرباط قد يصعب حله، أو يسهل، باختلاف الازمان والعادات السائدة والاديان المختلفة : فالمسلم يستطيع أن يطلق زوجته بايقاع يمين خاصة ، أى النطق بعبارة معينة بسيطة .. بينما الكاثوليكى لا يستطيع أن يتحرر من زوجته الا اذا منحته الكنيسة قرارا بالغاء زواجه ، وهو اجراء يكاد يدخل فى باب الامر النادر ، بل المستحيل فى أكثر الاحوال ! .. وبين هذين الدينين المتناقضين توجد أديان ومذاهب تتوسط فى أحكامها فتجيز الطلاق فى حالات قليلة محددة ، وبشروط خاصة ..

وأحيانا يعزز الشرع رباط الزواج القانونى بالقوة ، فيخرقه أحد الزوجين سرا ، سواء فى خفية عن الاخر ، أو بعلمه وموافقته ، أو تسامحه ! .. وأحيانا أخرى ــ كما فى أميركا مثلا ــ يسهل فصم عرى هذا الرباط الشرعى بعد اتخاذ اجراءات بسيطة مرسومة ..

وسواء سهل الطلاق أم أحيط بضمانات صارمة، فالثابت أن الاقبال على الزواج ماض فى ريقه أمس واليوم وغدا ، فى أربعة أركان المعمورة !.. وفى رأيى ان هذا هو الاتجاه الصحيح ــ كما سأوضح فيما بعد ــ أما الان فلادع خصوم الزواج يبدون وجهة نظرهم أولا :

دون جوان ٠٠ والزواج

◆ **أول** وأهم اعتراض جدى على الزواج هو الذى عبر عنه الشاعر الانجليزى (شيلى) بقوله : « ان الحب يموت حين يقيد بقيود٠٠ وان دوافع العاطفة أو بواعثها، أو محركاتها، لا تخضع بطبيعتها لنظام ، ومن ثم لا يمكن أن يحكمها قانون ! » ٠٠ ويعلل خصوم الزواج فرض هذا الرباط الشرعى على الحب ، رغم انه مضاد له بطبيعته ، بقولهم : « أن من مصلحة النساء دائما أن يأسروا ــ مدى الحياة ــ الرجال الذين بلغ بهم التهور ان أحبوهن ! » ولا حاجة بنا الى القول ان جميع خصوم الزواج هم من الرجال ٠٠ !

ويسخر برنارد شو فى كتابه «الانسان والانسان الاسمى» من الزواج ، على لسان بطله « دون جوان » ، بقوله : « **عندما كنت فى الارض ، وكنت أعرض على النساء تلك العروض التى يعتبرها المجتمع منافية للاخلاق ، وهى نفسها التى جعلت لى هذه الشهرة العالمية وخلقت منى بطلا من أبطال الاساطير ، كانت كل امرأة منهن تعرب عن قبولها لما أعرض بشرط أن تكون تلك العروض غير منافية الشرف ! ٠٠** فاذا سألتها عما تعنى بذلك أجابت أنها تطالبنى بالامور الاتية : **أولا** ان احرص على رفقتها الدائمة لى ، وأطلب مشورتها ، واكفل لها حق التحدث معى حتى آخر ايام حياتى . وأن اعرض نفسى للعقوبات اذا لم أظل طيلة عمرى مفتونا بتلك الرفقة والمشورة والاحاديث ! ... **ثانيا ــ** أن ادير ظهرى لجميع نساء الارض الاخريات ، مدى الحياة ، من أجلها ! ٠٠ ولم أعترض أنا على هذه الشروط لانها تعسفية وغير انسانية ، فحسب ٠٠ بل كان اعتراضى لانها غير معقولة أو مقبولة أصلا ! ٠٠ قلت بصراحة تامة : أولا ــ أنه اذا لم تكن شخصية المرأة وذكاؤها يساويان أو يفوقان شخصيتى وذكائى ، فان أحاديثها

سوف تهبط بمستواى ، ومشورتها سوف تضللنى وتقودنى الى الاخطاء، ورفقتها الدائمة سوف تضجرنى وتثقل على.. **وانني لا أستطيع الارتباط بعواطفى لمدة أسبوع واحد مقدما ، فكيف أضمن تعلقها بشخص ما مدى الحياة ؟** •• وثانيا – ان الحيلولة بينى وبين الاتصال بغيرها من النساء مدى الحياة سوف تضلنى وتضيق أفق عقلى وقلبى اذا خضعت لها والتزمتها •• أو تلقى بى الى أحضان اللعنة المسماة « الخيانة الزوجية » اذا تمردت عليها ! •• وأخيرا، ان العرض الذى تقدمت به الىهذه المرأة – أو تلك – لا يتصل بشىء من هذا كله على الاطلاق، وانما هو نتيجة طبيعية لميل غريزى بسيط للغاية : هو ميل رجولتى نحو أنوثتها »

وخلاصة هذا الاعتراض الاول على نظام الزواج هو أنه يفرض الاستقرار فى شىء غير قابل بطبعه للاستقرار •• ويطلب الدوام لشىء لا يمكن أن يدوم ! •• والجميع متفقون على ان الحب الجنسى غريزة طبيعية مثل الجوع أو الظمأ •• لكن دوام الحب ليس أمرا غريزيا •• فاذا كان الحب الجنسى يتطلب التغيير ، ففيم اذن هذا النظام القائم على الوعد بالحب لشخص واحد ، مدى الحياة ؟

الزواج يضعف الشجاعة

◆ **والاعتراض** الثانى على الزواج هو أنه يضعف شجاعة الانسان ونشاطه العقلى ، **وفى هذا يقول رومان رولون : «الرجل المتزوج ليس أكثر من نصف رجل ! »** •• ويحدثنا رديارد كبلنج عن الكابتن «جادسبى» ضابط السوارى الذى تزوج فصار زوجا ناجحا وضابطا فاشلا، فان حرصه على انقاذ حياته من أجل زوجته وولده جعله لا يحارب بنفس البسالة النارية التى كان يحارب بها قبلا •• !

ويرى السياسى الفرنسى العظيم «بريان» ان السياسى ينبغى أن لا يتزوج : « فلننظر الى الحقائق ونواجهها ٠٠ لقد استطعت طيلة كفاحى الشاق لتكوين مستقبلى أن أحتفظ برصانتى وصفاء ذهنى ، لانى كنت أخلد الى الراحة فى المساء بعد مجهود اليوم الشاق. لم تكن لى زوجة طموحة غيورة تذكرنى فى كل حين بنجاح زملائى وتذكر لى الانتقادات التى تقال ضدى ! ٠٠ كانت لى قوة الذين يحيون بمفردهم!» ٠٠ فالزواج يجعل الرجل قابلا للعطب ، ويعرض سفينة حياته العملية لشتى المخاطر بمضاعفة مساحة « الشراع » المعرض لعواصف الحياة الاجتماعية ٠٠ !

هل تفضل الاديان العزوبة ؟

◆ **فاذا** انتهى خصوم الزواج من اثبات هذا الاعتراض الثانى انتقلوا الى الذى يليه ، وهو حكم المنطق والادلة .. فقالوا : **ألم تعترف الكنيسة الكاثوليكية نفسها ـ التى تفضل الزواج على العزوبة ـ بأن العزوبة أليق بكرامة الرجل وهيبته ، ففرضتها على قساوستها وكهنتها ؟** ٠٠ مكررة فى كل مناسبة أن لا شىء أدعى الى الضحك والسخرية من فيلسوف متزوج ؟ فهو ان استطاع تحرير نفسه من ضعفه لن يستطيع أن يحرر منه زوجته، والمرأة دائما هى أقوى الزوجين من ناحية التأثير المعنوى ، فضلا عن أن المستوى العقلى لحياة الزوجين يكون عادة هو مستوى الشخص الاضعف منهما ٠٠

والاعتراض الرابع الذى يسوقه أعداء الزواج هو أن الشاب والفتاة اللذين يتزوجان انما **يرتضيان باختيارهما تطليق الحياة العاطفية والمغامرات وسحر التعارف المستمر بأشخاص جدد من الجنس الاخر ، والنشوة العجيبة التى يحدثها الوقوع فى الحب كل مرة** ٠٠ وبتطليقهما ذلك كله يطلقان المنبع الرئيسى

للنشاط النفسى والحسى ، ويحكمان على نفسيهما بالجمود والبلادة السابقين لاوانهما ، فينهيان حياتهما وهى لم تكد تبدأ .. ولا شىء يمكن أن يبدد ملل وسآمة الحياة المبنية على الواجبات والمسئوليات ، اذ لا يلبث حب الزوجين أن تشوبه أثقال المتاعب البيتية وتربية الاطفال .. فيبلغ الزوجان أرذل العمر دون أن يستمتعا ببهجة الشباب التى لا يحققها غير الحب العنيف .. والزواج يقتل هذا الحب .

دفاع أنصار الزواج

◆ **تلك** هى حجج خصوم الزواج ، وهى من القوة بمكان .. ولكن رغم ذلك كله فان نظام الزواج قد عاصر شتى الاضطرابات والانقلابات السياسية والدينية والاقتصادية مدى آلاف السنين، وبدلا من أن يتلاشى أو يضعف نراه قد ازداد قوة عن ذى قبل .. فلنحاول فهم الاسباب الاجتماعية العميقة لاستمراره وثباته ..

فالبشر بطبعهم أنانيون ، وهذه ليست جريمة ، فهم يجب أن يكونوا كذلك كى يعيشوا ويتغلبوا على عوامل الفناء .. وهم يملكون فى ذواتهم غريزة حفظ النوع التى تدفعهم ـ كما يقول سبينوزا ـ الى السعى وراء الامان ، والطعام والمأوى ، حتى لو كان ذلك على حساب اخوانهم .. ولو لم يملك البشر سوى هذه الغريزة لاستحال عليهم انشاء مجتمع بشرى والمحافظة عليه ، ولصيرتهم الانانية وحوشا يلتهمون بعضهم البعض .. ومن هنا وجدت غرائز أخرى فى مثل قوة غريزة حفظ النوع، كى تستنفد نشاطهم وسعيهم وأفكارهم .. وأهم هذه الغرائز الاخرى التى تشتبك فى صراع مع غريزة النوع ، غريزتان : الغريزة الجنسية .. وغريزة الامومة . ومن هنا نجد الحيوانات المتوحشة ذاتها تنسى وحشيتها وتأخذ فى ملاطفة اناثها وهدهدة صغارها ، فى فترات الحب والامومة .. وهكذا ، عن

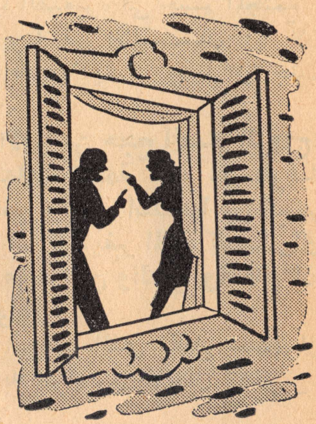
طريق تكوين العائلات ، أو الخلايا الصغيرة فى جسم المجتمع ، تغلبت البشرية على الانانية الغريزية فى الانسان .. لان التضحية تصبح فى العائلة أمرا طبيعيا يسير جنبا الى جنب مع الرغبة الجنسية والامومة ...

وهذا يتطرق بنا الى الحجة الاولى من حجج أنصار الزواج، اذ كيف يبنى الانسان خلية اجتماعية دائمة تقوم على الرغبة الجنسية اذا كانت هذه الرغبة تغير وتبدل أهدافها من البشر كل حين ؟ كيف يبنى الرجل بيتا اذا كان يغير المرأة كلما راق له ؟ وكيف تؤسس المرأة أسرة مؤلفة من والدين واطفال اذا كانت تغير رجلها كلما شاء لها هواها ؟ ..

من هنا وجد الزواج، أى الرباط الذى يكفل استمرار الصلة بين الرجل والمرأة ، وحماية المرأة من الرجال الاخرين، وحماية أطفالهما من عاديات الزمن !

العاشق ليس أسعد من الزوج !

◆ **وهنا** قد يحتج « دون جوان » ـ باعتباره ممثل وجهة نظر أعداء الزواج ـ بأنه لا يبالى بالخلية الاجتماعية أو حفظ النوع ، وان الحياة فى نظره هى تجديد مستمر للرغبة والمتعة دون قيود .. ولكن هل صحيح ان حرية تغيير العشيق كل حين ، تجلب السعادة ؟ بل هل صحيح ان العاشقين غير المتزوجين يستمتعان بحرية تفوق حرية الزوجين ؟ الواقع ان الحب بين غير المتزوجين لا يقل قيودا عن الزواج .. **فان المشاكل التى تعقد الحياة الزوجية وتنغصها ـ مثل المشاجرات، والغيرة ، والملل واختلاف الاذواق ـ توجد فى كل صلة بين رجل وامرأة ، شرعية كانت أو غير شرعية .. والحب الحر ليس فى الواقع حرا !** .. واذا أردت مثلا على ذلك فاقرأ قصة غرام الموسيقى « ليست » و «مدام داجول» .. أو اقرأ ـ فى



خلاف .. !

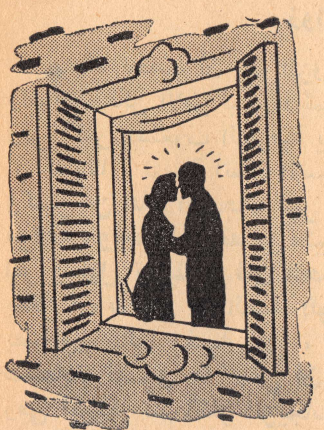
قصة أنا كارنينا ـ الفصل الذى يصف فرار « أنا » مع «فيرونسكى» ، تجد فيرونسكى يعانى من شكوك عشيقته وخوفها من فقده أضعاف ما يعانيه الزوج من مضاعفات الزواج .. !

الزواج رابطة .. لمصلحة الطرفين

◆ **والحجة الثانية** من حجج أنصار الزواج هى أن أى حب لا يخلو من اختلاف ومشادات بين الحبيبين ، بين الحين والاخر .. فاذا لم يكن هناك رباط مقدس يربط بينهما فان أى خلاف أو مشادة بينهما قد تؤدى الى انفصالهما ، الذى لابد أن يندما عليه بعد وقوعه .. وبالمثل تتعرض صلة الحبيبين للانقطاع فى كل مناسبة تتهددها ، مثل مرض أحدهما زمنا طويلا ، أو بلوغ أحدهما طور الشيخوخة ، أو غير ذلك من الازمات التى ينعكس تأثيرها فى حالة الزواج فتقوى من الرابطة بين الزوجين بدلا من أن تضعفها أو تنهيها .. فالزواج هو الرابطة الوحيدة التى يزيدها « الزمن » قوة على قوة .. !

والحجة الثالثة فى تأييد الزواج هى أنه خير صلة تحقق التفاهم بين الجنسين وتغذى التجاوب الروحى بينهما .. **فالزوج بحكم خبرته الكاملة بنفسية زوجته يستطيع أن يفهم النساء عامة فهما أعمق من فهم الاعزب لهن ، ومن يفهم النساء يستطيع أن يفهم الحياة كلها فهما أدق وأصوب .. والاعزب**

مخلوق غير اجتماعى ، وحريته حرية أقرب الى الفوضى ..
ثم ان انشغال العوانس والعزاب بأنفسهم انشغالا متزايدا كلما تقدموا فى السن قد يفقدهم اتزانهم العقلى، فالعزوبة بالنسبة للرجل العادى — وقد يستثنى من ذلك الفنانون — تؤدى الى انحطاط مستواه الذهنى وتدهوره .. فضلا عن ان انغماسه فى ملذاته الجنسية الحرة لا يمنحه عشر معشار سعادة الزوج والاب ورب العائلة فى الزواج الموفق .. ناهيك بما يحسه الاعزب المتقدم فى السن من وحشة كئيبة وفزع من الموت ، يصاحب غالبا كل معيشة متحررة من القيود .. واذا كانت حياة المرأة مع الزوج عسيرة فان حياتها مع العشيق أشد عسرا وتعقيدا .. !



وفاق .. !

فشل الغاء الزواج فى روسيا

ولعل أحدث تجربة بصدد المفاضلة بين الزواج والعشق الحرام هى التجربة التى قامت بها روسيا بعد ثورتها الشيوعية .. فقد حاول المجتمع الروسى أن يلغى الزواج فى البداية ، أو يجعله حبرا على ورق .. ولكن لم تمض سنوات حتى أيقن الجميع — نساء ورجالا — أنهم أشقى بكثير مما كانوا.
وقد عبرت امرأة روسية عن هذا المعنى فى رسالة كتبتها الى حبيبها وقالت فيها : « أريد سعادة ولو ضئيلة خاصة بى ، وقفا على ، سعادة شرعية ! .. انى احلم بركن هادىء استطيع أن أنفرد بك فيه .. ألا يفهم المجتمع أن هذه ضرورة انسانية؟»

زواج الحب

◆ **قد** يحدث أن يتم الزواج نتيجة حب سابق بين الرجل والمرأة ، لكن الامر ليس دائما كذلك .. ففى العصور القديمة وفى أكثر الشعوب الشرقية يتم الزواج ضد رغبة أحد الطرفين أو كليهما ، نتيجة اتفاق الاسرتين مثلا ، أو وساطة الوسطاء . **وكثير من هذه الزيجات غير المبنية على الحب تكون سعيدة موفقة ، وأحيانا اسعد من مثيلاتها المؤسسة على الحب .. وهذا أمر يسهل تعليله : فان الحب العنيف يولد أحلاما خيالية لا يمكن أن تتحقق فى الحياة الواقعية . والعشاق حين يتزوجون يصابون غالبا بخيبة أمل ، لانهم كانوا يتوقعون من الزواج سعادة تفوق ما يمكن أن تسمح به الحياة نفسها ..** وفى أمريكا تتم أكثر الزيجات نتيجة حب سابق ، لكن نسبة الطلاق فى امريكا تفوق نسبتها فى أكثر البلاد الاخرى ايضا ..!

فالشاب العصرى يحلم بزوجة فى جمال كواكب السينما واناقتهن .. لكنه يغفل عن حقيقة هامة ـ بل حقائق ـ تنكشف له بعد الزواج .. من هذه الحقائق ان جمال كواكب السينما أكثره خداع مصور بارع ، والجزء الحقيقى منه يساهم فيه جيش من خبراء الجمال والحلاقين والمزينين والمدلكين ، فهو جمال مصنوع لا مطبوع .. !

والشاب العصرى يجهل أيضا أنه خلال حياته الزوجية سوف يقع بصره على زوجته بثيابها البيتية وشعرها المشعث ومزاجها الحاد .. والشابة العصرية تجهل بدورها أن الرجال أنانيون بطبعهم ، وانهم كثيرا ما يكونون منهوكى القوى بسبب أعمالهم فيعودون الى بيوتهم فى حالة يرثى لها من العصبية وحدة الطبع .

فماذا تكون النتيجة ؟ .. يصاب الزوجان بخيبة أمل ، وبدلا من أن يقولا لنفسيهما أن لا شىء فى هذه الدنيا كامل ،

ولا حتى الحب ، تراهما يحسبان أنهما قد أخطآ الاختيار ، وان الكمال يمكن أن يوجد فى شريك حياة آخر ٠٠ ومن ثم يسعيان الى الطلاق ويحصلان عليه ، فيأخذ كلاهما فى البحث عن الشريك الجديد ٠ ثم تتكرر المأساة ويتكرر الطلاق ، فالزواج ، فالطلاق ٠٠ حتى تعلمهما الشيخوخة والتجارب ان يقبلا التسامح واللين ، أو « الحل الوسط » الذى كان ينبغي أن يقبلاه فى حبهما الاول ! ٠٠ ولو انصفت الجامعات والمدارس لادخلت فى برامجها دراسة أساليب « التسويات » الزوجية ، أى التقابل فى منتصف الطريق ٠٠ ثم دراسة نفسية الازواج والزوجات ٠٠ فان الزواج الناجح هو الذى يقوم على التسوية والتراضى ، والتسامح ، لانه من العسير بل المستحيل أن يوجد انسانان يتفقان فى الطباع والعادات والميول ، فاذا لم يوطن كل طرف نفسه على شىء من التضحية ، وقدر من التساهل والتراجع عن مطالبه ، واذا لم يتعلم كيف يقابل الشجار بالمزاح ٠٠ فقل على الحياة الزوجية السلام ٠٠ !

المشكلات الجنسية

◆ **على** أن أصعب ما يمكن تسويته من أبواب الخلاف الزوجى هو باب الخلاف الجنسى ٠٠ ولا شك أنه توجد حالات يتم فيها التوافق الجنسى الناجح بين زوجين ذوى طبيعة حارة مثلا ، ولكن فى أكثر الحالات تمتع المرأة زوجها دون أن تستمتع هى باللذة الجنسية ٠٠ ويزيد من عذابها ما تقرأه فى القصص والاشعار عن العالم الساحر الذى يعيش فيه غيرها من النساء ! ٠٠ **ولابد لتحقيق التوافق الجنسى الكامل بين الزوجين من أن يكيف كل منهما طبيعته وفق طبيعة الاخر : بالصبر الجميل ، والمحاولات المتكررة ، والتسامح المتبادل ، والتقدير السليم ٠٠ وهذه المشكلة تواجه المتزوجين زواج حب**

مثل ما تواجه المتزوجين زواج مصلحة ، على السواء ..

والمشاهد ان زواج المصلحة قد بدأ فى التناقص منذ نهاية الحرب العالمية الاولى (سنة ١٩١٨) وأخلى مكانه لزواج الحب، أو فى القليل لزواج « الرضا المتبادل » بين الطرفين نفسيهما، لا التراضى بين أسرتيهما ! .. وهكذا صارت المرتبة الاولى من الاعتبار للنظرة الجذابة ، والطبع الرضى ، والتوافق فى الذوق والميول الجثمانية والذهنية .. بعد أن كانت للمركز الاجتماعى والمكانة الشخصية أو الثروة المالية ! .. ورغم ذلك فان اجتماع الجاذبية الجنسية والذهنية المتبادلتين معا ، غير كاف لتكوين زيجة سعيدة .. وسواء كانت الزيجة زيجة حب أو مصلحة فان الشرط الاساسى الذى لابد من توافره لتحقيق السعادة الزوجية هو أن تصح نية الطرفين ورغبتهما المخلصة من البداية على أن يكون زواجهما زواجا دائما .. أما لو قال الرجل لنفسه وهو مقدم على الزواج : « اذا سئمت زوجتى فسوف أخونها سرا مع نساء أخريات ! » .. أو لو أضمرت المرأة هذه النية : « اذا لم يعجبنى زوجى فسوف أحصل على الطلاق ! » فان زواج مثل هذين الطرفين لا يمكن أن يدوم ..!

واذن فخير مسلك ينبغى أن يسلكه كل من الزوجين هو أن يبيت النية على قمع نزواته وشهواته ،ويقسم لنفسه هذا القسم : «انى أقيد نفسى بشريكى هذا مدى الحياة ، ومنذ الان سيكون هدفى : ليس ان أبحث عن شخص آخر يمتعنى ويسعدنى ، بل أن أمتع وأسعد هذا الشخص الذى اخترته ! » .. فاذا كان هذا القسم جديا « ومخلصا » فهو قد يكفى وحده لتحقيق الزواج السعيد .

صعوبات الحياة المشتركة

◆ **أن** مصاعب الحياة المشتركة كثيرة ومتشعبة ·· والسبب الرئيسى لها هو الاختلاف الطبيعى بين أساليب تفكير ومعيشة كل من الجنسين وأساليب الجنس الاخر ، وان كان الاتجاه الحديث يميل الى الغض من أهمية هذا الاختلاف · فقد صارت برامج تعليم البنات شبيهة ببرامج تعليم الذكور ، والوظائف التى يشغلها النساء هى ذات الوظائف التى يشغلها الرجال ، وفى كثير من البلاد منحت المرأة حق الانتخاب ·· لكن هذه المسألة ينبغى أن لا تنسى الرجال أن المرأة هى المرأة دائما ، وأن جنس الاناث هو الجنس العاطفى ، أو السلبى ، وجنس الذكور هو الجنس النشط أو الايجابى ·· وأن هناك بين عقل المرأة وجسمها صلة أوثق وأقرب من الصلة بين عقل الرجل وجسمه ·· فالرجل يفكر فى العالم الخارجى والمرأة تفكر فى مملكة بيتها ، وفى الحب والامومة ···

أفكار الرجل تسير بسرعة الطائرة ، وأفكار المرأة تسير بسرعة القدمين ·

الرجل يبتكر الانظمة والنظريات والمبادىء والآراء الفلسفية ·· والمرأة لا تفكر الا فى الحقائق، ولا تهتم بالنظريات المجردة الا اذا كانت تحب رجلا يؤمن بتلك المبادىء، أو اذا كانت تعانى مرارة اليأس من اهمال مثل هذا الرجل لها ·· فالفلسفة عند المرأة هى بمثابة الحداد الخفى على عاطفة فقدتها ·· !

الرجل يخلص للآراء والمبادىء ، والمرأة تخلص للكائنات البشرية ··· فاذا ارتفعت أسعار الاطعمة مثلا ، أو نشأ خطر نشوب حرب ، بسبب سياسة حزب معين ··· أخلص الرجل لحزبه ودافع عنه ، أما المرأة فهى لا تتردد فى ترك حزبها كى تحافظ على سلام بيتها وسعادته ·· !

عندما يحب الرجل ٠٠ والمرأة

◆ **وقد** يسأل سائل : ولكن كيف يختلف تفكير المرأة عن تفكير الرجل ، وهما يتعلمان فى مدارس واحدة ، وطبقا لبرامج ومواد واحدة ؟ ٠٠ وليس أبلغ فى الرد على هذا من العبارة التى قالتها يوما طالبة فى كلية الطب : « **لو شقى الطبيب بسبب فشله فى الحب فانه يستمر فى زيارة مرضاه والعناية بهم كالعادة ٠٠ أما لو أصبت أنا مثلا ــ أو أية امرأة ــ بصدمة فى حب ، فانى ألازم فراشى لابكى ليل نهار !** » فالنساء لا يمكن أن يشعرن بسعادة الا اذا عشن فى جو عاطفى ٠٠ والمرأة الناجحة فى عمل من أعمال الرجال تتمنى أن تجد رجلا يتولى عنها عملها كى تصبح هى مساعدة له ، وحبذا لو استطاعت أن تحبه ! ٠٠ فالنساء رائعات كمساعدات للرجال ، لا كمديرات أعمال أو خالقات مشروعات ٠٠ لان الشىء الوحيد الذى تنبغ المرأة فى خلقه ، هو طفلها !

على ضوء هذه الاختلافات بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل ينبغى ان يواجه كل من الزوجين خلافاته مع الآخر ، ويسويها . .

◆ **وهناك** عدة أساليب فى تسوية الخلافات المحتومة بين طبيعة المرأة ــ التى قوامها الحب ــ وطبيعة الرجل التى قوامها العالم الخارجى ٠٠ **والاسلوب الاول منها هو سيطرة الرجل الانانية على بيته ٠٠ فرجل الاعمال أو الفنان يثور ــ وله الحق فى ان يثور ــ على طغيان الزوجة ، وقد يهجر بيته ــ كما فعل « تولستوى » فى أخريات أيامه ــ اذا لم توفر له زوجته فيه جوا يلائم رسالته التى يعيش من أجلها** ٠٠ وحيثما يكون من المحتم أن يفاضل الانسان بين الحب والعمل ، أو الحب والواجب ٠٠ نرى المرأة تناضل بقدر طاقتها للاحتفاظ بالاثنين ٠٠ أما الرجل فهو لا يكون رجلا اذا طغت عاطفته على هدف حياته ٠٠ وأمامنا أمثلة حية يقدمها لنا الروائيون فى قصصهم

المستمدة من صميم الحياة ، منها مثل « كارمن » ، التى دمرت حياة حبيبها الضابط ومستقبله ... « ومانون ليسكو » التى قادت حبيبها الى ارتكاب الجريمة بعد الجريمة !

... وحتى الزوجة يجب أن يخشى بأسها وخطرها اذا أرادت أن تسيطر على حياة زوجها من جميع النواحي ، وتستأثر به ، فأنها عندئذ لا تلبث أن تدمره .. **وهو يكون قد قضى على نفسه اذا وصل الى المرحلة التى تصبح فيها زوجته ـ أو زوجته وطفله ـ محور وجوده واهتمامه وحدهما . وانها لعلامة خطرة أن يحس الرجل أنه لا يكون سعيدا الا فى مجتمعات النساء ..** فان الرجل الكامل الرجولة يحب اصطراع العقول كما كان أجداده يحبون تشابك السيوف !... واصطراع العقول لا يكون فى مجتمعات النساء، أو حتى فى مجتمعات النساء والرجال المختلطة .. !

ساعة لعملك .. وساعة لقلبك

لكن هذا لا ينفى دور المرأة ونصيبها فى الحياة الزوجية السعيدة .. فلئن وجب على الرجل أن يخرج من بيته فى النهار ، ليقضى ساعات عمله مع غيره من الرجال ، فانه حين يعود بعد انتهاء حصته من العمل يحب أن يجد فى بيته جوا آخر مغايرا للجو خارج البيت .. أو على حد تعبير د.هـ. لورنس : « ان الرجل لا يمكن أن يكون رجل أعمال أربعا وعشرين ساعة فى اليوم .. فحتى نابليون كان يسره أن يعود الى بيته بعد انتهاء عمله ليخلع حذائيه ويجلس عند قدمى زوجته ، ويخضع لسحرها ، ولعالمها الخاص : عالم الحب ، والعاطفة والعطف . وانه ليلذ لكل رجل أن يخلد فى وقت الراحة للمرأة وعالمها الخاص »

والمرأة الحقة لا تغار من حب زوجها لعمله وتفانيه فيه ، أو من نشاطه السياسى او العقلى ٠٠ وهى قد تتألم من ذلك فعلا ، لكنها تكتم ألمها وتشجعه على الاستمرار فى طريقه ٠٠ وفى القصة القديمة أن «أندروماك» أخفت دموعها حين حانت ساعة رحيل « هيكتور » فقد كانت تعرف ما ينتظر من المرأة أن تقدمه للرجل من معونة ٠٠٠

الزواج ٠٠ ورقة يانصيب !

◆ **وانه** لمن المهم فى هذا الصدد أن نذكر دائما أنه مهما كان كلا الزوجين راغبا فى الزواج من الاخر ومتحمسا له قبل اتمامه، فان وصول الطرفين الى التوافق المرجو أمر عسير المنال ٠٠ **ومهما بلغ عمق الحب المتبادل بين الاثنين ، وذكاء عقليهما ، فلابد أن يجد كلاهما نفسه فى الايام الاولى من الزواج بازاء شخص يكاد يكون غريبا عنه تماما !** ٠٠ ولقد سميت الاسابيع الاولى التالية للزواج باسم « شهر العسل » ٠ والواقع أن كل صعوبة تنسى خلال ثمل الليالى الاولى التى يقضيها الزوجان معا : فالزوج يهجر اصدقاءه ، والزوجة تهمل هواياتها السابقة ٠٠ ولكن قد لا تنقضى أسابيع أو شهور حتى نسمع لهجة كلا الزوجين فى الحديث عن الاخر قد تغيرت ، فانه يكون قد مل العواطف العنيفة وتاق الى هواياته الاولى الهادئة !٠٠

ولكن أحيانا تسوء الامور أكثر من ذلك ، وينقلب « عدم التفاهم » الى عداء خفى ، فترى كلا الزوجين يحدج صاحبه بنظرة انتقادية تتصيد الاخطاء ٠٠ فاذا أويا الى فراشهما كانا أشبه بغريبين صامتين ، مفتوحى العينين ٠٠ ثم تنفلت الزوجة فجأة فى البكاء ، وتتساقط دموعها من عينيها فى الظلام ، والرجل يصغى الى نشيجها صامتا !٠٠ فى مثل هذه الحالات يكون لابد من أن يتنازل كل طرف عن بعض أحلامه القديمة

ويلتقى مع شريكه فى منتصف الطريق . **وليذكر الاثنان أن الكمال لا يمكن بلوغه ، ولو بلغاه ـ بمعجزة من معجزات الحب ـ فانهما يعجزان عن الاحتفاظ به طويلا . والواقع أنه من الخطأ أن يتزوج المرء كما يشترى تذكرة اليانصيب ، قائلا لنفسه : « من يدرى ؟ ربما أصير سعيدا ! » .. وانما ينبغى بدلا من ذلك أن يكون لسان حاله هكذا : « أنا أعرف اننى لابد سأصطدم بشىء من الشذوذ فى شريك حياتى .. لكنى يجب أن أتغاضى عنه وأنجح فى حفظ بنيان بيتنا من الانهيار ... وسوف أنجح ! »**

والواقع أن أى مشروع يقدم عليه الانسان فى حياته لا يمكن الوثوق من النجاح فيه ، مهما صحت عليه نيته ، وتوفر له الحماس والعناية ، ولا سيما اذا كان الامر يتعلق بأكثر من شخص واحد .. ولكن اذا انعدمت الثقة فى النجاح من البداية فالفشل مؤكد لا ريب فيه .. !

الزواج الناجح يحتاج الى مجهود متواصل !

والزواج ـ كأى مشروع ـ لا يكفى أن ينجح فى البداية ، بل لابد من مداومة بذل المجهود المتواصل للاحتفاظ بذلك النجاح ! .. أما لو قال الزوجان لنفسيهما « لقد ربحنا المباراة .. فلنأخذ قسطا من الراحة ! » فانهما يرتكبان أكبر خطأ فى حق سعادتهما المشتركة . فالزواج الناجح صرح يجب ان يعاد بناؤه كل يوم والا تهدم ! .. والنظرة فى هذا المقام ، أو الابتسامة ، قد تغنى عن العتاب والايضاح .. ولكن لا شىء فى حياتنا اليومية يبقى اذا اهمل : لا البيوت ، ولا الصداقات ، ولا المتع ... السقوف تسقط على من فيها ، والحب يتبخر وينتهى .. البلاط اذا قدم به العهد يحتاج الى تثبيت .. والمفصلة فى الباب تحتاج الى اصلاح .. وسوء التفاهم بين

الاشخاص ينبغى أن يزال ويصفى ، والا تولدت عنه المرارة فى النفس !٠٠ والشعور اذا تعمق فى النفس يصبح مركزا للفساد والتعفن ، وذات يوم ينفجر « الدمل » أثناء مشاجرة فيرتاع كل من الزوجين حين يرى الصورة التى يحتفظ بها الاخر له فى نفسه !

لابد من التساهل !

وما من زواج يمكن أن يكون سعيدا ما لم يحترم كل طرف فيه ذوق الطرف الاخر وميوله ، فانه من السخف أن يتوقع أحد اتفاق اثنين فى أفكارهما وآرائهما ورغباتهما، لان ذلك مستحيل، بل وغير مرغوب فيه ٠٠٠ وفى شهر العسل يريد كل زوج أو زوجة أن يوهم نفسه أنه متفق مع الاخر فى كل شىء ٠٠ ولكن مع مضى الايام تسترد كل شخصية قوية حقوقها الطبيعية ٠ وهنا لابد لمن يريد أن يجعل الزواج سعيدا أن يخلط الصداقة بالحب بين الزوجين ، والصداقة فى هذا المجال تتخذ معنى التساهل والتسامح ، فان الزوجين يدركان انهما يختلفان ذهنيا وأخلاقيا لكنهما يقبلان عن طيب خاطر اختلاف طباعهما لانهما يجدان فيه فرصة للنضج الروحى ٠٠ فالمرأة اليقظة البارعة الكتومة تستطيع أن تعين زوجها بأفكارها ، وفى هذه الصداقات الذهنية يتضاءل عادة دور المطالب الاولية ومنها االحب الجنسى ، الذى كان ذا أهمية كبرى للزوجين فى البداية ٠٠ وبالنسبة لزوجين متآلفين تآلفا حقيقيا روحيا ، على هذا النمط ، لا تغدو الشيخوخة أمرا كريها مرهوبا ، لان متعة الزوجين حين يشيخان معا تفوق خوفهما من فقدان الشباب٠٠!

◆ **والخلاصة** أن الزواج الموفق الناجح أمر عسير ٠٠ وكيف يمكن أن تكون سهلة حياة انسانين يعيشان معا ، اذا كان كل منهما عرضة لنوبات من العصبية ، والانفعال ، والاخطاء ، والامراض ، التى تفسد حياة صاحبها ؟ ٠٠ الواقع أن زواجا بغير خلاف هو أمر مستحيل ، استحالة وجود وطن لا تصيبه أزمات ! ٠٠ ولكن حين يعتاد الزوجان تسوية خلافاتهما بالتسامح والرقة تصبح أزماتهما أمرا تسهل معالجته ، وخطرا فقد شوكته ٠٠

فالزواج اذن ليس ما يتصوره العشاق ٠٠ ونجاحه لا يحتاج فقط الى جاذبية جنسية ، بل الى عزيمة ، وصبر ، وكياسة ٠٠٠ فاذا توافرت هذه الشروط أمكن الوصول الى شركة جميلة فى الحياة ، مدى الحياة !٠٠ شركة عمادها اركان أربعة : الحب ، والصداقة ، وارضاء الحواس ، والاحترام المتبادل !

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

في الماضي والحاضر

عزيزي القارىء ...

قدمت لك في الاعداد السابقة من «كتابي» طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هي على التوالي : محاكمة «جورجيت هودو» ملكة الجمال الباريسية .. فمحاكمة السفاحين «بيرك» و«هير» .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم «سقراط» .. واخيرا محاكمة «آن بولين» ملكة انجلترا التي اتهمت في شرفها ..

واليوم اقدم لك فيما يلي اشهر قضايا الفساد في العصر الحديث على الاطلاق ، وهي قضية «دريفوس» ، التي زلزلت بنيان المجتمع الفرنسي منذ نصف قرن ، واحدثت ضجيجا في كافة انحاء العالم، حتى لقد اوفدت الصحف الامريكية مندوبين عنها الى باريس ليتابعوا ادوار المحاكمة ويوافوا القراء بأنبائها .

وفي الاعداد القادمة ساقدم لك بمشيئة الله مجموعة منوعة من القضايا والمحاكمات الكبرى التي احدثت دويا.. سواء في الشرق أو الغرب ، ومنها : محاكمة «مرجريت فهمي» .. محاكمة «فلورنس ماي بريك» - وهي المحاكمة التي تعتبر سبة في جبين القضاء الانجليزي - ثم محاكمة « ستافسكي » .. و « الكابتن كيد » .. والمحاكمات الجنائية التي لمع فيها نجم المحامي العالمي «مارشال هول».. وعشرات غيرها


THE DREYFUS CASE
by
W.T. STEAD
الصحفى العالمى
"و. ت. ستيد"
يسجل لعشاق العدالة:
قضية "دريفوس"
المحاكمة التى هزت فرنسا والضمير العالمى
منذ نصف قرن

اشهر قضـــايا الفساد

◆ لعل قضية من قضايا العصر الحديث لم تشغل الاذهان ، وتهتز لها المشاعر ، وتثور لها الضمائر ، كقضية دريفوس : فهى قضية الحق المهدر ، والعدالة المفترى عليها ، والفساد الطاغى .. فساد القادة فى الجيوش ، والقضاة فى محاريب العدل ، الى الحد الذى ذهب معه البرىء البار ضحية الخائن المفسد ، الذى حماه الطغيان ، ووضعه فى منصة الحكم ، واضفى عليه اكاليل الشرف .. وهو الجدير بأن يرسف فى الاغلال ، لولا سيادة الضلال .. !

ولكن عدالة السماء تمهل ولا تهمل .. والفساد لا يدوم الا ريثما تتنبه الضمائر الغافية ، وتنطلق صيحة التطهير مدوية .. فتتبدل الاوضاع بين عشية وضحاها : فاذا الحق ابلج ، والعدل مصـون ، والفساد صريع ، والطغيان مهيض الجناح .. !

وان فى ذلك لآية : ان العاقبة للمتقين .. وان فى ذلك لعبرة : ان الله لا ينصر القوم الظالمين .. فما احرانا ان نؤمن وان نعتبر ، وقد رأينا آية الله تترى وتتكرر ، هنا كما هناك، فينقلب الظالمون شر منقلب، وقد وثب الحق فى اهاب الجيش الحر الظافر ، الذى نقل مصر من حال الى حال.. بل قل طفر بها الى الامام طفرة لم تكن لتبلغها بعد قرن من الزمـان !

واليوم ، تحية لانتصار الحق ، نقدم للقراء قضية دريفـوس ، أشهر قضايا الفساد فى الذمم .. والتطهير فى الامم !

شهرة المظلوم لا الظالم ..

◆ **الشهرة** ذكر يتداوله سمع الزمن، وتتناقله ألسنة الناس. واذا كان هذا هـو مقياس الشـهرة ، فدريفوس من اشهر مشاهير التاريخ .. !

ولكن بماذا استحق دريفوس هذه الشهرة الضافية ؟ ماذا صنع لينالها ؟

انه فى واقع الامر لم يصنع شيئا . فهـو لم يبلغ هـذا الصيت البعيد بما صنع ، بل بما لم يصنع ، وبما تحمل من



آلام وعقاب على ذنوب هو منها براء .. فاضحى بذلك « رمزاً » لضحايا الفساد ، والرمز قد يكون حجرا ، او صورة لجندى مجهول .. وكل ما هناك من فرق ان الرمز فى هذه الحالة كان له اسم ، وكان هذا الاسم هو «دريفوس» .. !

شخصية دريفوس

وكل ما كان يؤهل دريفوس للقيام بهذا الدور هو فضائله السلبية : فقد كان رجلا نظيفا ، شجاعا ، ذكيا ، طموحا ، رب اسرة مستقيم الخلق .. واذا هو ينكب فى حريته وشرفه بتلك التهمة الظالمة التى قضت على مستقبله !

ولم يملك الرجل دفاعا عن نفسه سوى ان يصيح بأعلى صوته : «انى برىء !» .. ولكن صيحته ذهبت مع الريح ، وضاعت فى ضجيج الاتهام الظالم والحماسة الشعبية المضللة ، فاغلق عليه باب «قبر الاحياء» : باب السجن الرهيب ، ليغيب فى ظلماته سنوات ! .. حتى قيض الله لضمير «الرأى العام» ان يتحرك ، بفضل جهود ابطال الانصاف الذين طلبوا اعادة محاكمة السجين التعس ، الميت الحى ! .. ففتح الباب مرة اخرى ، ليخرج منه الى قفص الاتهام دريفوس آخر ، قد ابيض عارضاه ، واسرعت اليه الشيخوخة قبل الاوان .. !

.. فليست قيمة دريفوس اذن فى شخصه ، بل فيما يرمز اليه ... فان الآلة الضخمة حين تنتزع عاملا من مكانه ،

لتلوكه بين دواليبها الهائلة لا تثير الناس لشخص هذا الشهيد وصفاته الذاتية ، بقدر ما تثيرهم لانـه بشر برىء .. ولانه ضحية ، محض ضحية !

بل ان دريفوس كان اكثر من مجرد ضحية ، كان بمثابة «انبوبة اختبار» ، او ورقة من «عباد الشمس» وضعـت فى محلول هو المجتمع الفرنسى ، لتدل على طبيعة ذلك المحلول !.. فقضية دريفوس لا تعنى البشرية بما تضمنته من وقائع ، بقدر ما تعنيها لما تدل عليه هذه الوقائع من انحلال فى بنية الامة الفرنسية فى ذلك العهد، وتغلغل من جانب الفساد والتعفن فى اداتها الحكومية وضمائر رجالها العموميين ... فقد كانت قضية هذا «الانسان» بمثابة مرآة سحرية رأى فيها كل فرنسى ذى خطر صورة روحه التى بين جنبيه ، وصورة روح فرنسا فى ذلك الحين ... كما كانت القضية فيصلا فارقا بين الحق والضلال ، بين الصدق والخديعة ، بين الرجولة والخسة ، بين الاريحية والنفعية ، بين البطولة والجريمة ، وبين النبـل والوصولية ..

فما اتفه الشخص فى دريفوس بالقياس الى هذا الاثر الهائل الذى نجم عن محاكمته ، وهذه العبرة الكبرى التى خرج بها الشعب الفرنسى ــ بل شعوب العالم قاطبة ــ منها: وهى ان العزة بالاثم اشد نكرا من الاثم فى ذاته .. وان الامعان فى الضلال ، وادعاء العصمة من الخطأ ــ فرارا من الاعتراف به ! ــ لهو اقصى درجات الغرور والغباء ، بل الاجرام ! .. فهو يدفع اصحابه الى محاولة محو الاخطاء ، او فى القليل سترها ، ولو كلفهم ذلك التورط فى جرائم التزوير والاختلاق والنصب .. بل والقتل اذا لزم الامر !

والآن لنبدأ القصة من أولها ...

من هو دريفوس ؟

◆ **هو** الزاسي ، ولد فى سنة ١٨٦٠ – من اصل يهودى – فما بلغ العاشرة حتى وقعت حرب السبعين ، وهزمت فيها فرنسا هزيمتها النكراء ، فقضت شريعة الغالب ان يفصل عنها اقليما الالزاس واللورين ، «لتأمين حدود المانيا الفتية ضد كل عدوان فى المستقبل» – كما قيل فى تبرير ذلك الاجراء .. !

وتمسك آل دريفوس بفرنسا ، فرحلوا عن الالزاس الى باريس ، وقلب الفتى الصغير يذوب حسرة على مسقط رأسه الذى تدوسه اقدام أجنبية ، وتدنسه ظلال راية الاعداء ... فنشأ والانتقام لوطنه ينمو بين طواياه ، انتظارا لساعة الفصل الحاسمة يوما ما ..

فلما اشرف على الثامنة عشرة كان طبيعيا ان يلتحق بمدرسة الهندسة العسكرية (البوليتكنيك) .. وحين اتم الدراسة فيها دخل مدرسة المدفعية التطبيقية ، فتخرج منها ملازما ثانيا فى سلاح المدفعية وهو فى سن الثانية والعشرين

وهكذا خطا أول خطوة نحو الانتقام لبلاده العزيزة من المانيا المغتصبة ..

والواقع ان فرنسا كلها كانت تموج بمثل ما يموج به صدر دريفوس الشاب من رغبة فى الانتقام من المانيا واسترداد الالزاس واللورين منها بالدم والحديد ! .. ومن ثم بدأت الدولة كلها تقدم ابناءها واموالها قربانا لذلك المعبود الجديد ، «اله الانتقام» .. واستمرت تلك القرابين ثلاثين عاما ، تضخم فيها الجيش ، وتورم سلطانه .. وتورمت ايضا ديون فرنسا ، وارهقتها الضرائب حتى شلت حركة العمران فيها او كادت ..!

دريفوس فى الجيش ..

◆ **وفى** هذه الاثناء كان دريفوس يشق طريقه فى الجيش

مخلصا ، مجتهدا .. فلما تقدم لدخول مدرسة اركان الحرب وهو فى سن الثلاثين ـ سنة ١٨٩٠ ـ كان ترتيبه فى امتحان القبول ٦٧ .. ولكنه تخرج بعد سنتين فكان التاسع بين الناجحين ، وحاز درجة «جيد جدا» ! .. وبذلك صار عضوا عاملا من اعضاء هيئة اركان الحرب ـ التى تضم ٢٠٠ ضابط فقط ـ وهو شرف لا يناله الا الاكفاء ، وتتقطع دونه اعناق الكثيرين .. وقد نال ذلك الشرف وهو فى الرابعة والثلاثين .

وكان هذا النجاح السريع ، مضافا الى شبابه ، وثرائه الموروث ، سببا فى اثارة حسد الكثيرين له ، وغيرتهم منه .. وقد زادت وطأة هذا الحسد حين تزوج امرأة فارعة الطول ، بارعة الجمال ، رائعة القد ، ذات ثروة فاخرة من الشعر الجميل ... فولدت له ولدا وبنتا كانا قرة عينه ، وتمت بذلك له نعمة الدنيا من المال والبنين ...

بداية المأساة ..

◆ **فى ذلك** الوقت كان وزير حربية فرنسا هو الجنرال «مرسييه» ، ورئيس ادارة المخابرات العسكرية هو الكولونيل «ساندهر» .. وكان ساندهر هذا يكره اليهود ، ويغص بوجود هذا اليهودى دريفوس فى هيئة اركان الحرب !

وكان مساعد ساندهر يدعى الكولونيل هنرى .. وكان هنرى هذا خائنا ، حتى لقد باع للملحق العسكرى الالمانى «شفارتسبوكن» اكثر من ١٦٠ وثيقة خطيرة ، من بينها تفاصيل خطة التعبئة العامة للجيش الفرنسى فى حالة الحرب .. !

وفى نهاية يوليه سنة ١٨٩٤ تلقى «شفارتسبوكن» من هنرى ـ عن طريق وسيطه المدعو «استرهازى» ـ اشارة تتضمن ان وثائق خاصة بسلاح المدفعية، وبمستعمرة مدغشقر وتسليحها ، تكاد تكون حاضرة بين يديه .. وانه ماض الى

المناورات ، ويأمل ان يستكمل تلك الوثائق فى خلال بضعة ايام !

وكانت السفارة الالمانية فى باريس تستخدم فى ذلك الحين امرأة للتنظيف وجمع المهملات والنفايات من دارها كل مساء.. فاشترت ادارة مخابرات الجيش الفرنسى هذه المرأة ، لكى تزودها بمحصول سلة المهملات من الاوراق الممزقة .. فلم يكن هذا المحصول يصل الى ادارة المخابرات حتى ينهمك أكثر من ضابط فى لصق قصاصات الورق المتناثرة لمحاولة فك رموزها !

فلما فرغ الملحق العسكرى الالمانى من قراءة رسالة الخائن «هنرى» السالف ذكرها ، مزقها والقى بها فى سلة المهملات .. وفى تلك الليلة عينها كانت الرسالة قد وصلت عن طريق «جامعة القمامة» الى مقر ادارة المخابرات العسكرية الفرنسية ! .. وادرك الضباط الذين فكوا رموزها انهم قد وضعوا أيديهم اخيرا على الرجل الذى ظل يفشى أسرار الجيش للعدو زمنا دون أن ينكشف أمره ..

وانتفخت اوداج «ساندهر» ، وخفق قلبه زهوا وفرحا .. فراح يزأر كالاسد الهصور وقد شم رائحة الفريسة عن بعد!

الشبهة تحوم حول دريفوس

◆ **وكانت** الادلة التى تشير الى المتهم كثيرة : فهناك أولا خط يده الذى كتب به الرسالة ، وهناك ـ ثانيا ـ المعلومات التى تتضمنها تلك الرسالة .. وهناك ـ ثالثا ـ اشارة كاتبها الى انه مزمع ان يشترك فى المناورات ! .. واخيرا كان مضمونها يفصح عن أن صاحبنا من ضباط هيئة أركان الحرب .. !

ولما كانت اكثر موضوعات الرسالة تتصل بالمدفعية ، فقد غلب على الظن ان كاتبها من ضباط ذلك السلاح ! .. وكان طبيعيا والحالة هذه ان تميل الظنون الى اتهام ذلك اليهودى الطارىء على هيئة اركان الحرب : فهو من ضباط المدفعية ،

وكان مرشحا للاشتراك فى المناورات .. فلم يبق الا التأكد ـ بمضاهاة الخطوط ـ من انه كاتب تلك الرسالة المشئومة !

ولما كان الانسان ميالا دائما الى تصديق ما «يتمناه» ، فقد شهد وكيل القسم الذى يعمل فيه دريفوس انه يعتقد ان ثمة تشابها بين خط الرسالة وخط الضابط دريفوس !!

وعندما يريد الرؤساء شيئا ، يؤيد المرؤوسون عادة تلك الارادة ! .. لهذا لم يكد الخبير «ديجوبير» يقرر انه «لا» يعتقد بتطابق الخطين ، حتى استبدل فورا بخبير آخر هو رئيس تحقيق الشخصية «برتيون» !

وفى هذه الاثناء كان الكولونيل «هنرى» قد شعر باكتشاف رسالته ـ التى كتبها بخط شريكه استرهازى فى الواقع ـ وادرك ضرورة تكديس القرائن المضللة التى تؤيد الاشتباه فى دريفوس ! .. ولكن كانت المعضلة الكبرى ان الرسالة كانت مؤرخة فى شهر مايو ، وفى ذلك الشهر كان دريفوس يعلم انه لن يشترك فى المناورات ! .. لكن هنرى احتال على ذلك بأن غير تاريخ الاشارة فجعله شهر ابريل !

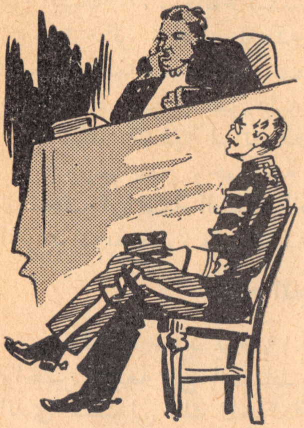
وهكذا تمت حلقات السلسلة ، ولم يبق الا ان يلقوا الاغلال حول معصمى دريفوس .. !

وقد تم القاء القبض عليه فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٤

الخائن يعتقل البرىء !

◆ **وكان** الذى كلف بتنفيذ امر القبض ضابط يدعى البكباشى «ديكلام» ، كتب الى دريفوس الكلمة التالية : «ارجو ان تقدم نفسك لوزارة الحربية فى صباح ١٥ اكتوبر الساعة التاسعة ، لكى تتلقى تعليمات خاصة بك»

وذهب دريفوس فى الموعد المحدد ، فأخذ ديكلام يملى عليه ، بحضور اثنين من كبار موظفى الوزارة ، خطابا يتضمن كلمات مشابهة لما جاء فى الرسالة . فراح دريفوس يكتب دون



أن يفهم المقصود ، بخط واضح متزن .. واذا ديكلام يصيح به:

- انك ترتعد !

- كلا .. ولكن اناملى مقرورة

وفى هذه اللحظة دخل الخائن هنرى ومعه مدير الامن العام وقبضا عليه باسم القانون !.. فصاح دريفوس متعجبا ، ومستفهما ، ومستنكرا .. لكنهم اجابوه بقولهم :

- انك تعرف السبب فلا تتجاهل ، لان خيانتك قد كشفت !

ثم اقتاد هنرى الخائن دريفوس البرىء الى غيابة السجن، حيث اودع زنزانة اعدت له فى اليوم السابق بأمر وزير الحربية .. الذى كان قد وقع أمر القبض قبل عملية الاملاء لمضاهاة الخط باربع وعشرين ساعة !

فى السجن ..

◆ **وكان** طبيعيا ان يثور دريفوس ويغدو اشبه بالمجنون ، فقد راح يصيح طول الوقت متأوها ومتفجعا ، طالبا ادوات الكتابة ليتظلم الى الوزير .. ولكن بغير جدوى ! وعافت نفسه الطعام تسعة ايام ، وصار لا يذوق النوم الا حين يهده التعب من الصراخ والزئير . وزاروه فى سجنه ليحملوه على الاعتراف بما لم يرتكب ، فازداد غضبا وتألما ..

وهاجم ديكلام بيته بحثا عن الادلة المزعومة، دون ترخيص

من النيابة ! .. واباح لنفسه ان يصيح فى وجه زوجته ان زوجها خائن ، خائن لوطنه ولها ، لانه قد ثبتت عليه تهمة الفسوق كما ثبتت عليه تهمة الخيانة العظمى ! .. ثم حذرها من افشاء خبر القبض عليه وهددها بالويل والثبور .. بيد ان السيدة الوفية لم تصدق حرفا مما قيل لها .

ورغم عدم وجود أية ادلة ضد المتهم فقد صرح الوزير للصحف ان تهمة الخيانة العظمى ثابتة ثبوتا قاطعا على المدعو الفريد دريفوس ، وان ادانته محققة !

أمام المجلس العسكرى

◆ **واخيرا** حدد يوم ١٩ ديسمبر لبدء محاكمة دريفوس ، واختير سبعة من الضباط اعضاء للمجلس العسكرى العالى الذى سيتولى تلك المحاكمة .. وكان دريفوس حتى بداية المحاكمة واثقا من صدور الحكم ببراءته ، وتقدم على هذا الاعتقاد الى قضاته . وقد وكل للدفاع عنه الاستاذ «ديمانج»

لكنه تلقى الصدمة الاولى حين طلب نائب الاحكام نظر القضية فى جلسة سرية ، ولم تجد احتجاجات محامى المتهم امام التعلل بمصالح الدولة العليا واسرارها ! .. وهكذا اقفلت الابواب دون نور العلانية ورقابة الرأى العام ..

ومن عجب ان الادلة كانت تقوم كلها على ان دريفوس كان يقضى فى مكتبه ساعات بعد انصراف زملائه بحجة انجاز الاعمال ، وانه قال عند القبض عليه « خذوا مفاتيح مكتبى وفتشوا فى كل مكان فلن تجدوا شيئا يديننى !» .. ولما كان هذا هو الواقع فعلا ، فقد اعتبر دليلا على انه محتاط سلفا حيطة المريب ، وهذا بطبيعة الحال منطق مقلوب .. !

ثم قدمت الرسالة التى يقوم عليها الاتهام ، ومعها تقرير مدير تحقيق الشخصية الذى يزعم بانها مشابهة تماما لخط المتهم !

الملف السرى !

◆ **وبدا** أن القضاة غير مستريحين تماما الى ادانة دريفوس بهذه الادلة الواهية .. وعندئذ لجأ الفساد الى ضربته الكبرى ، فاذا بوزير الحربية يبعث الى رئيس المحكمة بمظروف مختوم فيه ملف سرى ليطلع عليه الرئيس والقضاة ، على الا يطلع عليه المتهم او محاميه ، لان ذلك الملف يتضمن اسرار الدولة العليا . وأصر الوزير الهمام على ان يعود ياوره بالملف السرى فور اطلاع الرئيس عليه دون امهال .. !

وما ان قرأ الرئيس اول وثيقة فى الملف حتى صاح :

ـ وما حاجتنا الى مزيد من الادلة بعد هذا ؟

ثم اطلع زملاءه القضاة على تلك الوثيقة ، وعلى أثر ذلك صدر الحكم فورا بادانة المتهم باجماع الآراء !

وكانت الوثيقة الاولى خاصة ببيع دريفوس اسرار قنبلة أثناء التحاقه بكلية اركان الحرب .. وكانت تتضمن سيرة موجزة لحياة دريفوس تصورها فى صورة غاية فى الابتذال والدعارة . وقد بلغ من قذارة هذه الوثيقة ان وزير الحربية احرقها بنفسه بمجرد استردادها من المحكمة ، كما يدفن القاتل الخنجر الذى اقترف به جريمته ! ولكن صورة من هذه الوثيقة كانت محفوظة بادارة المخابرات السرية ، الى أن كشف امرها فى سنة ١٨٩٧ فبعثوا بها الى الجنرال ميرسييه فى بيتـه ـ وكان قد ترك منصب وزير الحربية قبل ذلـك ـ فاحرقها بنفسـه هى الاخـرى .. !

وكانت الوثيقتان الثانية والثالثة خطابات من الملحـق العسكرى الايطالى الى الملحق العسكرى الالمانى وفيها اشارات الى الوغد « د » الذى يبيعهما اسرارا عسكرية فرنسية ذات قيمة ، واشارات الى ان زوجة « د » تتعشى فى بعض الاحيان مع الملحقـين !

ولما كانت مدام دريفوس لم تقابل الملحقين فى حياتها فلا ريب أن « د » لم يكن هو دريفوس .. !

اما الوثيقة الرابعة فكانت صورة تقرير سرى من الملحق العسكرى الايطالى الى حكومته يقول فيه : «اذا لم تكن لدريفوس علاقة بكم فكلفوا السفير بالتكذيب رسميا حتى نتحاشى تعليقات الصحافة ! »

ولكن وقع تحريف فى فك رموز الشفرة بحيث صار معناها ان القبض على دريفوس يوجب الاحتياط حتى لا يكشف بقية الجواسيس !

وهكذا ادان المجلس العسكرى العالى رجلا بريئا ، ووصم شريفا بوصمة الخيانة العظمى . ولم تجد التماساته واحتجاجاته نفعا فى تغيير الحكم .. فاقتيد الى السجن ، مارا بالكلية الحربية حيث جرد من علامات رتبته ! .. وكان آخر ما استحلف به زوجته ألا تتوانى عن التنقيب والبحث عن المذنب الحقيقى ! !

وفى نفس اليوم طلعت الصحف على الناس بتصريح من وزير الحربية نسب فيه الى دريفوس انه صرح بقوله : «انى برىء .. واذا كنت قد اعطيت المانيا وثائق لا قيمة لها فلكى اجعلها طعما للايقاع بجواسيس المانيا !»

وهو كلام لم يصدر عن دريفوس اصلا ، ويدل على ان وزير الحربية كان يعلم ببراءة دريفوس مما نسب اليه . وقد بعث دريفوس بتكذيب للتصريح المنسوب اليه ، ولكن وزير الحربية لم يسمح بنشره !

الدفين الحى ..

◆ **وما أن** تمت «حفلة» تجريد دريفوس فى الكلية الحربية ، وهو يصرخ محتجا ببراءته ، والشعب المتجمع حول اسوار المدرسة الحديدية يجأر بالهتاف :

ــ الموت للخائن! نريد رأس دريفوس! يسقط يهوذا الخائن!

ما أن تمت هذه المراسم الاليمة ، حتى كان رئيس الجمهورية قد اضطر لاخلاء مقعده لرئيس جديد ، هو المسيو «فور» ، الذى عدل مكان تنفيذ العقوبة ، فبعد ان كان مقررا ان يقضيها دريفوس فى احدى القلاع الحصينة بفرنسا .. امر رئيس الجمهورية بأن يقضيها فى جزيرة الشيطان .. !

وما ادراك ما جزيرة الشيطان ! انها جزيرة نائية تتنازعها امواج المحيط عند ساحل غينية الفرنسية بجنوب امريكا ..

وذهبوا به الى هناك ، حيث قضى عامه الاول منسيا من الناس ، الا من خاصة ذويه ، وكأن حجابا كثيفا قد اسدل بينه وبين الحياة ، كحجاب القبر .. !

ونالت منه الملاريا الوبائية ، وانهارت صحته تحت ضغط آلامه النفسانية والعصبية ، واتلفت جرعات دواء الملاريا المتعاقبة طاقته الهضمية .. وكان طيلة الوقت يكرر لحراسه القساة الجامدى الوجوه الشاهرى السلاح :

ــ انى برىء .. لست خائنا .. وما كنته ، ولن اكونه .. !

.. يرددها فى نغمة آلية ، كأنها «اسطوانة» من اسطوانات الحاكى !

ولما كانت سنة ١٨٩٦ ، امر وزير المستعمرات بأن يضاف الى قيود سجنه قيد جديد ، وذلك بان توضع فى يديه ورجليه الاغلال ، امعانا فى النكاية به .. وان يقيد الى الفراش بقضيب طويل من الحديد لا يسمح له اثناء الرقاد الا بالحركة على جنب واحد ، وبصعوبة وألم شديدين ! اما ثنى ركبتيه اثناء النوم فرابع المستحيلات !

وكان الموت مخرجا مريحا له من هذا العناء ، لكنه كان يكرر دائما انه لن يريحهم بموته ، وظل يكافح الموت بقوة ارادة فولاذية .. فقاوم المرض والآلام النفسية وظل حيا فى قبره النائى على أمل غامض فى استرداد اعتباره يوما ما ..

ولكن هذا اليوم ظل بعيدا ... مدى خمس سنوات طويلــــة !

مفاجـــأة .. !

◆ **وفى أول** يوليو سنة ١٨٩٥ ترك «ساندهر» منصبه فى ادارة المخابرات السرية لخليفته الكولونيل «بيكار» .. قائلا له فى صدد «دريفوس» - الذى كانت الصيحات قد بدأت تتعالى بطلب اعادة محاكمته :

- اذا احتجت لشىء فاطلب من هنرى « الملف السرى » ، وسيقنعك الاطلاع عليه بادانة الرجل !

وبقيت الامور عند هذا الحد الى أن كانت نهاية مارس سنة ١٨٩٦ ، فاذا بجامعة القمامة العتيدة تنقل الى الادارة - فيما تنقل من قصاصات سلة مهملات السفارة الالمانية - رسالة صغيرة موجهة الى استرهازى عضو المخابرات السرية الفرنسية .. يطلب فيها منه ايضاحات كتابية فى صدد «المسألة موضوع البحث» ، حتى يرى الملحق العسكرى هل يستمر فى اتصالاته بمؤسسة « ر » أم لا .. !

واهتم بيكار - الرئيس الجديد - بالموضوع . اذ كيف يتفق أن يكون استرهازى متصلا بالملحق العسكرى الالمانى ؟ وتحرى بيكار سيرة استرهازى فوجده منحلا ساقط السيرة من أكثر من جهة واحدة !

وطلب بيكار «عينات» من خط يد استرهازى ، فهاله ان يجده مطابقا كل المطابقة لخط الرسالة التى ادين بسببها دريفوس !

ورفع بيكار معلوماته الى القائد الجنرال جنوز ، فأمره بالاستمرار فى تحرياته .. فاستدعى رئيس ادارة تحقيق الشخصية (الذى كان قد اقسم امام المجلس العسكرى العالى

ان الاشارة بخط دريفوس) فاذا به يجزم هذه المرة انها بخط استرهازى !

وهنا عاد بيكار الى «جنوز» مقترحا الترخيص له بالعمل الحاسم فورا ! .. ولكن كان معنى ذلك فضح المجلس العسكرى العالى والنظام العسكرى كله امام الرأى العام ، وزعزعة الثقة فى هيبة الجيش . لهذا نصحه «جنوز» بالتريث والحذر .. بيد ان بيكار عاد بعد مدة قصيرة يلح فى العمل الحاسم حتى لا يفلت زمام الموقف ومزية المفاجأة من يد ادارة الاستعلامات الى الجواسيس والاعداء .. فكان رد «جنوز» فى اليوم التالى على بيكار :

ـ ولكن ماذا يضيرك ان يبقى هذا اليهودى فى جزيرة الشيطان ؟

ـ ولكن اذا كان بريئا ؟

ـ ماذا تقول ؟ أوتريد ان تعيد هذه المحاكمة ، لتطيحن بسمعة الجيش وسمعة قواد كبار ـ مثل الجنرال ميرسيه وزير الحربية السابق ـ كانت لهم فى المحاكمة الاولى اصابع وضلوع ! ؟

ـ دريفوس برىء يا سيدى القائد ، وهذا سبب كاف لاعادة المحاكمة .. وهب ان اسرته وضعت يدها على المجرم الحقيقى ، فكيف نواجه الناس حينئذ ؟

ـ انك اذا كتمت الموضوع لن يعلم بالحقيقة احد .. !

ـ ان هذا الذى تقول عجيب وشائن يا سيدى الجنرال . ومهما يكن من امر فلن اسمح لنفسى ان احمل هذا السر معى الى القبر !

وخرج بيكار من الغرفة وقد حزم امره على شىء ! !

جهود امرأة !

◆ **صدق** القدامى حين قالوا ان من الاعداء من يؤدون لنا

خدمات لا يقدر عليها الاصدقاء ! .. ففى سبتمبر سنة ١٨٩٦ نشرت جريدة «اكلير» مقالا او تحقيقا صحفيا بعنوان «الخائن»، تضمن بعض المعلومات عن قضية دريفوس .. **فأرادت صحيفة «الماتان» ان تنافس زميلتها فى هذا المضمار وتحرز نصرا صحفيا مثيرا ، فنشرت صورة زنكوغرافية لما زعمته الرسالة التى اثبت الخبراء انها بخط دريفوس ! .. ولما كانت هذه الاشارة فى الواقع بخط استرهازى فقد أدى نشرها الى انزعاج الملحق العسكرى الالمانى والملحق العسكرى الايطالى لان رجلهما قد انكشف امره !.. اما استرهازى نفسه فبادر بالفرار الى مدينة روان ..**

وكان الاثر المباشر لنشر صورة الرسالة أن تقدمت زوجة دريفوس الى السلطات بالتماس اعادة محاكمة زوجها ! .. فكان رد الحكومة على هذا الالتماس فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٦ غلطة اخرى من سلسلة اغلاطها ، قالت على لسان وزير الحربية فى بيان للصحف :

— ان قضية دريفوس لها قوة الشىء المحكوم فيه ، فلا وجه لاعادة المحاكمة .. !

واذ ذاك اطمأن استرهازى لذلك التصريح فعاد الى باريس. وفى هذه الآونة بالذات ندبوا بيكار لمهمة خارج باريس ، فصارت ادارة المخابرات فى يد الكولونيل هنرى شريك استرهازى فى الخيانة .. فراح يعد سلسلة من الوثائق المزورة المدسوسة على الملحق العسكرى الايطالى ، بحيث يفهم منها ان دريفوس هو « د » المشار اليه فى بعض تقاريره التى استطاعت المخابرات الفرنسية الحصول عليها ! .. بيد ان التزوير كان غير محكم ، كما ذهب الشخص الذى قام به (لحساب هنرى) الى الملحق العسكرى الالمانى وباعه سر ذلك التزوير !

اما هنرى ، فانصرف بعد ذلك الى تدبير ما يطيح ببيكار

الصادق الامين من ادارة المخابرات ، ليحل هو محله على رأس ادارة المخابرات !

والواقع ان المهمة التى ندب لها بيكار فى اخطر بقعة من الحدود التونسية كان المقصود بها التعجيل بالقضاء عليه قبل ان يبوح بسر دريفوس لاى انسان ! .. ولولا ان الجنرال المقيم فى ذلك القطاع لم يكن فاهما للمقصود من المهمة فمنع بيكار من الذهاب الى غاية مداها ، لكان بيكار قد قتل ولا محالة !

وادرك بيكار ان المتآمرين قد شرعوا يلقون شراكهم حوله، فعاد الى باريس حيث قدم لمحاميه الخاص صورة من المكاتبات المتبادلة بينه وبين الجنرال جنوز بخصوص قضية دريفوس ، وحقيقة كاتب الرسالة التى ادين دريفوس بناء عليها ! .. فحمل المحامى هذا كله الى نائب رئيس مجلس الشيوخ المدعو «شويرر كستنر» ، وهو رجل الزاسى فاضل من مواطنى دريفوس كان غير مستريح من بداية الامر لادانته ، فما ان اطلع على هذه المكاتبات ورأى تأشيرات جنوز الفاضحة حتى عقد العزم على اصلاح هذا الخطأ الشائن فقابل رئيس الوزراء .. ولكن رئيس الوزراء صم اذنيه عن نداء العدل ! .. فاتجه الرجل الى الجنرال بيبو صديقه الحميم ووزير الحربية ، ولكن تساند الفساد فى الاداة الحكومية والجيش جعل ذلك الرجل يصم اذنيه ايضا عن نداء العدل والحق .. بل وبدأت الصحف تنشر حملات طافحة بالسباب ضد نائب رئيس مجلس الشيوخ الذى يريد اثبات براءة دريفوس !

ان ربك لبالمرصاد !

◆ **ولكن** فى اكتوبر سنة ١٨٩٧ حدث ما قلب موازين الامور، فقد اكتشف سمسار فى البورصة يدعى ديكسترو ـ كان يتولى شؤون استرهازى المصرفية ـ ان الرسالة بخط عميله

استرهازى لا محالة ، فحمل خطاب استرهازى الذى تحت يده الى نائب رئيس مجلس الشيوخ ، واتضح من المضاهاة صدق اعتقاده ! فسارع شقيق دريفوس الى نشر بيان على صفحات الصحف يتهم فيه استرهازى علنا بأنه كاتب الاشارة!!

وكانت النتيجة المباشرة لانكشاف الامر ان راح انصار الفساد ينشرون حملات منظمة للنيل من أنصار دريفوس ..

وبدأت المعركة الرهيبة بين الفريقين ! .. فراح هنرى واسترهازى يزوران برقيات على انها صادرة من بيكار لكى يلقوا عليه تهمة الخيانة . ولكن شاءت عدالة السماء ان يضع المجرمون «امضاءهم» على التزوير دون أن يدروا ، فقد كتبوا اسم بيكار بالطريقة «الخاطئة» التى يتهجاه بها استرهازى ، فتيسر بذلك لبيكار أن يعرف صاحب التزوير ويعمل على فضح امـره !

ولما أحس استرهازى بوشك افتضاحه توجه لمقابلة الملحق الالمانى وشهر مسدسه فى وجهه مهددا اياه ان يقتله ثم ينتحر ان لم يذهب الملحق ليقول لمدام دريفوس ان الذى كان يبيعه الاسرار الحربية هو زوجها وليس استرهازى !

ولكن الملحق الالمانى رفض هذا الطلب ، ولم يفعل اكثر من أن وعد محدثه بالا يشى به او يبوح بسره ..

تزوير مركب !

◆ **وفكر** المجرمون فى اجراء «تزوير مركب» لانقاذ استرهازى وذلك بأن يدسوا وثائق مزورة على انها صادرة من استرهازى .. ثم يحقق معه فى امرها قضائيا ، فيثبت بطبيعة الحال انها مزورة ضده ومدسوسة عليه ، واذ ذاك يصدر الحكم ببراءته ! .. **وتكون تلك مناسبة طيبة لان تعلن وزارة الحربية انه رجل شريف «استحق تقدير الوطن» وانه ضحية حملة ظالمة من**

المجرمين الخونة ! .. ثم تكون الخطوة التالية اتهام بيكار بالتزوير .. وبذلك يضرب الأثمة الاذكياء عصفورين بحجر واحد !

وقد تم كل شيء بالفعل حسب الخطة الموضوعة ، فأعلنت براءة استرهازى .. وقبض على بيكار واودع السجن !!

انى اتهم !

◆فى هذه اللحظة انبرى لقضية دريفوس محام من نوع ممتاز ، خارق للعادة . ذلك هو الكاتب الالمعى «اميل زولا» ، الذى نشر فى صحيفة «الأورور» اتهاما صريحا لوزارة الحربية بأنها برأت استرهازى بالامر ، للتستر على «جريمة» ادانة دريفوس البرىء غيلة وغدرا !

وكان الاتهام من القوة والعنف بحيث رأت الحكومة انها مجبرة على انقاذ شرفها ، بتقديم «اميل زولا» نفسه للمحاكمة ! بيد ان الفساد كان من الخبث والدهاء بحيث اقتصرت المحاكمة على الفقرة الخاصة بأن تبرئة استرهازى كانت بأمر وزارة الحربية ! .. أما كل ما يتعلق بقضية دريفوس فمنع التعرض له اثناء القضية لانه حائز لقوة «الشيء المحكوم فيه» ! .. وهكذا تحصن الفساد بذرائع ومعاذير قانونية وفقهية ، فى الوقت الذى وقف فيه وزير الحربية فى المحكمة يقول للمحلفين :

ـ اذا لم تدينوا زولا فمعنى ذلك ان شرف الجندية قد استبيح ، وسيضطر كبار الضباط الى تقديم استقالة اجماعية ما دامت تضحياتهم الكريمة لا تقابل الا بالجحود ، وما دامت كراماتهم نهبا لكل منطاول !

وهنا وقف زولا فألقى دفاعه الخالد ، الذى جعل همه فيه أن يدفع التهمة ، لا عن نفسه .. بل عن دريفوس ! .. وقد ختم ذلك الدفاع بعباراته المأثورة :

« ان دريفوس برىء ، اقسم على ذلك، بحياتى ، بشرفى! . .

«فى هذه الساعة الحاسمة . . وامام هذه المحكمة الموقرة، التى تمثل العدالة الانسانية . . وامامكم انتم جميعا ايها السادة، الذين تمثلون صفوة رجال القانون . . وامام فرنسا بأسرها . . بل أمام العالم اجمع . . اقسم ان دريفوس برىء ! . . بل باسم الاربعين عاما التى انفقتها فى الكد والعمل ، وباسم النفوذ الادبى الذى كفله لى ذلك الجهاد الشاق ، اقسم ان دريفوس برىء! . . باسم الصيت الذى بنيته لنفسى حجرا فوق حجر ، وباسم مؤلفاتى التى ساهمت فى نشر الثقافة الفرنسية ، أقسم ان دريفوس برىء ! . . فليتبدد كل ذلك مع الريح ، ولتفنى مؤلفاتى ويمحى اسمى من الوجود ، ان لم يكن دريفوس بريئا ! . . وانه لبرىء !

«ان الجميع يقفون فى هذه القضية ضدى : مجلسا البرلمان . . والسلطات المدنية . . والصحف الكبرى الواسعة الانتشار . . والرأى العام الذى سمم كل هؤلاء افكاره ! . . وليس فى جانبى غير شىء واحد : المثل الاعلى ، المثل الاعلى فى الحق والعدالة ! . . لكنى مع ذلك مستريح الخاطر ، مطمئن الى انى سانتصر . . فلقد عقدت العزم على ان لا يظل وطنى ضحية للاكاذيب والمظالم . وانا اعلم اننى قد ادان بسبب ذلك ، ولكن سوف يأتى اليوم الذى تشكرنى فيه فرنسا على كونى ساهمت فى انقاذ شرفها ! »

ورغم هذا الدفاع البليغ فقد ادانت المحكمة اميل زولا . . حكمت عليه بالحبس سنة وبغرامة قدرها ثلاثة آلاف فرنك ! . . فى الوقت الذى تألف فيه مجلس عسكرى لمحاكمة بيكار محاكمة سرية ، لانه اطلع محاميه على المكاتبات المتبادلة بينه وبين الجنرال جنوز . . فأسفرت المحاكمة عن معاقبته بالطرد من خدمة جيش الجمهورية !

وقدم زولا نقضا للحكم الى محكمة النقض ، فقبلت الطعن ـ لخطأ المحكمة فى تطبيق القانون ـ وامرت باعادة المحاكمة .. غير ان زولا استمع لنصائح الذين حذروه من تعريض نفسه للسجن ظلما وعدوانا ، فآثر الهجرة الى انجلترا للبقاء فيها بمنآى عن الخطر حتى تتغير الاوضاع ..

وهكذا انتصر الفساد على العدالة مرة اخرى !

وزراء يكذبون !

◆ **وكانت** ثالثة الاثافى ان برلمانا جديدا قد أنتخب ، فوقف وزير الحربية الجديد يعلن بكل تبجح ان دريفوس قد اعترف بجريمته ، وقدم للمجلس وثيقة مزورة تؤيد هذا الزعم !.. فقرر المجلس باجماع أصوات النواب ما عدا صوتين (٥٧٢ ضد ٢) ان تعلق صور من هذه الوثيقة المزورة فى كل قرية من قرى فرنسا البالغ عددها ٣٦٠٠٠ قرية ! .. وثار بيكار على هذه الفرية المكذوبة فكتب الى الصحف ان هذه الوثيقة مزورة ، فكان رد الحكومة القاء القبض عليه وايداعه السجن من جديد !

بيد ان الضمير الانسانى أبى على الملحقين الالمانى والايطالى الا أن يعلنا أن الوثيقة مزورة ، وافضيا لوزير الحربية بأن الذى زورها قام بذلك التزوير باملاء الكولونيل هنرى ! .. فأمر وزير الحربية بالتحقيق مع هنرى ، وضيق الخناق عليه ، فاعترف بأنه قام بذلك التزوير لمصلحة الجيش العليا ، فألقى القبض عليه فى الحال !

ولكن ، فى صباح اليوم التالى فوجىء المسؤولون بالعثور على هنرى هذا فى زنزانته .. مذبوحا ! ومازال سر مصرعه غامضا الى اليوم .. !

هل قتل حتى لا يشى بشركائه ؟

هل انتحر بأمر رؤسائه ليصون سمعة الجيش ؟

أم انتحر من تلقاء نفسه خزيا وعارا ؟
علم ذلك عند علام الغيوب ..

ولكن الذى لاشك فيه ان الصحافة قامت وقعدت لمقتله، وقالت انه شهيد الواجب، وان تزويره لم يكن الا «كذبة بيضاء» لصالح الدولة .. وجمع بالاكتتاب العام مبلغ ٦٠٠٠ جنيه لاقامة نصب تذكارى للشهيد الكريم !

واخـــيرا ...

◆ **وانتج** اعتراف هنرى ومصرعه اثرهما العميق ، فاستقال وزير الحربية ، واستقال قائد الجيش «بواديفر» ، وفـر «استرهازى» و«ديكلام» الى انجلترا .. وهناك راح استرهازى يكرر على جميع الاسماع دون حياء انه هو كاتب الرسالة المشئومة بلحمه ودمه !

واضطر رئيس الوزراء «بريسون» أن يعلن اعادة نظر القضية أمام محكمة النقض والابرام .

وفى ٢٦ سبتمبر بدأت المحكمة العليا تحقق القضية من جديد .. وانتهت بعد تحريات دقيقة الى أن استرهازى هو كاتب الرسالة السرية التى أدين بسببها دريفوس . وان هذا كاف لهدم ادانة دريفوس ، ولوجوب اعادة النظر فى قضيته فـــورا !

وهكذا اعيد دريفوس من جزيرة الشيطان الى فرنسا ، لتعاد محاكمته .. لا فى جلسات سرية ، بل على ملأ من الرأى العام فى « رين » . وادلى ستة وزراء للحربية من رجال الجيش القدماء بشهاداتهم ، فقرروا اعتقادهم الراسخ فى براءة دريفوس ! ..

واخيرا جاءوا بالملف السرى المزعوم .. فاذا به خلو من أى دليل ، ما عدا شائعات حشيت بها تقارير سرية لا سند لها ،

فاضطر الجنرال مرسييه (وزير الحربية السابق وقت محاكمة دريفوس الاولى) أن يواجه القضاة بقوله :

ــ اختاروا بيننا : هو أو انا !

أى بين هيبة العسكرية وبين تبرئة دريفوس ! .. ولم يكن القضاة رجال قانون بل رجال سيف ، فخيل اليهم ان المطلوب ان يثبت دريفوس براءته والا فهو مذنب ، لا ان يثبت الاتهام ادانته والا فهو برىء .. !

بيد أن الاستاذين لابورى وديمونج بينا للقضاة العسكريين الوضع الحقيقى لاصول العدالة .. فوجد هؤلاء انفسهم عاجزين عن اثبات الادانة، ولاسيما بعد أن اتضح أن استرهازى اعترف بكتابة الاشارة ، كما ثبت ان استرهازى حضر المناورات وان دريفوس لم يحضرها ..

ورغم هذا كله فقد عز على أكثر القضاة أن يطعنوا هيبة الاحكام فى الصميم فيسجلوا اعترافهم بخطأ الحكم السابق ، فانحاز خمسة منهم ضد دريفوس .. ولم ينصفه من الظلم الفاحش الواقع عليه غير قاضيين فقط !

وهكذا صدر الحكم بحبسه فى قلعة حصينة بارض فرنسا مدة عشر سنوات ! .. ولكن شعور القضاة بخطأهم فى تضحيته ، فى سبيل هيبة القضاء ، جعلهم يشفعون ذلك الحكم برجاء اعفاء المذنب من التجريد من رتبته العسكرية لوجود «ظروف مخففة» .. مع انه لا ظروف مخففة على الاطلاق فى جرائم الخيانة .. وانما هو شعورهم الدفين بنقاء ساحته !

وسرى فى النفوس شعور بالغضب لذلك الذى حدث .. ووضح للناس ان وجود اثنين من قضاة دريفوس يقولان ببراءته ، معناه أن الرجل برىء فعلا ، وليس هناك دليل واحد قاطع على ادانته . كما أن السنوات العشر اخف عقوبة ممكنة للخيانة ! .. واذن فالحكم ينطوى فى الواقع على اعتراف ضمنى بوقوع ظلم على الرجل ، وبانه برىء الساحة ..

واستجاب رئيس الجمهورية لصوت الرأى العام ، فقرر اطلاق سراحه فورا !

وهكذا خرج دريفوس الى نور الحرية في الساعة الثالثة صباحا ، بعد خمس سنوات من دفنه حيا .. !

يطالب برد اعتباره .. بحكم قضائى !

◆ **لكن** الوطنى البرىء الذى أدانه القضاء بحكم دامغ ، لم ير فى «عفو» رئيس الجمهورية ردا كافيا لاعتباره .. فكتب الى رئيس الوزارة – فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠ – يقول : «ان براءتى التى أستشعرها فى قرارة نفسى تهيب بى أن اظل ادافع عنها واسعى لاثباتها – بحكم قضائى – حتى آخر يوم من حياتى .. لذلك اكرر مطالبتى بالحق المشروع لكل مواطن فى الدفاع عن شرفه .. ومن ثم فانى التمس من عدالتكم اصدار الامر باعادة التحقيق فى قضيتى بمعرفة اعلى هيئات القضاء فى البلاد !»

وواصل دريفوس سعيه الى هذا الهدف نحو عامين .. واخيرا – فى سنة ١٩٠٣ – اجابه المسؤولون الى طلبه فشكلوا لجنة من كبار رجال القانون والجيش لفتح باب التحقيق فى قضيته من جديد ..

وعكفت اللجنة على مهمتها طيلة اكثر من عامين آخرين ، بذلت خلالهما جهودا جبارة فى سبيل الكشف عن الحقيقة واثباتها بالادلة القاطعة .. فلما انتهت من ابحاثها رفعت نتيجة التحقيق الى النائب العام ، الذى أمر باعادة نظر القضية من جديد امام دوائر محكمة النقض مجتمعة ..

ونظرت المحكمة القضية ، وقتلتها بحثا وتمحيصا .. حتى انتهت فى ١٢ يوليو سنة ١٩٠٦ الى اصدار حكمها النهائى فيها ببراءة دريفوس من كل ما نسب اليه ، وأحقيته فى التعويض عما أصابه من عسف واضطهاد .. ونشر الحكم على نفقة الحكومة فى خمسين صحيفة فرنسية !

ثم اجتمع مجلس النواب فأصدر - بأغلبية ٣٤٣ صوتا ضد ٨٨ - قرارا بتوجيه الشكر لكل من عاونوا بجهودهم وتضحياتهم على اظهار الحقيقة التى تضافرت قوى الشر والبغى على طمسها .. فأنقذوا بذلك شرف فرنسا وسمعة قضائها وعدالتها من الوحل الذى لطخهما به الخونة الانذال ..!

واخيرا توجت الحكومة حكم المحكمة وقرار البرلمان بمنح **دريفوس وسام فرقة الشرف - «الليجون دونور» - تعويضا** له عما قاسى ومكافأة له عما احتمل !

ثم اقام الجيش احتفالا مهيبا رد فيه للضابط البرىء رتبته العسكرية واعتباره الادبى ..

وبذلك انتهى الطور الاخير من أطوار قضية دريفوس ، التى هزت الضمير العالمى وشغلت الاذهان والصحف نحو اثنى عشر عاما كاملة ! !

والعاقبة للاطهار الابرار .. فى كل زمان ومكان !

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

أستخرجت لك فى كتابى الاول من كنوز الكتب القديمة كتاب «ديكاميرون» لبوكاشيو .. وفى كتابى الثانى «دون كيشوت » لسرفانتس .. ثم انتقلت بك فى العدد الذى يليه من ايطاليا واسبانيا الى « أثينا » القديمة فاستخرجت لك «اليـاذة » هوميروس الخالدة .. ثم صحبتنى الى فرنسا القـرن الثامن عشر حيث تعرفنا الى فيلسوفها الخالد « جان جاك روسو » فى كتابه المشهور «اميل» .. ومن هناك انتقلنا فى العـدد الذى تلاه الى بلاد العرب وجزائرالهند ، فاستمتعنابصحبة ((حى بن يقظان)) و ((روبنسن كروزو)) .. ثم أستأنفنا سياحتنا عبر الاجيال الى مصر الفرعونية فقرأنا ((غرام الاخوين))

واليوم ننتقـل معـا الى جزيرة ((يوتوبيا)) لنتعرف على أهلها واساليب معيشتهم ، كما وصفها خيال المصلح القديم ((توماس مور))

وفى الاعداد القادمة تقـرأ معى باذن الله من هـذه الكنوز القديمة : البطولة وعبادة الابطال (لكارليل) ، الكوميديا الالهية (لدانتى) ، الاوديسة (لهوميروس) ، الامير (لمكيافيللى) السياسة (لارسطو) ، الجمهـورية (لافلاطون) ، رباعيات عمر الخيام .. البخلاء (للجاحظ) ، كليلة ودمنة (لابن المقفع) .. الخ



يوتوبيا

الدولة المثالية كما تخيلها المصلح القديم سير توماس مور

قصة الكتاب .. ومؤلفه

◆ فى سنة ١٩٣٥ ، وبمناسبة احتفال العالم بذكرى مرور أربعمائة عام على استشهاد السياسى المصلح «سير توماس مور» صريعا لطغيان الملك السفاح هنرى الثامن ، أصدر البابا «بيوس الثانى عشر» قرارا بادراج اسم توماس مور فى قائمة القديسين ، رغم أنه لم يكن من رجال الدين !

وقد علق الناقد الانجليزى «أوليفر وارنر» على هذا القرار بقوله : « ان الانجليز مشهورون بأنهم بحارة ، أكثر من شهرتهم كقديسين !.. لكن قرار البابا بتقديس اسم توماس مور قدأضاف عضوا بارزا الى جماعة هى برغم قلة أعضائها متألقة الشخصيات ! »

وقد كان توماس مور سفيرا رفيع المقام من سفراء الملك هنرى الثامن ، حين أعدمه مولاه لانه أبى استخدام نفوذه الكبير فى الدوائر السياسية والدينية لتحقيق مطامع الملك غير المشروعة ، بعد أن أبى من قبل تيسير زواج الملك من « آن بولين » أثناء حياة زوجته الاولى ! (وقد رأى قراء « كتابى » فى قصة محاكمة آن بولين المنشورة فى العدد الماضى كيف ان هنرى الثامن قد أفلح آخر الامر فى ارغام رجال الدين على اصدار فتوى ببطلان زواجه من زوجته الاولى ، ثم عقد زواجه على آن بولين .. فلما زهد فيها بدورها بعد سنوات ثلاث اتهمها بالخيانة الزوجية وأعدمها .. ثم تزوج من ثالثة !)

وقد أثار اعدام توماس مور ضجة كبرى واستنكارا فى سائر دول أوربا، نظرا للمكانة الممتازة التى كانت له فىالقارة بأجمعها ، فاضطر هنرى الثامن الى تكليف سفرائه فى كافة الدول بتبرير ذلك الاجراء بشتى المعاذير ، والزعم ان «مور» قد حوكم قبل اعدامه محاكمة عادلة !

وقد عومل مور فى سجنه أثناء المحاكمة أسوأ معاملة ، حتى لقد حرم من الورق والقلم اللذين طلبهما لتسجيل خواطره فى تلك الفترة العصيبة !.. وبلغ من ضعف صحته وتخاذل قواه نتيجة لتعذيبه أنه حين اقتيد الى مكان المقصلة لم يقو على الصعود اليها ، فأحنقه ذلك وطلب منالضابط الذى يرافقه أن يعينه



على الصعود ، ثم اردف طلبه بعبارته الشجاعة المأثورة : « أما النزول منها فسوف اتكفل به بنفسي ! »

واليوم يندر بين عظماء الانجليز ، بل بين مشاهير القديسين ، من تحظى ذكراه بالتمجيد الذى تحظى به ذكرى توماس مور . والسبب هو أنه ألف كتابا أطلق عليه « يوتوبيا » ، أثر تأثيرا عميقا فى التفكير السياسى للبشرية جمعاء ، وقد وجهه لجميع الشعوب .. فى جميع العصور !

ترجم الى كل اللغات !

◆ وقد نشرت الطبعة الاولى من الكتاب فى مدينة « لوفان » سنة ١٥١٦ باللغة اللاتينية ، لغة الثقافة والعلم فى ذلك العصر ، وترجم الى الالمانية والفرنسية فى حياة مؤلفه .. لكنه - وياللعجب - لم يترجم الى الانجليزية الا بعدصدوره بنحو ٣٥ عاما ، وبعد أنغاب صاحبه فى غيابة القبر ، وانكان قد درس فى جامعات انجلترا ذاتها - باللاتينية - عقب صدوره بوقت قليل ..

ويقول مور فى مقدمة كتابه انه شرع فى تأليفه أثناء مقامه فى هولندة موفدا من ملك انجلترا لعقد معاهدة تجارية معها . والكتاب يجرى فى صورة حوار بينه وبين سائح وهمى يدعى (رافاييل هيثلوداى) ، « زار بلادا كثيرة غريبة ، ورأى أشياء غير مألوفة ، وأمعن فكره فى كل مارأى وسمع ! »

وقد كان من بين العوامل التى أوحت الى مور بصياغة قصته فى صورتها هذه ماتوصل اليه الاسبان والبرتغاليون فى تلك الآونة من اكتشافات بحرية فى بقاع كانت مجهولة تماما ، كما تأثر عند تأليفها الى حد كبير بالقصص والروايات التى عاد يرويها المكتشف الايطالى « أمريكو فسبوتشى » بعد رحلته الى القارة الجديدة «أمريكا» ، التى سميت باسمه ..

من وحى « جمهورية » أفلاطون

◆ على أن الكتاب يستمد فكرته الاساسية - فكرة البحث عن الدولة المثالية - من الحلم القديم الذى داعب من قبل خيال الفيلسوف اليونانى «أفلاطون» فى سفره الخالد : «الجمهورية » ..

والجزء الاول من الكتاب انتقادى ، يعطى صورة للحياة الانجليزية فى مستهل القرن السادس عشر ، بما انطوت عليه من الفساد والطغيان فى كافة نواحيها ، ولاسيما من حيث تركيز الثروات فى أيدى حفنة من النبلاء الاقوياء والهيئات ذات النفوذ - كالكنيسة - الامر الذى أدى الى ترك الفقراء فى حالة حرمان ، وفاقة ، وتعطل ، وعذاب مروع .. وهذه كلها بدورها أدت الى موجة من الجرائم الانتقامية ، أفضت هى الاخرى الى سلسلة من القوانين التعسفية ، بل الوحشية ، التى حاولت بها الحكومة قمع تلك الموجة الاجرامية ..!

والفساد الآخر الذى يحاربه «مور» فى كتابه هو : الحرب !.. فهو يصف الجنود بأنهم « قتلة البشر » ، ولايؤمن بالشرف و «المجد» العسكريين . وانما يندد بلجوء الدول الى شن القتال على نطاق واسع ، فى حين تحرم القتال الفردى وتعاقب عليه !

ثم يخلص مور من هذا - فى الجزء الثانى من القصة - الى وصف الدواء بعد أن وصف الداء ، فيصور المجتمع المثالى - كما خلقه خياله - فى جزيرة وهمية ، لايضطهد أهلها طغيان .. ولا ترف زائد !.. ولايعرفون شيئا اسمه الملكية الخاصة ، أويستعملون الذهب الا فى تحقير الاشرار ودمغهم بوصماتهم المزرية . ورغم أن العمل فى الجزيرة اجبارى ، الا أن ساعاته قليلة معقولة ..

لكن الذى يلاحظه القارىء للكتاب ، أنه وان سرد السائح هيثلوداى - راوى القصة المزعوم - الشىء الكثير من هذه التفصيلات لاحوال أهل الجزيرة ، وشرح العلاج الذى يقاومون به شرور المجتمع .. فان مور نفسه يعارض الكثير من هذه الاصلاحات المقترحة ، ويجاهر بعكسها .. فهو يؤمن مثلا بأن الغاء الملكية الفردية يؤدى الى الفوضى والمذابح .. ويرى أن الذى ينبغى معارضته ليس هو الملكية الخاصة فى ذاتها ، وانما سوء استغلالها !

وبالاختصار ، فان قصة يوتوبيا تصور مجتمعا مثاليا يسهل العيش فيه على جميع المواطنين . أماعن نفسه فقد كان مور زاهدا متقشفا (حتى انه كان يرتدى لصق جسمه قميصا من الوبر الخشن) ، لكنه لم يكن يطالب الناس بأن يتحملوا الصرامة التى يتحملها هو .. ولم يحاول تعزية المعذبين فىالارض بماينتظر أن يلقوه فى العالم الآخر من تعويض عن شقائهم فى هذا العالم .. والواقع أنه كان قوى الايمان بطيب معدن الطبيعة البشرية .. وبالسعادة !.. فجعل أهل يوتوبيا - فى كتابه - يمقتون القسوة على النفس مثلما يمقتون القسوة على الغير ، ويدينون - رغم تعدد الاديان فى بلدهم - بدين فوق الاديان ، هو التسامح فى الدين .. ايمانا منهم بأن نجاح الاديان أوفشلها يتوقف على الامثلة التى يضربها معتنقوها ، فى معاملاتهم للناس ..

يتأرجح بين الدنيا .. والدين

◆ وقد كان مور فى نحو الخامسة والثلاثين حين كتب سفره الخالد هذا . وكان أبوه قاضيا من قضاة « صاحب الجلالة » ، لكن الفتى نشأ فى بيت قريب له من رجال الدين يدعى الكردينال مورتون .. ورغم أنه حذا حذو أبيه فدرس القانون ، فقد كان راجح الفكر فى شتى نواحى الحياة ، بحيث ظفر رغم صغر سنه باحترام وصداقة الكثيرين من أشهر علماء وأدباء عصره . وفى سن الثانية والعشرين بدأ يميل الى حياة العزلة والتأملات ، ثم قضى نحو ثلاث أوأربع سنوات فى أحد أديرة لندن .. لكنه لم يلبث أن تبين أن مواهبه تؤهله للحياة العامة كما تؤهله لحياة الدين والتعبد .. فخرج الى العالم مرة أخرى ، واحترف مهنة القانون .. وتزوج مرتين ، كانت كلاهما زيجة سعيدة .

ونبغ مور فى سلك القانون .. ثم فى السلك الدبلوماسى ، فالسلك البرلمانى ، حيث صار نائبا وخطيبا بارزا فى مجلس العموم .. فلما رقاه هنرى الثامن الى منصب السفير بلغ أقصى قمم الشهرة التى تسمح له بها مهنته . وكانت من أعظم مؤهلاته التى اختير من أجلها فى هذا المنصب الخطير : نزاهته المطلقة وتحرره الكامل من الفساد ، الامر الذي كان في عصره فضيلة نادرة !

فضائل ٠٠ بالجملة !

ومن أمثلة هذه النزاهة أن امرأة حاولت مرة أن ترشوه ، فقدمت له كأسا ذهبية ثمينة ٠٠ فماكان منه الأن نادى ساقيه وأمره بأن يملأ الكأس بالنبيذ ، وبعد أن شرب نخب صحة زائرته ٠٠ أعاد كأسها اليها !٠٠ ومرة قدمت اليه أخرى قفازين بداخلهما أربعون جنيها من الذهب ٠٠ فقبل القفازين لكنه رد الذهب ، قائلا للمرأة : ((انى افضل قفازى دون عائق !))

وكان أسعد أوقات مور الوقت الذى يقضيه فى بيته بجهة «شيلى» ٠٠ وقد وصفه معاصره المفكر «ارازمس» بعد زواجه الثانى بقوله : «ليس فى الوجود رجل محب لاولاده مثله ٠ وهو مشغوف بزوجته العجوز كما لوكانت غانية فتية !٠٠ وهو رضى الخلق الى درجة أنه مهما وقع له من مكاره يقابلها كما لولم يكن فى الامكان أحسن مماكان ! »

وكان مور مولعا بمراقبة وتأمل الحيوانات ، ذواقا للموسيقى ، ميالا الى الرسم ٠٠ حتى انه كان أول «راع» للرسام الشهير «هولبين» عند زيارته لانجلترا ، وقد كافأه هولبين على رعايته له برسم لوحة خالدة له تمثله بين أفراد أسرته جميعا ٠٠ وهى لوحة تعد اليوم من ذخائر الفن ٠

وسرعان ما أدرك الملك نفسه مبلغ سعة أفق سفيره وعلمه وذكائه ، فصار يفاجئه بزيارات متكررة على غير انتظار ، ثم يأخذه ليمشيا فى الحديقة سويا لمدة ساعة وهو يحيط عنقه بذراعه فى مودة واعجاب !٠٠ وقد كانت هذه الحظوة عند الملك موضع حسد زملائه وأصدقائه ، لكنه لم ينخدع بها بل قال لصديق له غبطه عليها : « لست أجد فى ذلك مدعاة للفخر أوالسرور ، فلو كان الملك يربح من قطع رأسى قصرا فى فرنسا لماتردد فى قطعه ! »

يفضل الموت ٠٠ على النفاق !

◆ وكان مصيبا فى رأيه ، ملهما فى اعتقاده ٠٠ فحين طلب الملك منه ـ بعد سنوات ـ أن يقسم يمين الولاء له باعتباره رئيس الكنيسة وحامى الايمان (وكان هذا اللقب من حق البابا وحده !) رفض بكل بساطة !٠٠ وكان معنى ذلك هلاكه ، مالم يعدل عن رفضه ، فان الاعتراف للملك باللقب المذكور كان

ضرورة جوهرية بالنسبة لمشروعية زواجه الثانى !.. لكن العدول عن الرأى الصائب كان خارجا عن نطاق أى تفكير بالنسبة لكاثوليكى فى صرامة مور !.. فكانت النتيجة الوحيدة المنطقية التى تتمشى مع هذا « الثبات » أنه أرسل الى سجن « برج لندن » الرهيب !

ومرت الايام .. وهو ثابت على موقفه ، لاتلين له قناة .. برغم الآلام التى كان يقاسيها فى زنزانته الكئيبة .. حتى لم يعد فى قوس صبر الملك منزع ، وبات من المتعذر تأجيل « نهاية » السجين العنيد الى ما لانهاية . ولكن حتى هنرى الثامن لم يكن فى وسعه التخلص من غريم ذائع الصيت مثل مور بغير اللجوء على الاقل الى محاكمته .. ولو محاكمة صورية !

وحين أحضر الى قاعة المحكمة ، لم يكن بد من أن يختلق ممثل الاتهام الاكاذيب والمفتريات ، لتبرير مطالبته برأسه !.. فلما انتهى المدعى من سرد أدلة « خيانة » المتهم ، التفت هذا اليه وقال فى سخرية : «ان رثائى لك بسبب ارتكانك على الزور والبهتان ليفوق بمراحل رثائى لنفسى من أجل الخطر الذى أتعرض له ! » .. ثم أردف كلامه بالقول انه مايزال «خادم الملك المخلص .. ولكن خادم الله أولا ! »

وكان « طبيعيا » أن يصدر الحكم عليه .. بالاعدام !

١٤ يوما فوق قنطرة لندن !

◆ وفى الليلة السابقة لاعدامه أرسل مور الى ابنته المفضلة « مرجريت » قميصه الوبرى ، وخطابا جرى مجرى الاساطير : «انى أثقل عليك ياعزيزتى الطيبة مرجريت ، لكننى سوف آسف لو تأخرت النهاية عن يوم غد .. فغدا يوم عيد القديس توماس ، وفيه أود أن ألقى ربى ! ودعينى أصارحك بأنى لم أعجب بحركاتك أكثر مما أعجبت بها حين قبلتنى فى المرة الاخيرة .. فانه يروقنى أن لايدع الحب البنوى والبر الخالص للانسان أى وقت فراغ يهتم فيه بحركات المجاملة والمظاهر الدنيوية ! »

وفى اليوم التالى ، حين اقتيد «المتهم» الى منصة الاعدام ، ووضع رأسه فعلا تحت السكين ، نطق بالعبارة التى لعلها أشهر أقواله المأثورة على الاطلاق : « انتظروا حتى أزيح لحيتى جانبا ، فانها لم ترتكب خيانة ! »

وبعد التنفيذ رشق رأس «مور» فى طرف حربة مدببة نصبت فوق قنطرة لندن ، حيث بقى ١٤ يوما ! .. واعتزمت ابنته مرجريت ، التى وجه اليها « مور » رسالته الاخيرة المؤثرة ، أن تبذل كل مافى وسعها للحصول على رأس أبيها ، بالحيلة ، بعد أن رفضت السلطات تسليمه اليها بصفة رسمية ! .. ويقول الرواة أنها نجحت فى بلوغ أمنيتها بطريقة غير مفهومة : ففيما كانت تسير ذات يوم تحت القنطرة ، وهى تتطلع الى حيث علق رأس أبيها ، غمغمت تناجيه : « لقد طالما أسند أبى رأسه هذا على حجرى ، فهلا أسقطه الله فى حجرى وأنا مارة تحته ؟!»

وتحققت أمنيتها ، فسقط الرأس فى حجرها !!.. ومن المحتمل أنها رشت حارس القنطرة كى يلقى اليها بذلك الاثر الوحيد الحزين الباقى من أبيها العظيم !.. على أية حال فان رأس مور بقى فى حيازة ابنته .. حتى دفن معها عند موتها . وهو محفوظ الآن فى محراب خاص فى قبو الاسرة بكنيسة «سانت دنستان» بكانتربرى .. تذكارا «للقديس» الشهيد الذى يعتبره البعض واحدا من ستة رجال ، هم أعظم الاخيار الابرار فى تاريخ الانسانية !

أما كتاب مور العظيم - «يوتوبيا» - فما يزال حيا .. وسيبقى حيا على مدى الاجيال ، باعتباره محاولة جبارة من أقدم المحاولات البشرية لوضع نظام فكرى لمجتمع مثالى !

وفيما يلى أقدم لك خلاصة وافية للكتاب :

أصل القصة

◆ **كان** الجالس على عرش انجلترا هو الملك زير النساء «هنرى الثامن» - ذو الزوجات الست ! - حين سمع توماس مور ، وكان وقتئذ سفيره فى بلاط الفلاندر ، لاول مرة بجزيرة « يوتوبيا » السعيدة .. فعن للسير توماس ، وهو رأس المستنيرين فى عصره ، أن يجعل من تلك الجزيرة مسرحا لنقده المر لاحوال المجتمع السائدة فى زمانه ..

وليس غريبا أن يكون توماس مور قد اخترع قصة تلك الجزيرة اختراعا لكي يصل الى هدفه . وليس غريبا

أيضا ألايكون قد سمع بها ولكنه افترض سماعه بها افتراضا ، واختلق لمن حدثه عنها ـ وقد سماه فى كتابه «رافاييل هيثلوداى» ـ اسما ووجودا ، وهو الشخص الوهمى الذى لاوجود له !

وماذا لو أن الامر كذلك ؟ مادام قد استطاع بهذه الوسيلة أن يزود الادب العالمى والفلسفة الاجتماعية وفلسفة الحكم بكتاب رائع بديع في سخريته اللاذعة ، وفكاهته الرائعة ، وأفكاره الناصعة ، وآماله الخصبة الواسعة !؟

لقد رسم فى «يوتوبيا» حلما بعيد التحقيق ، ولكنه جميل ‥ ومثلا أعلى لايدرك ، ولكنه يرام ويحتذى على مر الاجيال ‥ بل انه أضاف بقصته هذه الى قاموس اللغة كلمة جديدة لم يكن لها وجود من قبل ، هى كلمة « يوتوبيا » ـ أو الطوبية ـ التى صار يكنى بها عن الدولة المثالية أو « الجنة الارضية » !

« عولس » الجديد

◆ **يقول** توماس مور : انه ـ ذات يوم من صيف ١٥١٥ ـ كان خارجا من كنيسة العذراء فى «أنتويرب» ، مقر سفارته فى بلاد الفلاندر (هولندة) ، حين أبصر فى الجانب الآخر من الطريق صديقا له يدعى « بيتر جيلز » يتحدث الى رجل متقدم فى العمر ، لوحت الشمس وجهه بسمرة شديدة ، يرتدى معطفا باليا يوحي بأنه بحار ‥

وقد اتضح له بالفعل فيما بعد أن ذلك البحار كان بمثابة عولس (ULYSSES) بطل الاوديسة فى الزمن القديم ، فقد جعل همه أن يجوب البحار السبعة طلبا للمغامرة ، وجريا وراء الغرائب والشوارد من أخبار البقاع المجهولة !

وصحب توماس مور ذلك البحار مع صديقه « جيلز »



الى بيتـه ، وفى ظـل سنديانة ضخمة فى حديقة توماس مور ألقى البحار على مسامعهما أعجب أقاصيص البحر ، الا وهى قصة جزيرة «يوتوبيا» السعيدة :

◆ **قال** هيثلوداى :

– جزيرة يوتـوبيا هلاليـة الشكل ، يضم قرنا هلالها مرفأ طبيعيا يمتد فيـه الماء هادئـا كالحصير ، لا نوء فيه . أمـا خارج الميناء فالماء شديد السرعة عظيم الخطر ، يتخلل طائفة من الصخور والدوامات التى لايعرف مسالكها الامينة الا أهـل الجزيرة !·· ويرجع الفضل فى شكل هذه الجزيرة الى فاتحها الغابر ، الملك «يوتوباسى» ، الذى أخرج أهلها المتوحشين من ظلمات الجهل الى نور الحضارة والتقدم الانسانى ·· ثم جعـل منها جزيرة بقطع برزخ الارض الممتد خمسة عشر ميلا ، والذى كان يربطها بالقارة المجاورة ·

أهل الجـــزيرة

◆ **وأما** أهل الجزيرة فقوم طوال الاجسام ، بيض البشرة ، شقر الشعر ، زرق العيون ·· يسكنون مدنها الكثيرة الجميلة ، وكلها متشابهـــة فى الشـكل والتخطيط ونظام الحكومة ·· ولكنها متباعدة ، يفصل بين كل مدينتين منها أربعة وعشرون ميلا · ولاتفكر مدينة من تلك المدائن فى توســيع رقعتهـا المرسومة لها ، على حساب الحقول التى تغل القمح ، أو المراعى التى تغذى السائمة ···

وفى تلك الحقول والمراعى بيوت نظيفة لطيفة يسكنها أهل الزراعة والرعى ، ومزارع كاملة العدة يسكنها أهل المدن بالتناوب نوبة بعد نوبة - فى كل نوبة منها أربعون شخصا - تحت اشراف ناظر المزرعة وزوجته . فمن قوانين « يوتوبيا » أن يحذق سكانها جميعا أعمال الزراعة ، وتربية الماشية والدواجن ، والا تهدد الجزيرة خطر القحط اذا تمادى بهم الجهل بها جيلا فى اثر جيل ..

ومن طريف مستحدثات أهل الجزيرة فى هذا الصدد ، طريقتهم فى تفريخ الدجاج .. فهو عندهم لايتم بالطرق الطبيعية العتيقة ، برقاد الدجاجة على البيض ، وانما فى بيوت للتفريخ الصناعى يحذق سكان الجزيرة اعدادها وادارتها .. وحجتهم فى ذلك أن الدجاجة اذا اكتملت تحتها أربع بيضات أونحو ذلك انقطعت عن وضع البيض لترقد على هذا العدد القليل ، فيقل بذلك عدد البيض وبالتالى عدد الدجاج ..

والقمح والشعير لايستخدمان فى الجزيرة الا فى صنع الخبز ، فليس لاهل «يوتوبيا» ولع بالجعة ، وانما شرابهم المفضل نبيذ العنب والتفاح والكمثرى .. اذا ضاقوا بالماء ولم يقنعوا بشربه .

واذا جاء وقت الحصاد ، خف اليه معظم سكان المدن ، حتى يتم فى أقل وقت ممكن ، ولاتدركه الامطار بالعطب ..

ولكن اللحم فى الجزيرة غير مستطاب كثيرا ، ولاسيما لحم الثيران .. لان الثيران عماد العمل فى الحقل - لا الجياد شأن انجلترا - ومن ثم يكون لحمها بعد ذبحها شديد الخشونة والمقاومة عند المضغ ..

« عمورية » .. عاصمة الدولة

◆ **واذا كانت** كل مدن يوتوبيا على نمط واحد ، فوصف احداها - وهى عاصمة الجزيرة «عمورية» - يكفى فى تصوير

أحوال أهلها جميعا

في كل عام تنتدب كل مدينة من مدن الجزيرة ثلاثة من أحكم وأقدر شيوخها كي يمثلوها في مؤتمر يعقد في العاصمة للمناظرة والمناقشة فى السياسة القومية وشئون الحكم ٠
وتقوم العاصمة فوق ربوة تشرف على نهر «الانايدر» الذى يبلغ اتساع مجراه نصف ميل أمام العاصمة ثم يتسع رويدا حتى يصير عرضه ميلا كاملا حين يصب فى البحر على بعد أربعين ميلا من عمورية ٠ فهي بعيدة اذن عن أوضار المحيط ورواسبه المالحة ، والنهر يترقرق تحت أسوارها عذبا صافيا ٠ وعبر النهر قنطرة حجرية تصل العاصمة بالريف المقابل لها ٠ وللمدينة أسوار عالية قوية من الحجر الصوان فوقها أبراج للحراسة ٠ وحول تلك الاسوار خندق عميق يحيط بها من جميع الجهات ماخلا جهة النهر ٠ أماشوارع المدينة فنظيفة مستقيمة ، متقاربة المنازل ، وكل دار مؤلفة من ثلاثة طوابق ، وخلفها حديقة واسعة ٠٠

بيوت مفتوحة !

◆ **ومن** عجب أن بيوت الدور فى عمورية لاتعرف الاقفال والمفاتيح ، فلو أراد داخل أن يدخل مامنعه من ذلك مانع !٠٠ وماعسى أن يكون المانع ؟ **ان كل مافي البيت ليس ملكا لصاحبه ، وانما يقيم الناس فى البيوت بالقرعة ٠ وتقام القرعة مرة كل عشر سنين ، فيتبادلون بيوتهم بمافيها !٠٠** أماحدائق الدور فليس فى الدنيا ماهو أغنى منها بالفاكهة والكرم والزهر والخضر ، فأهل يوتوبيا أحذق أهل العالم فى زراعة البساتين ٠

الحكومة المثلى

◆ **ويحكم** كل مدينة من مدن الدولة ضباط يطلقون عليهم «سيفوجرانت» ، ينتخبهم الشعب ويصدق على انتخابهم الامير ٠ أما الامير فينتخبه السيفوجرانت من بين أربعة من

المرشحين الصالحين يختارهم الشعب أجمع . ولايجوز أن يبرم امر يمس المصلحة العامة الا اذا ناقشه السيفوجرانت مجتمعين فى ندوتهم ثلاثة أيام على أقل تقدير . ولايجوز اقفال باب المناقشة قبل أن يقول كل متكلم كلمته الاخيرة فى الموضوع .. **ولايناقش موضوع فى اليوم الاول لعرضه ، خشية أن يتسرع عضو فى ابداء رأيه ثم يمنعه كبرياؤه من التراجع بعد ذلك عن رأيه والاعتراف بأنه كان مخطئا !** .. ولو أن التربية السياسية فى يوتوبيا قد بلغت من الرقى ألا يفكر المواطن ، ولاسيما الرجل العام ، فى تقديم غروره الشخصى على المصلحة العامة .

الاعمال والحرف

◆ **واذا** كانت الزراعة كما أسلفنا حرفة مشتركة يحذقها جميع السكان نسوة ورجالا ، فهناك حرفة أخرى يتعين على كل رجل أن يتخيرها لنفسه من بين الحرف : كأن يكون نساجا أو بناء أو حدادا أو نجارا أو ما الى ذلك . ولكن يلاحظ أن الحرف فى مجموعها محدودة ، وانها جميعا تتصل بمنافع الحياة وضرورات المعيشة ، فليس فيها ماتزدحم به حضارتنا من اعمال تقوم على الغرور والتفاهة والمظاهر الخادعة ..!

زى واحد ..!

وقد بلغ من بغض أهل يوتوبيا للمظاهر أنهم اتخذوا لانفسهم زيا واحدا فى نسيجه ومنواله وتفصيله . وهو زى مريح يوافق الذوق ويكفل حرية الحركة لاعضاء الجسم . **ولا فرق فى الزى الاللتمييز بين ثياب الرجال وثياب النساء .. وللتمييز أيضا بين ثيات الآنسات وثياب السيدات . أما اللون فواحد : التيل الابيض الناصع صيفا ، والصوف بلونه الطبيعى نظيفا فى الشتاء . فالنظافة هى أهم عوامل الاناقة فى ذلك البلد السعيد ..**

وما أجدر هذا التشابه أن يقضى على التناظر والحسد اللذين يثيرهما تعدد ألوان الثياب وتفاوت طبقات القماش ، حتى ليرهق الرجل نفسه كى لايكون من المتخلفين ، وترهق المرأة زوجها كى لاتتخلف عن بنات جنسها اللواتى ينافسن الطواويس فى كثرة الالوان والاختيال بها !

أمافى يوتوبيا فكل أسرة تصنع ثيابها بيدها ، ولهذا لانجد بين الحرف صناعة الخياطين والخياطات · فكأن النسيج والخياطة شأنهما شأن الزراعة ، لايجهلهما أحد من الرجال أو النساء ·

العمل فرض على الرجال والنساء !

والعمل فى تلك الدولة الفاضلة فريضة على النساء كالرجال سواء بسواء !·· وليس للحرف طبقات ، فلا يلزم الولد بالاشتغال بحرفة آبائه ، وانما الاعمال حرة ، يختار كل مايناسبه منها · **وكل مايهتم به الحاكمون ألا يركن أحد الى البطالة والكسل ، وألا يرهق أحد نفسه بالعمل من الفجر الى المساء ، فذلك الارهاق يجعل الناس أشبه بالعبيد ، وأهل يوتوبيا أحرار لايعرفون العبودية !·· ولهذا قسمت ساعات اليوم الاربع والعشرين عندهم على المنوال الآتى : ست منها للعمل ، وثمانية للنوم ، والباقى وهو عشر ساعات فراغ يتصرف فيه كل شخص كيفما يشاء ، على أن يكون مايشغل به فراغه نافعا للروح والعقل والجسد:** فهناك قاعات للمحاضرات لتثقيف الناس ، ومكتبات عامة ·· أما القماربأنواعه فممنوع ، فيماعدا لعبة تشبه الشطرنج ، تساعد على تنشيط الذهن ·

وليست قلة ساعات العمل سببا بأى حال لقلة الانتاج القومى وفقر الدولة ، فان الذى يجعل الدول الاخرى الفاسدة ترهق عمالها بالعمل شىء آخر غير ضرورة الانتاج ، وهذا الشىء هو كثرة عدد الكسالى والعاطلين رغم أنفهم أو بارادتهم

لانهم من المترفين والاثرياء !٠٠ فاذا عمل كل النـــاس فى دولة من الدول لم يحتاجوا الا الى عدد قليل جدا من ســاعات العمل لانتاج مايلزم وزيادة ٠٠

وليس معنى هذا أيضا أن يوتوبيا خاليـــة من المتعطلين الذين لايمارسون أى عمل ، فالشيوخ فيها والعجزة والمرضى والاطفال لايعملون ٠٠ فهم فى وضع ممتاز يضاهى فى المجتمعات الفاسدة وضع الرهبان والنبلاء والمتسولين وأبناء الذوات ٠٠ الذين لو مارسوا عملا شريفا ـ وليس فى يوتوبيا مكان لغير العمل الشريف ـ لتضاعف انتــاج الدول التى يعيشـــون فيها أضعافا مضاعفة ، ولاتيح لجميع المواطنين أن ينعموا بقسط أوفر من ساعات الراحة ، وقسط أقل من ساعات العمل ٠٠

أما وظائف الحجاب والخدم والحشم والذيول والاتبــاع ، فليس لهم فى الدولة المثالية مكان ٠٠

أفراد الاسرة بين ١٠ و١٦

◆ **وتحرص** يوتوبيا على أن يكون عدد السكان فيها مناسبا على الدوام للموارد الطبيعية ، فلا يقل عـــدد أفراد الاسرة (وتشمل الابناء المتزوجين والاخوة فى معيشة واحدة مع الاب والام) عن عشرة ، ولايزيدون عن ستة عشر !٠٠ **ويحافظ على هذه النسبة بأن يؤخذ الاطفال الزائدون عن العدد من عائلاتهم فيضموا الى العائلات التى تتخلف عن العدد المطلوب ٠٠**

واذا زاد العدد فى مدينة من المدن نقلت الزيادة الى مدينة تحتاج اليها ٠ فاذا لم توجد مثل هذه المدينة شيدت مدينـــة جديدة للسكان الفائضين ٠ وتقام المدينة الجديدة فى أرض من أراضى أى دولة مجاورة مما يترك بغــير زراعة لقــلة الايدى العاملة ٠ فاذا رفضت الدولة المجاورة هذا الاتفاق الودى أرغمتها يوتوبيا على القبول بقوة السلاح !٠٠ فانه لايجوز لاى دولة أن تترك أرضا بغير استغلال وفى دولة أخرى قوم لايجـدون

أرضا يعملون فيها ، فان ذلك بمثابة حرمان هؤلاء من القوت٠٠ وهى جريمة تستحق العقاب والردع !

الغذاء والكساء مجانا !

◆ **وتنقسم** المدينة الى أربعة أحياء ، فى كل حى منها سوق عامة ومخازن لكافة الحاجيات يستطيع رئيس كل أسرة أن يأخذ منها مايشاء لحاجة أفراد أسرته بدون مقابل أو مقايضة !٠٠ **فان كل شيء متوافر بكثرة ، ولايأخذ أحد من هذه المخازن مايزيد عن حاجته ، لانه يعلم أنه سوف يجد كل شيء متوفرا فى أى وقت ٠٠ كما أنه لن يستطيع بيع شيء مما يحصل عليه** ٠٠ وفى خارج المدينة المجزر العام ، تذبح فيه الماشية ثم تقسم على أسواق المدينة فى أحيائها المختلفة ٠ ولكن لايمارس مهنة الجزارة الا خدم من الاجانب ، لانها مهنة لاتليق بالمواطن الحر الطوبى ، لانها تقضى شيئا فشيئا على أحسن مافى الانسان من خصال وهى الرحمة والرقة والعطف !

أما المستشفيات فكثيرة متنوعة ، ويوجدأربعة منها فى خارج كل مدينة ، بعيدا عن تكاثف السكان ٠ وهىمن السعة والنظام بحيث يخالها المرء مدنا صغيرة ، فالسراير فيها متباعدة ، منعا للعدوى وتوفيرا للراحة ٠ وثمة معازل للامراض الوبائية ٠٠ والعلاج بجميع أنواعه بالمجان ، داخل المستشفيات وخارجها !

يتناولون الطعام معا !

◆ **ومن** عادة الناس هناك أن يجتمعوا للطعام فى قاعات عامة فى مواعيد منظمة ، بعد أن يدق لهم جرس نحاسى كبير أو نفير عال ٠ وهم يفضلون ذلك مختارين على الاكل فى البيوت ، لما فى الاجتماع من السمر والفائدة ٠ وهذه المطاعم مختلطة للجنسين معا ، ولكن يجلس كل جنس فى



جانب من المائدة . والامهات المرضعات يجلسن الى مائدة فى قاعة خاصة مزودة بالمهود والمراجيح ، والمدافىء والمياه الجارية ، ويجلس معهن الاطفال الذين تقل أعمارهم عن الخامسة .. أما الذين يزيدون عن هذه السن فيختلطون مع الكبار على نفس الموائد، كى يستفيدوا من حكمتهم وآرائهم من ناحية ، ويشيعوا فى المكان من روحهم ومرحهم من ناحية أخرى ..

ومن عادة أهل يوتوبيا أن يقرأوا فى كتاب قيم قبل الاكل قراءة عامة قصيرة ، تعقبها مناقشة حرة يشترك فيها الكبار والصغار ، ثم يقدم الطعام للاكبر فالاصغر . ويلاحظ أن الغداء يستغرق وقتا أقل من العشاء ، لما فى المساء من فسحة للحديث وفراغ من العمل . لهذا يصحب العشاء عزف مقطوعات موسيقية لطيفة ، واطلاق البخور والعطور الزكية .. تمشيا مع نظريتهم فى عدم حرمان أنفسهم من أية متعة مادامت بريئة ومشروعة ..

وهناك نظام يتيح لكل مواطن الاستمتاع خلال اجازته السنوية بزيارة المدن الاخرى ، بعد الحصول على تصريح من حكومة المدينة ، كى ينتظم العمل ولايتعرض للارتباك .. وتزود الدولة المسافرين بعربة تنقلهم مجانا الى حيث يقصدون . وهم لايحملون معهم زادهم من الطعام ، لانه يقدم لهم حيث يحلون بغير مقابل ، فى اليوم الاول على الاقل ..

أمابعد ذلك فيتعين عليهم أن يعملوا نصف النهار ، فى نفس الحرفة التى يحترفونها فى موطنهم الاصلى ..

والحانات والمقاهى لاوجود لها فى يوتوبيا ، وكذلك المواخير بأنواعها .. فالفضيلة مصونة الجانب مرعية من الجميع ، والرفاهية والهدوء هما الطابع السائد .

وليس فى الجزيرة فقر ولا عوز ، وبالتالى ليس فيها تسول ولاسرقة ولاجرائم مبعثها الجوع أوالطمع ..

لا ذهب .. ولا فضة !

◆ **ونظام** الانتاج فى يوتوبيا يراعى فيه ان ماينقص أحد الاقاليم من المنتجات الزراعية أوالصناعية يستكمل من اقليم آخر ، بحيث تنعم الجزيرة بالاكتفاء الذاتى .. وحين تكتمل حاجة البلاد للعام التالى من سائر المحاصيل والاطعمة والمنتجات والمنسوجات ، يصدر الفائض الى البلاد الخارجية ، حيث يوزع سبعه على فقراء تلك البلاد ، والباقى يستبدل بما يلزم الجزيرة من الحديد ـ الذى لاتوجد مناجم له فيها ـ ثم بالذهب والفضة ، اللذين يستخدمان لاستئجار الجنود المرتزقة من أرقى وأكفأ الاجناس . **أما فى غير هذا الشأن فلاقيمة للذهب أوالفضة لدى أهل يوتوبيا على الاطلاق .. بل ان الاقراط الذهبية هى عندهم علامة على الشر والفساد وسوء السلوك ، يدمغون بها من يستحق الاحتقار العام !**

وللقوم فى هذا الصدد فلسفة منطقية ، مؤداها أن الطبيعة ـ وهى بمثابة الام الرؤوم للبشر ـ قد جعلت أهم وألزم عناصرها ، وهى : الهواء ، والماء ، والارض نفسها ، فى متناول الجميع ، ظاهرة للعيان .. بينما أخفت التوافه التى لا فائدة منها ـ كالذهب والفضة والاحجار الكريمة ـ فى أعمق طبقات الارض ، بعيدا عن متناول الناس ..!

الرياضة ٠٠ والعلم ٠٠ والمعتقدات الدينية

◆ **وأهل** يوتوبيا يمقتون «قتل» الحيوانات الاليفة بدعوى ممارسة «رياضة» الصيد !٠٠ فالصيد فى نظرهم عملية وحشية ، أكثر وحشية من ممارسة مهنة الجزارة : **لان ذبح الماشية لأكل لحومها قد تبرره الضرورة ٠٠ أما قتل الحيوان فى الصيد ، لمجرد الاستمتاع برؤية مصرعه ، فوحشية لايبررها مبرر !٠٠** لكن هذا لايمنع القوم من ممارسة أنواع الرياضة البدنية التى تفيد الجسم ولاتؤذى الغير ، مثل السباحة والجرى ونحوها

وحين يفرغ أهل يوتوبيا من أعمالهم اليدوية ، يكرسون أهم جانب من وقت فراغهم للعلم والاطلاع ٠٠ وقبل أن ينقل اليهم السائح «هيثلوداى» مايعرف من فلسفة الاغريق كانوا قد استنبطوا من تلقاء أنفسهم الكثير من مبادىء الحكمة والمعرفة ، ولاسيما فى باب علم الفلك ، وابتكروا أجهزة لرصد حركات النجوم ٠ أما التنجيم والرجم بالغيب فهم لايمارسونه أويميلون اليه

وهم يعتنقون الكثير من الآراء التى قال بها الفلاسفة القدماء بصدد بدء الخليقة ، ويؤمنون بالله وبخلود الروح ، وبالعقاب والثواب فى اليوم الآخر ٠٠٠ **ولكنهم ينكرون أن تعذيب الجسد فى الدنيا يجدى على الروح فى الآخرة ، ويرون أنه اذا كانت الطبيعة توصينا بأن نترفق بالآخرين ، فليس معنى ذلك أن نقسو على أنفسنا ! ولئن كانت القسوة على الغير مستهجنة ، فالقسوة على النفس ليست أقل استهجانا !** ٠٠ وفى رأيهم أنه من السخف والحماقة أن يضن انسان على نفسه بأسباب السعادة التى لاتعود بالضرر عليه أو على الغير ، سيما وان السعادة فى نظرهم لاتنبع الا من المتع الحلال المشروعة ٠٠ وقد بلغ من احتقارهم للقسوة والخسة أنهم جعلوا

عقابهما التجريد من الحقوق السياسية والانزال الى مرتبة الخدم!

والخدم أو الاجراء الذين يعهد اليهم بالمهام الوضيعة مثل الجزارة وسواها ليسوا عبيدا أسروا فى معركة ، بل هم قوم من المجرمين الذين صدرت عليهم أحكام بالحط من أقدارهم واعتبارهم من هذه الطبقة عقابا لهم على الجرائم الوضيعة التى ارتكبوها .. كما أن منهم من فروا من بلاد أخرى هربا من سوء المعاملة وقبلوا بمحض رغبتهم أن يصيروا خدما لاهل يوتوبيا .. وأياكان جنسهم فان أهل الجزيرة يعاملون هؤلاء الخدم جميعا بمنتهى الرفق والعطف . واذا أراد واحد منهم الرحيل تركوه وشأنه ، بل وحملوه عند رحيله ببعض الهدايا !.. وهم لايتخذون أبناء الخدم خدما بدورهم أوعبيدا ، فانهم يؤمنون بأن كل انسان على هذه الارض يولد حرا . فاذا ارتكب أثناء حياته مايستحق من أجله أن يصير عبدا أو خادما فذلك شأنه ..

عاداتهم فى الخطبة والزواج

◆ **والفتاة** فى يوتوبيا لاتتزوج قبل سن الثامنة عشرة ، ويجب أن يكون الرجل أكبر منها باربع سنوات . أما اذا ضاجع رجل فتاة قبل الزواج بها فانه يتعرض لاشد العقاب ، ويعاقب معه رئيس أسرته لاهماله فى مراقبته .. !



وطريقة الخطبة عندهم غريبة ، اذ تذهب كبيرة أسرة الفتاة فتختلى بالمرشحة للزواج وتجردها من كل ما تلبس ثم

تعرضها هكذا على خطيبها !·· ثم يختلى كبير أسرة الرجل بالخطيب ويعرضه على خطيبته عاريا من ثيابه جميعا ·
ويعجب أهل يوتوبيا من شعوب حين يشترى الفرد فيها دابة يدقق فى فحصها ، أما الشريكة الآدمية فلا تلقى منه مثل هذا الاحتياط ، بحيث لايرى الشريك من شريكة حياته قبل الارتباط بها غير وجهها وثيابها !

وقد أدى هذا النظام الى استقرار الفضيلة بين أهل الجزيرة لان كلا الزوجين يختار الآخر وهو عارف بعيوبه ، وينتقى من يراه كفؤا له جسمانيا ··

تقاليد الطلاق ·· وعقوبة الزنا

◆ **ولاتباح** للرجل فى يوتوبيا غير زوجة واحدة ، فلا تعدد فى الزوجات · ولايباح الطلاق الا لعلة الزنا وحدها ، أو للشذوذ الشديد فى المعاملة · ويحرم على المذنب المتسبب فى الطلاق أن يتزوج مرة أخرى · ولايسمح للرجل بتطليق زوجته لتقدمها فى السن أو اعتلال صحتها ، لان من كان هذا شأنها تحتاج الى مزيد من العطف والرعاية ··

وجريمة الزنا عقوبتها فى يوتوبيا نقل الزانى الى مرتبة الخدم أوالعبيد ، شأنه شأن سائر المجرمين ، وان اختلفت مدة العقوبة · ذلك ان قانون الجزيرة لايعاقب بالاعدام ، وذلك لحكمتين : الاولى أنه يعتبر الاستعباد أقسى وأشد ايلاما من الموت ·· والحكمة الثانية ان تشغيل المحكوم عليه فى أعمال الخدم أوالعبيد يفيد الانتاج القومى ، بعكس الحال فيما لو أعدم وصار فى عداد الاموات ··

وكمايعاقب أهل الجزيرة الرذيلة ، يقيمون التماثيل فى الميادين العامة لكبار الفضلاء · فالفضيلة لها المقام الاسمى عندهم ·· ولاقيمة للبطولة العسكرية فى نظرهم لان الحرب شىء مكروه لايمارسونه الا على مضض ، وذلك فى حالة

اضطرارهم للدفاع عن بلادهم ضدعدوان خارجى ، أواشتباكهم فى حرب لتخليص شعب مضطهد استنجد بهم ضد غاصبيه .

وهم لايرسلون رجلا الى الحرب برغم ارادته ، لاعتقادهم أن الجندى الخائر القلب لن يؤدى عملا نافعا فى الحرب ، بل يكون أداة لاشاعة الخور والجبن فى نفوس زملائه .

وعند نشوب الحرب — اذا لم يكن من الحرب بد — تقف الزوجات الى جانب أزواجهن ، وحولهم أبناؤهم ، اعتقادا منهم بأن كل من ربطتهم الطبيعة برباط وثيق ينبغى أن يتساندوا ويتبادلوا المساعدة عند الشدة .

ورجال يوتوبيا محاربون شجعان ، صناديد ، فان ذلك الخوف الذى يضعف قلوب الجنود فى الدول الاخرى ، وهو الخوف من ترك أولادهم لخطر الفقر ، لاسلطان له عليهم بفضل نظامهم الاقتصادى والاجتماعى ..

وهم يستنكفون قتل جندى من الاعداء غير مسلح ، الااذا كان جاسوسا .. وعند انتصارهم فى الحرب يظهرون الكثير من دلائل الرحمة والشفقة ..

منع الحرب .. ولو بالاغتيال !

ومن مبادئهم السائدة عدم عقد محالفات خارجية عسكرية مع دولة أخرى ، ايمانا منهم بأن الدولة التى لاتربطها بغيرها من الدول رابطة اخاء ومودة ، لن تربطها أوتقيدها محالفة عسكرية يسهل خرق نصوصها فى أى وقت !.. ولكن — على وجه العموم — تسود المودة علاقات يوتوبيا بجاراتها ، فالتجارة متبادلة .. والروابط الثقافية مزدهرة .. لكن ذلك لم يمنع من أن تكون للقوم ادارة مخابرات ممتازة ، وأن يكونوا حذرين من جيرانهم ، حريصين على حماية سعادتهم من كل اعتداء .. وهم يفضلون كف شر أعدائهم بالحيل السياسية الماكرة ، على سفك الدماء . واذا استلزم الامر فانهم يفضلون

اغتيال زعيم الدولة المعادية على الاشتباك معهـــا فى حـرب عامة ، فان قتل الزعيم الراغب فى الحرب أقل بشاعة من قتل الالوف من الرعايا الابرياء الذين يسوقهم الىحتفهم مكرهين ٠٠!

حرية الاعتقاد ٠٠ وطقوس العبادة

◆ **ويدين** أهل يوتوبيا بحرية الاعتقاد ، فهناك فى الجزيرة جملة ديانات تعيش كلها في وئام : فالبعض يعبدون الشمس ، والبعض يعبدون القمر ، وآخرون يعبدون عظيما من العظمـاء الذين عاشوا يوما على الارض ٠٠ لكن الحكماء من أهل الجزيرة يؤمنون بوجود قوة مجهولة ، أبدية ، لايمكن تصورها ، يعم خيرها العالم أجمع : هى الله ، خالق الكل ، أو «ميثرا» كمـا يطلقون عليه بلغتهم ، الشبيهة باللغة الفارسية !٠٠ كما ان بعض أهل الجزيرة اعتنق الديانة المسيحية ٠ **لكن المبدأ السائد فى يوتوبيا هو : « لااكراه فى الدين » ٠ والصفات المشتركة بين جميع المتدينين على اختلاف مللهم هى : الرحمة ، والمحبة ، والتعاون ٠**

وهناك فريق من أهل الجـزيرة يحـــرم الزواج وأكل اللحوم ، وفريق ثان يحلل الاثنين ٠ ورجال الدين عنـــدهم أتقياء وأطهار للغاية ، ولايزيد عددهم عن ثلاثة عشر فى كل مدينة ٠ وهم يعنون أكثر العناية بارشاد الاطفال والشباب الى الطرق القويمة ، كى يشبوا مواطنين صالحين ٠

وليس ثمة مايمنـــع رجال الدين هؤلاء من الزواج اذا أرادوا ٠٠ وهناك عدد ضئيل من النساء الارامل والعجـــائز يحترفن الدين ويتولين مناصبه كالرجال سواء بسواء ٠

وأهل الجزيرة يقدسون اليومين الاول والاخير من كل شهر وسنة ٠ وهم يحرقون البخور ويعزفون الموسيقى أثنـــاء العبادة ، كى تسمو نفوسهم علىالماديات !٠٠ ومعابدهم متسعة ومعتمة الى حد ما ، نظرا لاعتقادهم أنالضوء القوى يشتتأفكار

المتعبدين ، بعكس الضوء الخافت الذى يركزها فى الموضوع الذى تفكر فيه . وليس فى تلك المعابد أية صورة أو رمز يخص دينا معينا ، كيما يتاح لكل متعبد أن يتخيل الله على الصورة التى يوحى بها اليه دينه ..!

❖

◆ **وعند** هذا الحد من رواية البحار لمشاهداته فى جزيرة يوتوبيا ، اعتذر الرجل لجليسيه بالتعب ، واعدا باستئناف الحديث فى فرصة أخرى . لكن هذه الفرصة لم تحن قط ، فقد عاد توماس مور بعد أيام الى انجلترا ، حيث عكف على تسجيل القصة التى سمعها . وعندئذ تذكر أنه نسى أن يستفسر من البحار عن موقع تلك الجزيرة السعيدة ، فاعتزم أن يسأله عنه بمجرد أن يلقاه . لكنه عند عودته الى هولندة علم أن البحار قد أبحر من جديد ، مستأنفا رحلاته فى البحار السبعة !

وكان ذلك أهم مازعم « توماس مور » أنه سمعه من البحار المسن «رافاييل هيثلوداى» ، فسجله فى كتابه الخالد ، مصورا به المجتمع المثالى كما تراءى له ، على ضوء النقد المستنير لمفاسد عصره ..

وان فيه لنقدا لمفاسد العصر الحاضر الذى نعيش فيه ، رغم انقضاء أكثر من أربعة قرون على العصر الذى كتب فيه !

مجموعة «كتابي»

عزيزى القارىء ...

هل قرات هذا العدد من « كتابى » ؟ وهل اعجبك .. أوبعبارة أصح : ما الذى أعجبك فيه ، وما الذى لم يعجبك ؟.. أرسل الى رأيك مفصلا ، وثق أنك سوف تجد صدى رأيك محققا فى الاعداد القادمة من «كتابى» باذن الله ..

واذا كان هذا العدد قد اعجبك ، فهل قرات الاعداد السبعة السابقة ؟

اذا كانت قد فاتتك ففى وسعك الحصول عليها بعودة البريد قبل أن ينفد العدد القليل الباقى منها اذا أرسلت اليوم عشرة قروش ـ مقابل كل عدد ـ بعنوان «كتابى» : ١٨ شارع العباسيين بمصر الجديدة .. (هذا باستثناء العدد «الاول» من كتابى فقد نفد تماما منذ صدوره وسوف يعاد طبعه فى فرصة قريبة بعد الاعلان عن موعد ظهوره على صفحات « كتابى » قبيل الموعد بوقت كاف)

واذا أردت أن لايتكرر حرمانك من بعض اعداد كتابى عند صدورها ، لسبب أو لآخر ، فارسل اليوم اشتراكك فى الكتاب لمدة سنة (حسب القيمة المبينة فى الصفحة الرابعة من هذا العدد) تصلك أعداد «كتابى» التالية بانتظام يوم صدورها ، أينما كنت ..

وفى وسعك أن تجعل امتياز التخفيض الذى يحققه لك الاشتراك يشمل الاعداد السابقة أيضا اذا جعلت اشتراكك رجعيا ، أى ابتداء من العدد الثانى مثلا ، أوالثالث ، أو ... الخ ـ فتصلك الاعداد الماضية بعودة البريد والاعداد القادمة بمجرد صدورها .

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد السابقة ، من قصص التاريخ ومآسيه : ((لوكريشيا بورجيا)) سليلة السفاحين من آل بورجيا .. ثم ((الغز قيصر)) .. فقصة ((عشيقة نابليون ، مارى فاليفسكا)) ..

واليوم انتقل بك من صفحات التاريخ الايطالى ، فالرومانى ، فالفرنسى .. الى التاريخ الانجليزى ، فأنتقى لك من قصصه ومآسيه هذه المأساة المفجعة ، مأساة ملكة انجلترا ((كارولين)) زوجة الملك جورج الرابع ، الذى تكاد قصته تكون قصة الملك السابق ((فاروق)) : بمباذله ، ومجونه ، وقسوته ، وسخط الشعب عليه .. الخ

وفى الاعداد القادمة اقدم لك بمشيئة الله من قصص التاريخ ومآسيه الشائقة: مأساة النسر الصغير (ابن نابليون) .. سبايا بيزنطة الجميلات .. نهاية الجنرال ناى (اشجع الشجعان) .. فاجعة ((جوانا)) ملكة اسبانيا التى جنت حبا ! .. قصة الليدى جين جراى .. رحلة ماجيلان .. الخ



مأساة ملكة..

سيرة فاضحة من سير الملوك الغاشمين ومخازيهم

للمحقق الإنجليزى سير باتريك هيستنجز

هل خانت زوجها ؟

◆ **نحن** فى لندن ، فى شهر اغسطس من عام ١٨٢٠ . وقد انعقد مجلس اللوردات البريطانى بهيئة محكمة، لتحقيق أفجع نزا عزوجى عرض على برلمان : النزاع بين ملك بريطانيا « جورج الرابع » وزوجته الملكة كارولين !

أما ان الملكة المذكورة قد ارتكبت فى الحقيقة جريمة الزنا ـ التى حوكمت من أجلها ـ أم لم ترتكبها ، فذلك أمر لعل أحدا لن يهتدى فى شأنه الى يقين !.. أما الشىء المقطوع به فهو انه لو ترك الحكم فى هذا الاتهام يومئذ للشعب الانجليزى، لجاءقراره فى صالح ملكته المحبوبة .. ولا ريب ان الجماهير الهاتفة التى رافقت الملكة فى ذهابها الى مجلس اللوردات وعند عودتها منه ، قد أقنعت الملك وقتئذ بأن مكانته فى قلوب رعيته ليست على الصورة التى كان يشتهيها !.. والواقع ان معاملته السيئة لزوجته الملكة كارولين طيلة مدة زواجهما قد ساهمت بنصيب كبير فى الغض من هذه المكانة ..

◆ **كان** الملك جورج الرابع فى شبابه الباكر ـ وهو ولى للعهد ـ يوصف فى أوساط متملقيه وأصدقائه المنافقين ، بأنه : « الجنتلمان الاول فى أوربا » !.. ولا شك ان صفات الجنتلمان فى عرف تلك الحاشية كانت متواضعة للغاية ، فقد كان الامير فى الواقع شابا مدللا ، مجردا من المبادىء الخلقية ، متورطا فى الديون دائما حتىأذنيه، دون ما أمل فى السداد، اللهم الا اذا اغترف ما ينقصه من خزينة الحكومة !.. بل انه حين ضاقت به سبل الحصول على كفايته من المال، عمد الى استخدام وسائل غير شريفة لنيل مبتغاه ، مثل اصدار قراطيس مالية كان يعلم مقدما انه لن يسدد قيمتها أبدا !



والخلاصة ان شاغله الوحيد كان جمع الخليلات ، اللواتى كانت لديه منهن «مجموعة» هائلة من جميع الاوصاف والاشكال ! .. وكانت مراهناته فى حلبة السباق ذات طابع مريب .. وذوقه فى انتقاء ثيابه سوقيا صارخا !

زواج .. بالمراسلة

◆ **أما** زواجه من الاميرة كارولين — ابنة أمير «برونسويك» الالماني — فقد كان بالنسبة اليها .. مأساة ! .. وكانت الخطبة قد تمت على الطريقة التى كانت مألوفة فى الزيجات الملكية فى العالم كله فى ذلك الحين ، فلم يلتق الخطيبان قط قبلها !.. وكانت الاميرة قد نشأت وفقا لاقسى مبادىء التربية الالمانية الصارمة ، لكنها لم تكن على حظ كبير من الجاذبية . وحين تم التراضى على المصاهرة بين أولياء الامر « أرسلت » الاميرة من بلاط أبيها الى « عريسها » في لندن ، دون أن يقترن ذلك بأى مظهر من مظاهر الحماس أو آداب اللياقة من أى جانب من الجانبين ! ولو تعمد الخطيب — ولى عهد بريطانيا — أن يهين خطيبته ويجعلها تندم سلفا على زيجتها المقبلة أشد الندم ، لما أعد لها « أسخف » من الاستقبال الذى استقبلت به فى العاصمة الانجليزية .. **فانها حين نزلت على رصيف « جرينوتش » لم تجد أحدا فى انتظارها !.. وبعد فترة انتظار طويلة وصلت — لترافقها الى حيث يوجد زوجها المقبل — المرأة التى كان معروفا في كل مكان انها خليلته شبه الرسمية !.. ثم عندما التقي**

الخطيبـــان آخر الامر ـ لاول مرة ـ كان الامير ثملا لا يكاد يعى ٠٠ وكذلك كان أمره ليلة زفافهما !

وليس من المغالاة فى شىء القول ان حيـــاة كارولين الزوجية كانت ، من بدايتها الى نهايتها ، جحيما لا يطاق !٠٠ حتى لقد عاش الزوجان منفصلين منذ الشهر الاول للزواج !٠٠ وكانت رفيقات الزوجة الوحيدات فى وحدتها الموحشـــة : خليلات زوجها !٠٠ وحين طلبت الملكة أن يسمح لها بالاقامة فى قصر مستقل ، بعيدا عن مباذل زوجها ، رفض طلبها !٠٠ وبعد أن وضعت مولودتها الاولى ـ بعد عام من الزواج ـ تدهورت المعاملة التى كانت تلقاها من زوجها الى أحـــط درك ، بحيث صارت مجردة حتى من أبسط مبادىء الانسانية : باتت الملكة شبه سجينة فى جناحها ، محرومة من الصـــديقات أو الخلان تماما ٠٠ ولم يدخر الزوج وسعا كى يجعل الموقف بينهمـــا صريحا محددا ، فأفهمها بتصرفاته انه لم يعد يبغى أى اتصال بها !٠٠ ورغم كفاح الزوجـــة المرير فى سبيل الخلاص من وصيفاتها ـ اللواتى كن جميعا خليلات لزوجها ! ـ فانها لم تفلح فى ابعادهن ٠٠ بل انه لم يسمح لها حتى بحضانة طفلتها، التى أبعدها الزوج الى قصر بعيد مستقل هو قصر كارلتون !

جنون القسوة والتعذيب ٠٠!

◆ **وهكذا** لم يبق للاميرة من شاغل طيلة تلك السنوات سوى انشاء دار للاطفال اليتامى ورعايتها ٠٠ واســـتمرت حياتها على هذا المنوال أعواما ، والانفصال التـــام مستمر بين الزوجين !٠٠ ومن حين لآخر كان ولى العهد يخص بنصيب من قسوته أباه الملك ، الذى صيرته الشيخوخة أبلها ٠ وتزايدت بلاهته مع الايام حتى استدعى الامر تعيين ولى العهد نائبا له٠٠ وفي هذه الفترة أمعن الابن في اضطهاد أبيه وتعذيبه ، وان لم

يعدم الفرصة خلال ذلك كى يضطهد ويعذب زوجته أيضا بكل وسيلة وفى كل مناسبة !

وكبرت طفلتهما « شارلوت » حتى بلغت رشدها فزوجت عام ١٨١٦ .. وكانت قد عاشت حياتها السابقة كلها بمعزل عن أمها تماما ، فريسة لمشاغبات أبيها ، فلما قطنت بعد الزواج بيتا بعيدا عنه ـ فى « اشير » ـ كانت سعادتها لا توصف !.. لكن هذه السعادة لم تدم غير عام ، ماتت التعسة فى نهايته وهى تضع مولودها الاول ..!

وثارت ثائرة العامة فى انجلترا حين سمعوا بنبأ موتها، فقد عزوه الى قسوة أبيها ولى العهد .. أما أمها فقد ظلت جاهلة بموت وحيدتها ، اذ لم يخطروها به حتى مجرد اخطار ، متعللين فى ذلك بوجودها خارج البلاد !

◆ **ذلك** ان الاميرة التعسة كانت ـ منذ غادرت انجلترا فى أغسطس سنة ١٨١٤ ـ تعيش فى أوربا معيشة شبه متصلة . وكانت قصة جولاتها تلك فى أنحاء القارة هى التى أدت فى النهاية الى محاكمتها !.. فان زوجها كان قد أحاطها خلال السنوات السابقة بـ « شبكة » من الجواسيس كى يرصدوا كل حركاتها وسكناتها .. وقد راجت حولها ، واخترعت ، قصص وشائعات متنوعة رهيبة ـ منها انها وضعت طفلا ذكرا من أب غير معروف ! ـ وكان ولى العهد وأصدقاؤه يتلقون هذه الروايات فى لهفة وترحيب ، حتى انتهى بهم الامر الى انتداب « بعثة » تتولى تحقيق سلوك الاميرة ..!

وقد تضمن تقرير تلك البعثة فقرة تكفى كى تهدم تلك المزاعم من أساسها وتثبت انها مخترعة .. قالت البعثة :

« يسعدنا أن نقرر انه ليس ثمة أساس يبرر الاعتقاد بأن الطفل المذكور هو ابن سمو الاميرة ، فقد تناقضت فى هذا الشأن أقوال الشهود وتضاربت بحيث لم يبق مجال للقول

بأن للقصة أدنى نصيب من الصحة ‥ »

على أن ولى العهد لم يفقد مع ذلك الامل فى أن يعثر على دليل يستخدمه ضد زوجته ، سيما وان مسلك كارولين فى الخارج لم يكن ينطوى على شىء من الفطنة أو التحوط ! ولعل عذرها فى هذا « التهور » ان رحلتها تلك كانت أول فرصة تسنح لها كى تستمتع بشىء من الحرية ، بعد أن عاشت حياتها حبيسة قصر أبيها ، ثم قصر زوجها !

وهكذا تلقت وزارة الخارجية البريطانية ـ سنة ١٨١٨ ـ حزمة كبيرة من تقارير جواسيس وضباط ادارة المخابرات الذين كانوا يراقبون كارولين فى حلها وترحالها ، فتألفت على الفور لجنة من ممثل للحكومة واثنين من المحامين (وقد أطلق عليها لجنة ميلانو) وأرسل أعضاؤها الى ايطاليا ـ حيث كانت تقيم الاميرة فى تلك الفترة ـ مزودين بالتعليمات اللازمة لجمع شتى الادلة ضدها ، من مختلف المصادر ، وبأية وسيلة كانت!

ولئن تعذر الجزم بمدى صحة التهم التى أسندت الى الاميرة ـ والتى سيأتى بيانها ـ فان الطريقة التى كانت تجمع بها الادلة ضدها ، والدرك الاسفل المعيب الذى هبط اليه جامعو تلك الادلة ، نيابة عن الامير ، كانت من الضعة بحيث تبرر الشك فى صحة أية تهمة من تلك التهم !

ومع ذلك فان اللجنة لم تكد تقدم ـ بعد نحو عام من تأليفها ـ تقريرها المفصل الى ولى العهد ، الذى كان متوليا وقتئذ سلطة نائب الملك ، حتى بادر الى اصدار أمره بالشروع فورا فى اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة لتطليقه من زوجته !

لكن وزراء التاج ـ الذين كانوا يعلمون ، كما يعلم الشعب بأسره ، تاريخ الزوج الطويل الحافل بخياناته لزوجته ، وقسوته فى معاملتها ، واهماله اياها ! ـ عارضوا فى الفكرة ‥ وتوجهوا الى الامير ناصحين ، مرجحين فشله بسبب هذه

الظروف فى الحصول على حكم بالطلاق .. أيا كانت الادلة المقدمة ضد زوجته !

الشعب يتحدى رغبة الملك !

◆ **فى** هذه اللحظة الحاسمة مات الملك جـورج الثالث ، فخلفه على العرش ابنه ولى العهد ، باسم « جورج الرابع » .. واذ ذاك لم يضـيع الملك الجديد وقتا فطالب وزراءه رسميا بالشروع فى اجراءات تطليقه من زوجته ، التى صارت الآن «الملكة كارولين» !

لكن مجرد اتخاذ أولى خطـوات ذلك الطلاق كان كافيا لاثارة ثائرة الشعب كله ، الذى أحنقته مباذل الزوج السابقة وقسوته على زوجته ! وكانت كارولين وقتئذ فى طريقهـا الى انجلترا ، كى تشارك زوجها العرش ، فاستعدت البلاد بأسرها لاستقبالها أحر استقبال .. امعانا فى تحدى ارادة الملك !

فلما وصلت الملكة الى « دوفر » تولت الجماهير جر عربتها عبر الشوارع المزدحمة بالكتل البشرية .. وعلى طول الطريق المؤدى الى لندن ازدانت المدن والقرى التى مرت بها بالاعلام ، ترحيبا بها .. **ثم حيتها الجموع الحاشدة عنـد وصولها الى العاصمة أجمل تحية وأعطرها ، هاتفة بحياتها هتافا كالرعد.. فى الوقت الذى ألقى فيه المتظاهرون الاحجار على نوافذ دور خليلات الملك ووزراء الدولة جميعا فحطموها تحطيما !!**

لكن الملك لم يعبأ مع ذلك بهذا الدليل الحاسم على اتجاه الرأى العام .. فأعد وزراؤه وثيقة تجريد الملكة من حقوقهـا ولقبهـا كملكة لانجلترا ، وتضمنت الوثيقة اتهامها رسميا بارتكاب جريمة « الزنا » مع من يدعى « بارثولومو برجامى »، وقد وصف بأنه «أجنبى وضيع المكانة» !

وكان معنى اعلان هذا القرار أن تحاكم الملكة من أجل التهمة الموجهة اليها أمام مجلس اللوردات البريطانى ، كمـا يقضى بذلك الدستور !

الجماهير تصدر حكمها !

◆ **وبدأت** المحاكمة فى أغسطس سنة ١٨٢٠ ، وكانت أشبه « بالمظاهرة السياسية » منها بالمحاكمة القانونية !·· فقد احتشد على جانبى الطريق المؤدى الى مجلس اللوردات ألوف من أفراد الشعب الذين خفوا منذ الصباح الباكر كي يحيوا ملكتهم فى محنتها ، وأطلت الوف أخرى من كل نافذة وشرفة وسطح بيت مشرف على الطريق !·· **بدا كما لو كان سكان لندن جميعا قد انحازوا الى صف الملكة ·· بينما وجد الافراد القلائل الذين عرفوا بانحيازهم الى الملك أنفسهم موضع التحقير العام من الجماهير !·· حتى دوق ولنجتون ـ قاهر نابليون فى واترلو ، الذى كان معبود الشعب الانجليزى فى ذلك الحين ـ لم ينج من سخط المتجمهرين ·· فقد استقبلوه عند مروره بصيحات الاستنكار والزراية ، هاتفين : « كفى خداعا ·· يجب أن تبقى لنا ملكتنا ! »**

وفى داخل مبنى مجلس اللوردات زخرت قاعة الاجتماع بالاعضاء ، الذين انقسموا ـ مقدما ـ فى صدد القضية الى حزبين !·· واتخذ اثنان من أشقاء الملك مكانيهما فى صفوف المؤيدين لاخيهما فى النزاع ··

وحضرت الملكة الجلسة بشخصها ، ومعها عدد من أشهر المحامين ورجال القانون المتصدين للدفاع عنها ، وعلى رأسهم « بروجام » ·· يقابلهم عدد مماثل من المحامين البارزين قد جاءوا يدافعون عن وجهة نظر الملك · وكان المسؤولون قد حرصوا على صياغة قرار الاتهام وتوجيه المحاكمة نحو اثبات تهمة الزنا على الملكة ، لا النظر فى دعوى الطلاق ذاتها ، التى من شأنها أن تفتح الباب على مصراعيه للتحقيق فى صدد سوء معاملة الملك لزوجته طيلة حياتهما الزوجية .. !

وهكذا وجد محامو الملكة أنفسهم منذ البداية مقيدين

قانونا بعدم اثارة موضوع مسلك الزوج الوحشى وقسوته الفاضحة ، وان أدركوا فى الوقت نفسه أن قصة حياة الملكين الخاصة ونزاعهما الطويل معروفة بحذافيرها لاعضاء المجلس جميعا ..

يناماں فى خيمة واحدة !

◆ **وافتتح** النائب العام الجلسة فسرد التهم المنسوبة الى الملكة بايجاز : قال انها خلال تجوالها فى أنحاء أوربا اتخذت لها ، كدليل سياحى ، رجلا يدعى «برجامى» .. ولم تمض على استخدامها اياه ثلاثة أسابيع حتى قيل للخدم ان برجامى سوف ينتقل من جناحهم الى غرفة ملاصقة لمخدع الملكة !

وأضاف النائب العام انه يستطيع الجزم من شهادة الخدم بأن **ذلك التاريخ كان بداية ارتكاب برجامى والملكة لجريمة الزنا معا !.. ثم ألمع الى الحظوة التى نالها برجامى عند الملكة فى الايام التالية ، حتى صار يدعى « صاحب السعادة » !.. وصار مخدعه يختار فى كثير من الاحيان بحيث يتصل بمخدع الملكة .. كما رؤى مرات عديدة جالسا على حافة الفراش ، فى الوقت الذى كانت فيه جلالتها راقدة فيه !.. بل انهما شوهدا يتبادلان القبل . وفى احدى الرحلات كانت الملكة تنام فى خيمة أقيمت على ظهر سفينة ، فوضع فراش برجامى داخل الخيمة ذاتها !**

واستغرق خطاب النائب العام الذى عدد فيه هذه الامثلة وغيرها يومين كاملين . وكانت أمثلته تنطوى على وقائع مادية لو أمكن اثباتها لالصقت بالملكة تهمة الزنا دون أدنى ريب !

الملكة تفزع من شهادة خادمها !

◆ **ثم** فرغ ممثل الاتهام من مرافعته ، وجاء دور سماع شهود الاثبات : فنودى أولهم ، وكان يدعى « تيودور ماجوكشى » .. وهنا حدث ما أثار انفعال جميع الحاضرين بلا استثناء ، فان

الملكة لم تكد تسمع اسم خادمها الايطالى وتراه يصعد الى منصة الشهود حتى هبت واقفة على قدميها وصاحت معترضة في فزع : « ترادیتوری ! » .. ثم هرعت من مكانها الى أقصى القاعة فى خطوات تنم عن الانفعال الشديد .. فقامت ضجة كبيرة وساد الهرج والمرج قاعة المجلس . وبدا ان الاعضاء قد اعتبروا هذا « الانفجار » المفاجىء بمثابة اعتراف من الملكة باثمها !

ثم سمعت شهادة « ماجوكشى » ، فجاءت معززة للاتهام بصورة فاضحة .. **حتى لقد أثبت الشاهد ان الملكة أخذت حمامها فى احدى المناسبات وقد أغلقت باب الحمام عليها ، وبرجامى معها !**

وتكهرب الجو فى قاعة المجلس .. فقد كانت شهادة هذا الخادم دليلا بالغ الاهمية والخطورة فى القضية ، بحيث أيقن الجميع انه ما لم يفلح بروجام - كبير محامى الملكة - فى دحض هذه الشهادة وتفنيدها من أساسها ، فان المتهمة سوف تدان لا محالة !



الملكة وعشيقها .. فى الحمام !

وبدأت مشاعر اللوردات تلوح على وجوههم ، منذرة بالخطر .. وقوبلت أسئلة بروجام الاولى فى استجواب الشاهد بعلامات الامتعاض والانكار من الاعضاء .. ولكن لم تمض لحظات معدودة حتى تغير الجو كله مرة اخرى ، فان الشاهد الذى سرد شهادته بأكملها فى طلاقة لم يتخللها أى تردد أو

تلعثم ، بدأ يجيب على كل سؤال من أسئلة الدفاع يتضمن أدنى قسط من الاحراج ،بجواب واحد لا يتغير :

ـ «نون مى ريكوردو» (أى : لست أذكر !)

وفيما يلى نماذج من الحوار الذى دار بين المحكمة والشاهد :

ـ هل ذهبت وقابلت الكولونيل براون ؟ (وكان الكولونيل براون هذا شخصا وثيق الصلة « ببعثة ميلانو » التى أرسلها الملك الى ايطاليا لاصطياد أدلة ضد الملكة !)

ـ لست أذكر

ـ هل شكوت الى الكولونيل براون من أنك سوف تخسر ماليا اذا حضرت لتأدية الشهادة ؟

ـ لست أذكر

ـ هل بقيت لك بمقتضى عقد استخدامك مبالغ كبيرة تخشى ضياعها ؟

ـ لست أذكر

ـ هل دفع لك السفير البريطانى شيئا من المال كى تذهب لمقابلة الكولونيل براون ؟

ـ لست أذكر

وسرعان ما رجح الجميع من تكرار هذا « التهرب » الواضح ان شهادة الشاهد انما كانت « اسطوانة » محفوظة، وانه لما جاء دور امتحان صدق معلوماته انهارت شهادته أمام الاسئلة المفاجئة !.. وهكذا لم تلبث عبارات الشاهد المتكررة أن صارت تقابل من المجلس بضحكات السخرية والاستهزاء.. وأيقن الجميع أن الشاهد قد « اشترى » بمبلغ ضخم كى يحضر من ايطاليا ليؤدى شهادته هذه ضد الملكة !.. ولم يعد كل ذى رأى حر من أعضاء المجلس يتردد فى المجاهرة بأن شهادة هذا الخادم باتت لا تساوى المداد الذى تسجل به !

تخبط الشهود وتناقضهم

◆ ثم نودى شاهد آخر ـ وكان ضابطا ايطاليا من ضباط سفينة سافرت عليها الملكة فى احدى رحلاتها ـ فأيد أجزاء من الاتهام الموجه الى الملكة و «عشيقها» برجامى .. لكنه اضطر للاعتراف ـ ردا على سؤال من الدفاع ـ بأنه يتقاضى كل شهر مبلغ ثمانمائة ليرة علاوة على مصاريف اقامته فى انجلترا ، كمكافأة له مقابل تأديته هذه الشهادة !

وجاء ضابط آخر من ضباط السفينة نفسها فعزز الاتهام بشهادة مماثلة لشهادة زميله .. لكنه اعترف أيضا بأن السفير البريطانى فى نابولى سيدفع له ألفى ليرة مقابل قدومه من بلاده للادلاء بشهادته فى القضية !

وطرأت مناسبة استلزمت استدعاء الشاهد « ماجوكشى » من جديد لسؤاله عن بعض التفصيلات ، فأضحك المجلس بتساؤله فى فزع عما اذا كانوا ينوون قطع رأسه اذا نطق بأى قول كاذب ؟!

واذ خابت ـ الى حد ما ـ آمال الاتهام التى علقها على شهوده الايطاليين ، طلب ممثله سماع شهادة « الكابتن بريجز » الضابط بالاسطول البريطانى ، الذى قرر بأن الملكة كارولين وبرجامى وأشخاصا آخرين قد سافروا على ظهر سفينته فى احدى تنقلاتهم .

واستجوب بعض اللوردات الشاهد ، فسأله أحدهم :

ـ هل رأيت يوما أى مسلك غير لائق يصدر من جانب الملكة كارولين ؟

ـ مطلقا .

ـ هل حدث منها أو من سواها أى تصرف يبرر ارتيابك فى سلوكها ؟

ـ لم أر شيئا يبرر هذا الظن .

شهادة الخادمة السويسرية !

ولم يكن فى الشهادة السابقة ما يشجع سلطات الاتهام ، ولعلها لهذا السبب أخرت سماع أخطر شاهدة في جعبتها الى قرب النهاية ! .. **كانت الشاهدة خادمة سويسرية تعمل فى حاشية الملكة كارولين تدعى ((ديمونت)) ، وكانت فيما يبدو أكثر ذكاء وأعلى ثقافة ومستوى من الخدم الذين سبقوها .. وقد شهدت بما يلقى ظلالا قوية من الريبة على سلوك الملكة .. وتحدثت عن المرات المتكررة التى رأت فيها برجامى فى مخدع الملكة !.. وكانت الشاهدة فى لهجتها أكثر تحفظا ، ومن ثم أقوى تأثيرا ، من سابقيها !**

ولكن حين جاء أوان استجواب الدفاع لها ، وقع لها ما وقع للخدم الذين أدوا الشهادة قبلها ، فقد اضطرت للاعتراف بأن الملكة قد فصلتها من خدمتها بسبب اعتيادها الكذب !.. كما أقرت بأنها كتبت الى أختها عدة خطابات أطنبت فيها في امتداح مولاتها بمثل هذه العبارات : «أواه يا الهى ، انى مستعدة لان أبذل نصف عمرى فيما لو أتيح لها ـ أى للملكة ـ أن تقرأ قلبى .. انها لو فعلت لتبينت الاحترام اللانهائى والحب الذى لا حد له والامتنان الكامل الذى سوف أكنه لها على الدوام ! ».. بل اعترفت الشاهدة ، فوق هذا ، بأنها كتبت الى أختها تقول : « لقد علمت أن شخصا مجهولا أراد أن يسلمنى خطابا يتضمن عرضا مؤداه ان أشد رحالى الى لندن للشهادة ضد مولاتى ، مقابل كفالة الحماية التامة لى هناك ومكافأتى بمبلغ طائل فى القريب العاجل . وهكذا ترين يا عزيزتى بأى استعداد يتصرف أعداؤها ـ أى أعداء الملكة ـ فى كل ما يفعلون . »

وبدورها غادرت هذه الشاهدة المنصة تتعثر فى مشيتها خجلا بعد افتضاح أمرها !

على أن أغرب شهود الاثبات على الاطلاق كان رجلا يدعى

« جيزيبى راستيللى » ، وصف نفسه بأنه كان يعمل مشرفا على « اسطبل » الملكة ٠٠ ولم تكن شهادته فى ذاتها بالمنطوية على شىء هام ، لولا انه حين استجوب من جانب الدفاع اعترف مرغما بأنه كان يعمل جاسوسا لحساب « بعثة ميلانو » ، وانه تجول فى أنحاء أوربا كلها ليجمع الشهود ضد الملكة !

وبانتهاء « راستيللى » من شهادته هذه أسدل الستار على شهود الاثبات !

شهـــود النفى

◆ **وبعد** أن نهض ممثل الدفاع فأشار الى القسوة المروعة التى عوملت بها الملكة من زوجها طيلة حياتها الزوجية ، جاء دور سماع شهود النفى ٠٠ فكانوا على النقيض من شهود الاثبات فى كل شىء : فى تنزههم عن شوائب الغرض والمصلحة، وفى سمو مكانتهم الاجتماعية ، وفى طابع الصدق الذى لازم أقوالهم! وقد تتابع الواحد منهم وراء الآخر ، مقررين بلا استثناء انهم قابلوا الملكة أثناء تجوالها فى ممالك أوربا ، فلم يروا فى مسلكها نحو المدعو برجامى أدنى مظهر يتعارض مع مقتضيات اللياقة والعفة ٠٠ بل وناقض بعضهم الكثير من التفصيلات المعززة للاتهام التى أدلى بها شهود الاثبات !

٠٠ **وفجأة** وقع ما أثار فى جو الجلسة عاصفة من أقوى العواصف التى تخللت المحاكمة : كان المجلس يستمع الى شهادة «مقاول» أجرى بعض الاصلاحات فى فيللا «دنست» التى كانت تقطنها الملكة فى ايطاليا ٠٠ حين أضاف الشاهد قوله ، علاوة على ما سبق ، ان راستيللى صرح له أثناء عمله فى الفيللا بأنه كان يقوم بجولة يبغى منها جمع عدد من الشهود ٠٠ وانه سوف يحاول اقناع « بعثة ميلانو » بدفع فاتورة حساب تلك الاصلاحات !

الشاهد الذى ابعد من البلاد !

ولم يكد بروجام ـ كبير محامى الملكة ـ يسمع هذا الجزء من الشهادة حتى انتفض واقفا وصاح يطلب استدعاء «راستيللى» من جديد لمناقشته فى هذه الواقعة الجديدة ! ٠٠ لكن النائب العام تصدى له محاولا التهرب من اجابته الى طلبه، فبدأ أعضاء المجلس يرتابون فى الامر ويعتورهم القلق ! ٠٠ وأحس رئيس الجلسة بتكهرب الجو المنذر بالخطر فطالب النائب العام بأن يقرر صراحة ما اذا كان راستيللى لا يزال فى انجلترا بحيث يتيسر استدعاؤه أم لا ! ؟ .. **وهنا اضطر النائب العام للاعتراف بأن راستيللى قد أبعد عن انجلترا على أثر ادلائه بشهادته وانه الآن فى ميلانو ٠٠ !**

وأمام هذا الاعتراف الخطير بتدخل الدولة لابعاد الشاهد عن مسرح المحاكمة ، هب « بروجام » غاضبا يصيح بالمحكمة : « أريد أن أعرف أيها السادة ، وقد ألقى الضوء الآن على هذه الواقعة المشينة ، ما اذا كنتم ترون هناك داعيا لاستمرارى فى تقديم المزيد من الادلة التى تنفى الاتهام الموجه الى الملكة ؟ ٠٠ ان تصرف التاج فى صدد ابعاد راستيللى عن البلاد كاف وحده لهدم المحاكمة من أساسها ! »

واذ ذاك ساد الهرج أرجاء المجلس ، وأخذ الرأى على الاستمرار فى المحاكمة أو العدول عنها ، فتغلب ـ تحت ضغط شديد من الحكومة ـ رأى القائلين بالاستمرار ٠٠ واذ ذاك قدم الدفاع شاهدا جديدا يدمغ راستيللى بأنه قد دفع الى بعض شهود الاثبات ، ووعد بأن يدفع الى بعضهم الاخر ، مبالغ طائلة من المال على سبيل الرشوة !

الى هنا قد يبدو سير القضية فى صالح الملكة كارولين على طول الخط ٠٠ ولكن طرأ بعد ذلك ما شجع آمال حزب الملك ورجح كفته : فقد نودى شاهدان للنفى من ضباط السفينة التى

أقلت الملكة وحاشيتها خلال احدى رحلاتها ، فشهد أولهما ــ ويدعى الملازم فلين ــ شهادة قوية فى صالح المتهمة ٠٠ كما قرر الاخر ــ واسمه الملازم هومان ــ بأنه لم يلحظ يوما فى علاقة الملكة ببرجامى ما يشينها ، بل انه سمع مرة ان زائرا من زوار الملكة ذوى المكانة قد حاول أن يرشو الخدم كى يشهدوا ضد مولاتهم ، فما كان منه ــ أى الشاهد ــ الا أن تحدى ذلك الزائر كى يبارزه ، لولا أن حالت الملكة دون وقوع المبارزة !

الى هنا كانت شهادة الملازم هومان القوية فى صف الملكة ٠٠٠ لكنه لم يلبث أن قرر ، ردا على سؤال من أحد مستجوبيه، انه سمع أثناء الرحلة ان برجامى قد اعتاد أن ينام تحت نفس الخيمة التى أقيمت للملكة على ظهر السفينة٠٠ثم أضاف الشاهد انه مقتنع بصحة هذه الرواية !

وواضح ان هذا القول كان مفاجأة تامة لاعوان الملكة ، فتلقفه النائب العام من فوره باعتباره الدليل الختامى الحاسم فى القضية ! ٠٠

وقد كان كذلك فى الواقع ، سواء صح ما جاء فيه أم لم يصح !٠٠ فعلى أثر انتهاء المجلس من سماع الشهود ألقى محامو كلا الطرفين مرافعاتهم الحماسية المستفيضة ٠٠ وأخيرا انقسم المجلس عند أخذ الرأى فى الدعوى ــ لثانى مرة ــ انقساما أظهر الطابع السياسى الذى أسبغ على القضية .. لكن كفة الحكومة تغلبت ، فنالت أغلبية مقدارها ١٢٣ صوتا ضد ٩٥ .. !

لندن لا تنام ٠٠ فى انتظار صدور الحكم !

◆ **وكان** موعد أخذ الرأى ــ لثالث وآخر مرة ــ بعد أربعة أيام ، اجتاحت لندن خلالها موجة من الانفعال العاطفى العنيف ٠٠ وحين عقدت الجلسة المحددة لاصدار القرار النهائى كان الاقبال على حضورها يفوق الوصف ، والزحام فيها يكاد يزهق

الانفاس ٠٠٠ بل لقد بلغ من ضجيج المتفرجين ان الاقوال التى تبودلت فى المجلس ــ عند القراءة الثالثة لقرار الادانة ــ ضاع صداها فى ضجة صيحات النظارة ٠٠ !

وأسفر أخذ الرأى عن تفوق حزب الحكومة بأغلبية ١٠٨ الى ٩٩ ، وهى أغلبية ضئيلة لم تكن تسمح باصدار القرار ٠٠ فوقف اللورد ليفربول قائلا : انه نظرا الى ضآلة الاغلبية التى حصلت عليها الحكومة (التى فى صف الاتهام) ، ونظرا لشعور الرأى العام العدائى الواضح نحو الاتهام ٠٠ فانه يتعين سحب قرار الادانة !

وقد هللت انجلترا بأسرها لهذه النتيجة ورقصت طربا ٠٠ وباتت كل مدنها الكبرى ليلتئذ شعلة من نور ٠٠ !

وأيا كانت الحقيقة فى صدد التهمة التى نسبت الى الملكة كارولين ٠٠ فان محاكمتها قد أثبتت بالدليل القاطع ان ماقاسته التعسة خلال حياتها الزوجية من معاملة مشينة وقسوة رهيبة من جانب زوجها الملك جورج الرابع ، كان من الفظاعة بحيث لم يكن الشعب الانجليزى مستعدا ــ مهما كانت الظروف ــ لان يسمح لها بأن تقاسى مزيدا من المذلة ٠٠ !

لكن قدرها المشئوم كان يتربص لها ويطاردها ٠٠ فماتت بعد عام واحد من ذلك التاريخ !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد السابقة على التوالى ، من قصص هذا الباب : «أموك» أو (غرام تحت سماء الشرق) لستيفان زفايج .. و «شجرة التفاح» أو (قلب عذراء) لجون جالزورثى .. ثم ((مرتفعات وذرنج)) لاميلى برونتى .. و «التلميذ» أو (عندما يضل الشباب) لبول بورجيه .. يليها «أحدب نوتردام» لفيكتور هوجو .. و «جريمة حب » لبول بورجيه .. وأخيرا « جين اير » لشارلوت برونتى ..

واليوم أقدم لك فى الصفحات التالية : « أيام بومبى الاخيرة » للورد ليتون .. يليها فى الاعداد التالية من «كتابى» باذن الله : مانون ليسكو (بريفو) ايفانهو (والتر سكوت) صورة دوريان جراى (أوسكار وايلد) أوليفر تويست (تشارلس ديكنز) سافو (ألفونس دوديه) البؤساء (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (اميل زولا) تاييس (أناتول فرانس) الجريمة والعقاب (دستويفسكى) الحرب والسلم (تولستوى) .. الخ



لــورد ليـتـون

أيام "پومپی" الأخيرة

المؤلف

(١٨٠٣ - ١٨٧٣)

◆ برغم شهرة هذه القصة ، فان مؤلفها يكاد يكون مجهولا من غالبية القراء ، ولاسيما فى الشرق .. ولعل مرد ذلك الى انها قصته الوحيدة الناجحة ، ومن ثم اشتهرت القصة وباتت تعرف باسمها ، وليس باسم مؤلفها .. مثلها فى ذلك مثل قصة «كوفاديس» العالمية ، التى يجهل ٩٩ فى المائة من قراء القصص - بل من قرائها هى ذاتها ! - اسم مؤلفها .. والا فهل سمعت من قبل باسم «هنريك ساينكيفيشز» ؟

وقد ولد مؤلف قصتنا هذه «ادوارد بولوير ليتون» فى ٢٥ مايو سنة ١٨٠٣ فى مدينة لندن ، وتلقى دراساته فى مدارس خاصة ثم فى جامعة كمبردج . وقد وهبته الطبيعة عبقرية لامعة خصبة اعانته على الوصول الى مقاعد البرلمان حيث مثل اقليمى «سانت آيفيس» و «لنكولن» منذ سنة ١٨٣١ الى ١٨٤١ ، منضويا تحت لواء حزب الاحرار .. ثم مثل اقليم «هرتفورد شاير» على مبادىء حزب المحافظين منذ عام ١٨٥٢ الى ١٨٦٦ . وفى هذه الاثناء عين وزيرا للمستعمرات (١٨٥٨ - ١٨٥٩) . وقد منح لقب سير سنة ١٨٣٨ ، ولقب لورد سنة ١٨٦٦ .. ومات فى مدينة «توركاى» يوم ١٨ يناير سنة ١٨٧٣ ثم دفن فى مقبرة «وستمنستر أبى»

وقد كتب لورد ليتون قصته هذه فى مدينة نابولى خلال شتاء ١٨٣٢-١٨٣٣ ، ونشرت فى العام التالى ، فلقيت نجاحا هائلا . وما تزال تعتبر الى اليوم من أروع القصص التاريخية الطويلة .. هذا وتدور حوادثها حوالى عام ٧٩ قبل الميلاد ، أثناء حكم الامبراطور «تيتوس» القصير الامد ، حين كانت روما فى قمة مجدها وازدهارها . وكانت «بومبى» بمثابة روما أخرى مشرفة على البحر !

١ - غرام الاثينى

◆ بين أسوار مدينة بومبى كانت تجتمع نماذج من كل أبهة يخلعها الترف على ذوى السلطان .. ففى حوانيتها الصغيرة المتألقة ، وقصورها الرشيقة الانيقة ، وحماماتها ، وملاعبها ، ومسارحها ، وساحة «سيركها» .. وفى نشاط - وفساد - أهلها .. وفى دماثتهم ، وتهذيبهم - ورذائلهم فى الوقت



◆ ورغم ان لورد ليتون قد كتب هذه القصة قبل نحو ثلاثين عاما من بدء حفريات التنقيب عن آثار وحضارة المدينة العظيمة التى أزالتها الزلازل والبراكين المروعة من عالم الوجود .. الا انه صور فيها مع ذلك ، بدقته الادبية المعهودة ، صور الحياة المترفة والبذخ واللهو اللذين كانا طابع مدينة بومبى المذكورة ، التى جمعت بين مظاهر الحضارتين اليونانية والرومانية .. كما صور فيها عبادة القوم للآلهة «ايزيس»، وتجارتهم مع الاسكندرية - عاصمة الشرق الزاهرة فى ذلك العصر - ثم كفاح المسيحية فى ايامها الاولى ضد الخرافات الوثنية .. وقد التزم المؤلف فى تصوير ذلك كله منتهى الدقة والمراعاة للحقائق التاريخية ، دون أن يفقد القصة الطابع الروائى الخلاب..

وقد رأيت أن أقدم لك اليوم هذه القصة الشائقة ، كى ترى فيها لونا من الوان القصص التاريخى الذى يجمع بين المتعة والفائدة ، ويصور لك الحياة منذ آلاف السنين .. وسترى فيها معرضا عجيبا للعواطف والغرائز ، يصطرع فيه الحب والبغض ، والغيرة والانتقام ، والرجل والمرأة .. كما هو الحال فى كل زمان ومكان .. أمس ، واليوم ، وغدا .. حتى انقضاء الدهر !

نفسه ! - كنت ترى نموذجا مصغرا للامبراطورية الرومانية بأسرها !

كانت بومبى أشبه بدمية ، لعبة ، « صندوق دنيا » ، حلا للآلهة أن تمثل فيه صورا مما يجرى فى أعظم امبراطورية على الارض .. وكان خليجها معرضا زاهرا يزدحم بسفن التجارة الضخمة وسفن اللهو الانيقة .. وزوارق الصيادين تنزلق على صفحة مياهه ذاهبة آيبة . ومن بعيد كنت ترى

الصوارى الشامخة لقطع الاسطول الخاضع لامرة القائد «بلينى» ٠٠

ثم تبدأ القصة ذات يوم ٠٠ وقد عاد يونانى يدعى «جلوكاس» الى بومبى ـ بعد أن قام برحلة الى نابولى ـ فالتقى فى أحد الشوارع المزدحمة بزميل له يدعى «كلودياس» ، واذ ذاك أخذه من ذراعه متجها نحو بقعة منعزلة على الشاطىء ٠٠ وهناك جلس الاثنان فوق صخرة صغيرة تنهض وسط الرمال التى انتثرت عليها الحصباء الناعمة ، ينهلان النسيم البارد المنعش الذى راح يرقص فوق الامواج ، كأنما على أنغام لحن خفى !

وأغراهما جمال المنظر بالصمت ، والاستغراق كل فى أحلامه : أما كلوديوس ، الذى كانت متعته الكبرى أن يجلس الى موائد القمار ، فقدحجب الشمس عن عينيه بكفه وسرح بخياله يحصى أرباحه فى الاسبوع المنصرم !٠٠ وأما زميله اليونانى فقد اتكأ الى الامام على يديه ولم يجفل من الشمس ، آلهة وطنه الحارسة ، التى تسرى فى عروقه أشعتها المشرقة بالشعر والبهجة والحب ٠٠ بل لعله وهو يحدق فى الفضاء العريض المنسرح أمامه كان يحسد كل نسمة هواء نشرت أجنحتها وانطلقت نحو شواطىء اليونان ، وطنه الحبيب !

◆ ورغم أن جلوكاس قد انغمس فى ملذات عصره ، فان انغماسه كان بالقدر المعقول الذى يمليه عليه شبابه وصحته ٠ ولم يكن الشاب يوما من ذوى القلوب الملوثة ٠ بل كان برغم ثرائه يحتقر المال ، الاباعتباره وسيلة للاستمتاع ، ويرى العالم سجنا واحدا كبيرا ، وامبراطور روما سجانه ! والفضائل التى جعلت منه فى ظل حضارة وطنه أثينا ، وحريته ، رجلا طموحا ٠٠ صيرته فى ظل الاستعباد الرومانى خاملا عقيما !

وقطع الاثينى فترة الصمت والتأملات بقوله : « قل لى ياكلوديوس : هل عرفت الحب ؟ »

ـ نعم ، كثيرا ٠٠

ـ ان الذى أحب كثيرا ، لم يحب على الاطلاق !

ـ أو غارق أنت اذن فى حب جدى ؟ هل تحس بتلك المشاعر التىيصفها الشعراء ويتغنون بها ٠٠ المشاعر التى تنسى الانسان طعامه وتغريه بقراءة القصص وارتياد المسارح وقرض الشعر ؟

فأجاب جلوكاس وهو يبتسم :

- انى لم أصل الى هذا المدى بعد .. والواقع انى لست بعاشق ، لكنى قد أصبح كذلك اذا أتيحت لى الفرصة لرؤية طيفى الجميل .. مرة أخرى !

- دعنى أحدس اذن اسم فتاتك : أليست هى ابنة ديوميد ؟ انها تعبدك ، ولاتخفى ذلك ! وهى جميلة وغنية ، وسوف تغرق زوجها بخيراتها !

- كلا ، لست أبغى أن أكون سلعة تباع !.. أعلم أن ابنة ديوميد حسناء ، ولولم تكن حفيدة عبد أطلق من عقاله ، لربما فكرت .. ولكن كلا ، انها تحمل جمالها كله فى وجهها . لكن حركاتها ليست حركات عذارى ، وعقلها لم يزود بثقافة ما .. اللهم غير ثقافة المتعة !

- انك ناكر للجميل .. ولكن قل لى : من تكون هذه العذراء السعيدة اذن ؟

- اليك قصتى ياعزيزى كلوديوس :

٢ - لقاء .. فى حضرة الله !

◆ منذ بضعة أشهر كنت أقيم فى نابولى ، التىلهامكانة خاصة فىقلبى .. وذات يوم ، دخلت معبد «مينرفا» كى أصلى ، لا من أجل نفسى فقط بل من أجل بلدى أيضا .. وكان المعبد خاليا مهجورا ، فتزاحمت ذكريات أثينا على مخيلتى متتابعة متلاحقة .. واذ خيل الى فى غمرة استغراقى اننى بمفردى ، اندفعت صلواتى من قلبى الى شفتى .. وبكيت وأنا أصلى !.. وفجأة أفقت من استغراقى على صوت تنهدة عميقة بالقرب منى ، فاستدرت مأخوذا نحو مصدرها .. واذا خلفى امرأة ، تصلى بدورها .. وقد رفعت نقابها عن وجهها !.. فلما التقت أعيننا حسبت شعاعا سماويا قد انطلق بغتة من تينك العينين الفاحمتين الباسمتين .. وانصب فى روحى انصبابا !

« وصدقنى ياعزيزى كلوديوس اننى لم أر فىحياتى وجها قد صيغ فى أجمل من ذلك القالب !.. كانت مسحة من الكآبة تزيد تعبير ذلك الوجه نعومة و .. سموا ! والدموع تتقاطر من عينيها !.. ومن أول وهلة أدركت أنها أثينية من مواطناتى ، فتحدثت اليها - وان يكن بصوت مختلج - قلت لها : «ألست ياسيدتى أثينية ؟» .. فتورد لدى سماع صوتى وجهها ،

وأجابت : « لقد ولدت فى نابولى ، لكن قلبى ، وعظام أجـــدادى ، هناك فى أثينا ! »

« فقلت لها : «دعينا اذن نقدم صلواتنا معا » .. وكان الكاهن قـــد ظهر فوقفنا جنبا الى جنب ، نتابع طقوس العبادة التقليدية : فلمســنا ركبتى الآلهة معا ، ووضعنا طاقة أزهار الزيتون على المذبح معا .. ثم غادرنا المعبد فى صمت . وفيما أنا أهم بأن أسألها أين تقطن ظهر شاب يشبهها فى ملامحه فأخذ يدها فى يده .. واستدارت فحيتنى مودعة ، ثم فرقت بيننا جمـوع السابلة ..!

« وكان ذلك آخر عهدى بها ، فلم أرها مرة أخرى !

◆ ثم غادرت نابولى الى أثينا لفترة قصيرة ، وحين عدت واصلت بحثى عن مواطنتى المفقودة ، لكنى لم أهتد الى أى «مفتاح» يوصلنى اليها .. وهكذا جئت الى «بومبى» آملا أن أغرق فى ملاهيها الصاخبة المرحة كل ذكرى لذلك الطيف الجميل !

« هذه قصتى بحذافيرها .. فأنا لست عاشـــقا ، وانما كل مابى : ذكرى .. وحسرة ! »

وفرغ جلوكاس من حديثه ، وافترق الصديقان .. ولكن فى تلك الليلة بعينها ، فى منزل من منازل بومبى ، التقى الاثينى الحائر بامرأة أحـــلامه «ايونى» وجها لوجه !.. وكانت قد جاءت من نابولى خلال فترة غيبته عنها .

وفى هذه المرة لم يعد يستطيع أن يقول : «انى لست بعاشق ! »

٣ ـ الساحر المصرى !

وكان بين قاطنى «بومبى» الاثرياء رجل يعيش فى عزلة تامة عن الناس ، جعلته موضع شكوكهم ومخاوفهم ! وكان ثراء هذا الرجل ـ الذى عرف باسم «أرباس المصرى» ـ يتيح له أن يشبع الى حد التخمة عواطفه الغالبة المسيطرة عليه : ميوله الحسية العارمة ، ونزعته الاخرى التى كان يجد فيهـــا متنفسا من تخمته الجسمانية ، وهى ممارسة «السحر» والتعمق فى دراسته ، مدفوعا بايمانه بأن هذا الفن الغامض هو من تراث حضارة أجداده الفراعنة !

وكان أرباس قد تعرف فى نابولى الى والدى «ايونى» وأخيها «ابا سيدس» ،

فجاءوا الى بومبى ليكونوا فى رعايته .. ثم مات الابوان فمنحته الفتـــاة وأخوها نفس الثقة التى كان يحظى بها من والديهما .

لكن ارباس كان يطوى قلبه على الاحتقار البالغ للفتى «اباسيدس» ، الذى لم يكن فى نظره غير أداة يستطيع اســتغلالها لاغراء «ايونى» بالاستسلام لرغباته .. سيما وانه قد أعجب منها بعقلها مثل اعجابه بحسنها ، فحلق به خياله الى قمم شاهقة من المطامع والاحلام .. رآها من سمائه قابعة الى جواره ، خاضعة لنزواته ــ برضاها ــ خضوع الجارية التى تعشق مولاها !

◆ وقد رسم الماكر لتحقيق حلمه خطة محكمة : سعى فى البـــداية الى التأثير على عقل الفتاة الساذج بفيض معلوماته الخارقة فى فنونه السحرية .. وقد نجح بالفعل فى أن يظفر منها باعجابها بعلمه الغزير ، وشكرانها له على جميل رعايته لاسرتها ولها ..

وكانت الخطوة التالية أن يستغل الساحر ميل شقيق الفتـــاة الوديع المسالم الى الدين والتعبد ، فيضمه الى كهنة «ايزيس» ، ويعهـــد بتـــدريبه الى كاهن زائف من أتباعه .. وبذلك أفلح فى أن يزيحه عن طـــريق مطامعه ، ويلهيه بحرفته الجديدة عن الالتفات الى مصير شقيقته !

أما الخطوة الثالثة فكانت أن يترك الفتاة فترة من الزمن محاطة بشباب بومبى الفارغين التافهين ، كى تدرك الفارق بينهم وبينه ، فتزداد اعجـــابا وتعلقا به !

وكان من مقتضى هذه الخطة أن يضن على فتنته بزياراته ، ولايدع بصرها يقع عليه كثيرا .. وهكذا لم يتنبه صاحبنا الى الصداقة الحارة التى نمت فى غفلة منه بين «ايونى» وذلك الاثينى الوسيم «جلوكاس» ، منذ التقيا ــ للمرة الثانية ــ فى منزل من منازل بومبى !.. ولا عرف بنبأ نزهاتهما الليليـــة فى البحر الساكن ، وخلواتهما المتكررة فى مسكن الفتـــاة .. تلك النزهات والخلوات التى باتت عنصرا مألوفا من عناصر حياتهما اليومية !

.. حتى كان يوم فاجأهما فيه الساحر معا !.. فانفتحت عينـــاه فجأة على الواقع المرير .. ولم يكد الاثينى ينصرف فى تلك الليـــلة حتى شرع أرباس فى تسميم ذهن ايونى ضده بالمغالاة فى وصف انغماسه فى اللهـــو والملذات ، والتلميح من طرف خفي الى أنه انما يعبث بعواطف الفتاة الغريرة !

ثم انتقل أرباس فورا من هذا الضرب على وتر « كبرياء » فاتنته ، الى تذكيرها ـ كأنما دون قصد ـ بأنها لم تر قصره من الداخل قط ، فى حين أنه قد يعجبها ٠٠ ثم دعاها الى أن تكرس لصديقها الجاد الصارم ـ يعنى نفسه ـ احدى هذه الامسيات الصيفية الحالمة ، هامسا لها بمثل هذه الكلمات المعسولة : « دعينى أفخر بأن قصرى الكئيب الموحش قد تشرف بوجود ايونى الفاتنة بين جدرانه ! »

ورحبت الغريرة بالفكرة ، جاهلة بالخطر الذى يتهددها ، والدنس الذى يكتنف القصر !٠٠ لكن الاقدار هيأت لها مخلوقة كانت تعرف ـ بالمصادفة ـ تأثير السحر الذى يسيطر به أرباس على زائريه ٠٠ فظهرت على مسرح الاحداث ، على حين غرة ٠٠ تلك هى الفتاة العمياء « نيديا » !

كانت نيديا يونانية من (تساليا) خطفت وبيعت كجارية للمصارع المتقاعد « باربو » ، الذى سامها العذاب ألوانا ٠٠ حتى أنقذها من عبوديته الشاب الاثينى جلوكاس ، وجعلها تتعهد حديقته وأزهاره بعنايتها ٠٠ فعرفت له العمياء صنيعه وجازته عليه اخلاصا ، ووفاء ، وحبا ٠٠ الى حد أن قلب المسكينة تمزق حين استشفت من تصرفات منقذها أنه لم يحررها من آسرها الابدافع الشفقة المحضة وطيبة القلب ، وانه يعتزم ارسالها الى محبوبته «ايونى» كى تتوفر على خدمتها !

لكن التعسة قمعت فى قلبها مع ذلك كل احساس بالغيرة حين سمعت بزيارة ايونى للساحر ، وأخطرت من فورها عاشق الفتاة وشقيقها بالخطر الذى يتهدد محبوبتهما الحسناء !

٤ - فى وكر الذئب !

◆ عندما وصلت ايونى الى قصر الساحر ، حياها هذا بمظاهر الاحترام الكامل ٠ لكنه لم يلبث حتى تبين أن مقاومته لاغراء وجود فاتنته تحت سقفه ، وفى متناوله ، لهى مهمة أصعب وأعقد بكثير مما كان يحسب !٠٠ وهكذا ، فى لحظة ضعف واشتهاء ، باح الرجل لضيفته بهواه المبرح !٠٠ وأردف مكاشفته بقوله ، وهو راكع على ركبتيه أمامها : « لن يكون لى مطمع غير أن أحظى بشرف اطاعتك يا ايونى ٠٠ فلاترفضى حبى ! »

ورغم أنها كانت وحيدة مستضعفة ، فى قبضة ذلك الذئب القــوى الماكر ، فانها لم تكن قد أحست بعد بأى انزعاج ٠٠ فقــد طمأنتها لهجته الوقورة ، وعباراته المهذبة ، ونعومة صوته ! وأحست من نقائها الذاتى وطهر مقاصدها بشىء من الحماية ٠٠ لكن عنصر المفاجأة الذى اقترنت به مفاتحــة الساحر لها بحبه قد أدهشها ، وأثار اضطرابها ، وبلبل أفكارها ٠٠ فانقضت دقائق قبل أن تسترد القدرة على الكلام ، لتقول : « انهض يا ارباس ٠ انهض ! واذا كنت جادا ، وكانت مقاصدك ٠٠؟

فقاطعها الساحر فى رقة : « اذا ٠٠؟»

ـ حسنا ، اصغ اذن الى : لقد كنت حامى ، وصديقى ، ومرشــدى ٠ أماهذا الاعتبار الجديد فلم أكن متأهبة له ٠ (ثم أضافت بسرعة وقــد لمحت عينيه القاتمتين تلمعان ببريق انفعاله وشــــهوته الحادة !) « ولاتحسب انى أحتقر عاطفتك أو انها لم تلمس شغاف قلبى ، فان تكريمك هــــذا لى ليشرفنى ٠٠ ولكن ، هلااستطعت أن تصغى الى فى هدوء ؟

ـ كيف وكلماتك كادت تحرقنى بنارها ، كالصاعقة ؟

فأجابت ايونى فى صوت حازم ، وقد تورد وجههــــا برغمها : « انى أحب ٠٠ آخر ! »

فصاح بها أرباس وقد انتفض واقفا : « بحق الآلهة لاتقـــولى شيئا من ذلك ! لاتسخرى منى ! هذا مستحيل ! وهل رأيت أحدا ؟ من ذا الذى عرفت ؟ أواه يا ايونى ٠ انها أكذوبة من اختلاق خيالك النسائى ، أردت بهـا أن تكسبى الوقت !٠٠ فانى قد فاجأتك ، قد أفزعتك ٠٠ »

وأمام ثورة الرجل العنيفة غير المتوقعة ، انخرطت ايونى فى البكاء ٠٠ فدنا منها أرباس ، وأحست أنفاسه على خدها ، وأحاطها بذراعيه !٠٠ فانفلتت هاربة من عناقه ٠٠ وفى صراعهما ســـــقط من صدرها شىء ، لمحه ارباس فالتقطه ٠٠ واذا هو خطاب قد تلقته فى الصباح من جلوكاس !

ومرت عينا أرباس بسرعة على السطور ، فقرأه الى آخره فى مثــل لمح البصر ٠٠ ثم قال فى صوت هادىء ماكر ، وقد سقط الخطاب من يده : « هل كاتب هذا الخطاب هو الرجل الذى تحبين ؟ »

فتنهدت ايونى ، ولم تجب !

- تكلمى !

- انه هو !

فقال أرباس وهو يخفض صوته فى شبه همس : « اذن فاسمعينى : ان القبر أقرب اليك من ذراعى هذا الرجل ! »

وفى هذه اللحظة أزيحت احدى ستائر الغرفة بعنف مزق أطرافها ، وظهر من خلفها جلوكاس وأبايسيدس (شقيق الفتاة) !.. ودار بين الثلاثة عراك وحشى ، كان ليسفر عن نهاية مشئومة ، لولم يهتز تمثال رخامى لرأس احدى الآلهة من فوق قاعدته فيسقط فوق أرباس فى اللحظة التى كان فيها يوشك أن يطعن الشاب الاثينى بخنجره طعنة قاتلة .. فخر الساحر الى الارض بلاحراك ، فاقد الوعى !

وبذلك نجت ايونى .. ولاذت بأحضان حبيبها ومنقذها ، أشد تعلقا به من أى وقت مضى !

٥ - اكسير الحب !

◆ لم يكن كلوديوس مخطئا حين قال ان «جوليا» - ابنة التاجر الثرى ديوميد - كانت متورطة فى هوى الشاب الاثينى الوسيم جلوكاس .. فانها لم تكد تيأس من أن يبادلها فاتنها حبا بحب ، حتى بيتت نيتها على الانتقام منه !

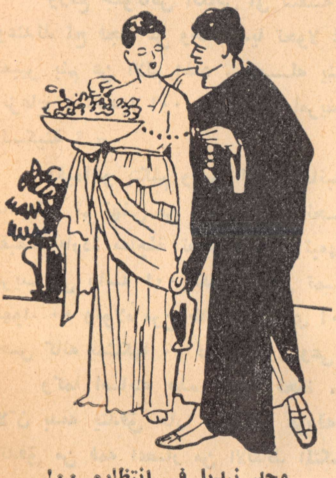
وفى حمى هذه الرغبة لجأت الى الساحر المصرى أرباس تنشد معونته ، بوصف أنها عاشقة تعانى لوعة الحب المرفوض !.. وسألته أن يحضر لها أكسيرا يوقع محبوبها فى هواها ويصرفه عن محبوبته الاخرى !

لكن أرباس حدس من فوره سر جوليا وعرف شخصية معشوقها المتدلل.. فلما سمع أن جلوكاس وايونى يتأهبان لعقد قرانهما فى القريب ، رحب بهذه الفرصة الفريدة التى ساقت اليه من تنتقم له من غريميه دون أن يبذل جهدا .. لكنه صارح زائرته بأنه لايتعامل فى أكسير الحب ، وانما سيأخذها الى ساحرة تتقن هذه الصنعة ، وتقطن فى سفح جبل «فيزوف» ..

وأنجز وعده !.. لكنه والساحرة كانا يخشيان الوقوع تحت طائلة القانون الذى يحرم ذلك الاكسير ، فأعطياها بدلا منه سما يسبب لمن يشربه الجنون !

◆ ولكن ، مرة أخرى ، هيأت الاقدار الفتاة العمياء «نيديا» كى تفسد خطط الساحر أرباس !٠٠ وكان تعلق التعسة بمحررها جلوكاس قد تعمقت جذوره فى قلبها وتطور الى حب عارم ، وغيرة جارفة من منافستها ايونى !٠٠ وكأنما أبت الاقدار الآن تزيد نار غيرتهـا اشتعالا ، فساقت لهـا بدل المنافسة اثنتين ٠٠ فقد كانت على صلة بجوليا ، فكاشفتها هذه ذات يوم بسر حبها الكظيم للشاب الاثينى !٠٠ واذ ذاك وجدت فيها العمياء غريمة جـديدة تنازعها قلب الرجل الذى تحب !٠٠ فلما صارحتها جوليا بأمر الاكسير الذى تنوى أن تدسه للشاب كى توقعه فى هواها ، انتهزت العمياء احدى الفـرص وسرقت الاكسير من محدثتها - كى تستخدمه لحسابها الخاص ! - ووضعت بدلا منه فى القارورة ماء زلالا !

وحانت الفرصة التى ترقبتها جوليا لتنفيذ مؤامرتها ، حين أقام والدها حفلة ساهرة دعا اليها - ضمن من دعاهم - الشاب الاثينى جلوكاس !٠٠ وفى ختام الحفلة قدمت الماكرة لضيفها جرعة الاكسير المزعومة ٠٠ ولكن كم كانت دهشتها حـين رأت جلوكاس يضـع الكأس الفارغة فى هـدوء - بعد أن جرع محتوياتها ! - ثم يستأنف حديثه معها بنفس الثبـات والاتزان اللذين عهدتهما فيه ! وفى غمـرة دهشـتها راحت تمنى نفسها : « غدا يظهر مفعول الاكسير ٠٠ لهفى عليك ياجلوكاس ! »



وجد نيديا فى انتظاره ٠٠!

السم فى العسل !

◆ فلما وصل جلوكاس الى بيتـه فى تلك الليلة ، وجد العمياء نيديا فى انتظاره ٠ كانت قد فرغت من تعهـد أزهار حديقته كعادتها ، ثم تلكأت عن

الانصراف زاعمة أنها متعبة تبغى قسطا من الراحة !

وقال لها جلوكاس : « ما أشد حرارة الجو اليوم !٠٠ ان النبيذ الذى شربته يلهب أحشائى ، بحيث أتوق الى تناول شراب مرطب ٠٠ »

وهنا سنحت للعمياء فرصتها المنشودة ، فجأة وعلى غير انتظار ، فقالت من فورها وهى تحاول اخفاء انفعالها : « سأعد لك حالا ذلك الشراب الصيفى الذى تحبه ايونى : العسل والنبيذ المزوجين بالثلج !»٠٠

فقال لها جلوكاس دون أن يرتاب فى شىء : « شكرا ٠٠ اذا كانت ايونى تحبه فهذا يكفينى ٠ انه يفيدنى عندئذ ولوكان سما ! »

تجهمت العمياء لدى سماع العبارة الاخيرة ، ثم ابتسمت ٠٠ وبعد أن غابت بضع دقائق عادت تحمل كأس الشراب ، فتناولها جلوكاس من يدها ٠٠!

أى ثمن كانت العمياء لاتبذله مقابل أن يرد اليها بصرها كى ترى فى يد محبوبها الكأس التى ستمهد لشرق حبه المقبل المرموق ٠٠ لها هى !؟

ورفع جلوكاس الكأس الى شفتيه ، وجرع نحو ربع محتوياتها ٠٠ وعندئذ لمح فجأة على وجه نيديا تحولا غريبا أفزعه ! لقد ارتسم فى ملامحها تعبير ينم عن الالم الحاد ، جعله ينزع الكأس من فمه ويهتف بها فى انزعاج : «نيديا !٠٠ نيديا !٠٠ أمريضة أنت ؟ هل تحسين بأى ألم ياطفلتى المسكينة ؟ »

وفيماهو يتكلم وضع الكأس جانبا ـ لحسن حظه ـ قبل أن يأتى على مافيها ، ثم نهض من مقعده متجها نحو الفتاة ٠٠ وفى تلك اللحظة أحس بقبضة باردة مفاجئة تعصر قلبه ، تبعها احساس حاد ، مضطرب ، بدوار غريب فى رأسه !٠٠ لكأن الارض تميد تحت قدميه ، وقدميه تطيران فى الهواء ٠٠ وتولاه مرح طاغ غير عادى !٠٠ وود لوكانت له أجنحة ، بل لقد أحس كأنه يمتلكها ٠٠ فاندفع دون وعى يضحك ضحكة عالية مدوية !

وكما أصابته هذه النوبة فجأة ، زايلته فجأة ـ ولو جزئيا ـ فأحس الآن بدمه يتدفق حارا قويا فى عروقه !٠٠ ثم غام على عينيه شبه ظلام ، وتدفق من فمه اعصار من الالفاظ المتكسرة ، المتقطعة ، المجنونة ٠٠ ولفرط فزع نيديا اندفع يقفز السلم الى الباب الخارجى ٠ ومنه الى الشوارع ، التى

أضاءتها النجوم ٠٠ وبلغ من غرابة منظره أنه بث الرعب فى قلوب كل من رأوه فى تلك الليلة !!

٦ ـ جريمة قتل !

◆ فى اليوم التالى انطلق الساحر أرباس الى منزل جوليا ، يدفعه شـوق ملح الى معرفة نتيجة الشراب الذى أعطاها اياه كى تسقيه لغريمهما الاثينى !٠٠ وفى طريقه التقى بالفتى « أبايسيدس » شقيق ايونى ، فتبادل الاثنان الشتائم والاهانات ٠ واذ أحنقه الاحتقار الذى أبداه الشاب نحوه استـل خنجـره وطعنه به طعنة مباشرة فى القلب ٠٠!

وفى تلك اللحظة ظهر جلوكاس مقبلا من بعيد ، على تلك الحال من فقدان الادراك ٠٠ وبمثل سرعة الفكر تحرش به صاحبنا وألقاه أرضـــا ، مغمى عليه ٠٠ ثم انتزع منه خنجره فغمسه فى دم القتيـل وتركه بجانبـه ، فى الوقت الذى استرد فيه خنجره هو من الجثة !٠٠ وحين تم له ذلك أطلق عقيرته طالبا النجدة ٠٠ وبعد لحظات كان يتهم جلوكاس بارتكاب الجريمة !

وحالف الحظ صاحبنا فى البداية ٠٠ فقضى المحققون بأن يواجه جلوكاس أسدا مفترسا فى ساحة الالعاب الكبرى ، بشرط أن لايكون مسلحا بغيرخنجره الذى ارتكب به الجريمة !٠٠ هذا بالرغم من أن التعس كان مايزال منطلقـا يهرف على غير هدى ، بتأثير الجرعة التى تناولها من ذلك الاكسير السام !

وفى غمرة فزع العمياء من نتيجة التدبير الذى أعدته ونفـذته ، اعترفت للساحر المصرى بقصة سرقتها لاكسير الحب الحقيقى من غريمتها جوليا ! فكان جزاؤها على هذا الاعتراف أن حبسها أرباس فى احدى حجرات قصره !

وكان الكاهن الزائف ، الموالى للساحر ، قد رأى سيده وهو يقتـــل أباســيدس ، فشرع فى استغلال علمه بهذا السر كى يبتز منه ماله مقـــابل كتمانه !٠٠ لكن الماكر عرف كيف يوقع بتابعه الخائن فى فخ ويحبســه بدوره فى أحد سراديب قصره ! ثم كانت الطامة الكبرى حين قضى القانون بتسليم «ايونى» اليتيمة الى أرباس ليرعاها !٠٠ وهنا ، وللمرة الثالثة ، هيــأت الاقدار « نيديا » العمياء كى تفسد مؤامرة الساحر الشرير : فانها سمعت وهى فى محبسها أصوات أرباس وتابعه يتساومان على كتمان السر ٠٠ ثم ســمعت

صرخات التابع من سردابه المظلم بعد الايقاع به ٠٠ فاستطاعت أن ترشو حارسها كى يحمل رسالة منها الى صديق لحبيبها جلوكاس يدعى «سالاست» ٠٠ فلم يلبث هذا أن جاء على رأس حشد من خدمه فأطلق سراح السجينين عنوة ثم أسرع معهما الى حلبة المصارعة ليتهم أرباس علنا بجريمة قتل الشاب أبابسيدس !٠٠ وقد وصل الثلاثة الى الحلبة فى اللحظة التى تهيأ فيها القوم لاطلاق الاسد على الاثينى كى يصارعه وينهش لحمه !

لكن أعصاب الساحر الشرير لم تخذله حتى وهو يشهد أمله الاخير يتبدد ، وهو قاب قوسين أوأدنى من متناوله !٠٠ فقد واجه الاتهام الذى وجه اليه ببروده ورباطة جأشه المألوفين !٠٠ لكن الاتهام المدعم بالاسانيد الذى أعلنه كاهن معبد ايزيس على رؤوس الاشهاد ، أثار ثائرة الجماهير وهياجها ضد أرباس ٠٠ فهب الجميع من مقاعدهم واندفعوا صوبه وهم يتصايحون بطلب الاقتصاص منه !

٧ ـ غضب الآلهة !

◆ ولكن ، فى تلك اللحظات الرهيبة رفع أرباس عينيه ، فرأى ظاهرة غريبة مروعة تبدو عند الافق ٠٠ وللحال ارتدت اليه شجاعته ، وعمد الى فنونه فى الدجل والتأثير على مدارك الجهال بسحره المزعوم ، فمد يده فى قوة وهيبة يأمر الجماهير بالصمت والاخلاد الى السكون ٠٠ وارتسم على قسمات وجهه الوقور وفوق حاجبيه المهيبين تعبير آمر يوحى بالرهبة !٠٠ ثم صاح بصوت مزمجر كالرعد ، أخرس ضجيج الجماهير : « أنظروا !٠٠ أنظروا كيف تحمى الآلهة البرىء ؟ ان نيران البراكين المنتقمة تثور غاضبة على الشهادة الزائفة التى أدلى بها متهمى ! »

واتجهت أبصار الجموع الذاهلة الى حيث أشار أرباس ، فرأوا ـ مفزوعين ـ سحابة كبيرة من البخار تنطلق من قمة بركان «فيزوف» على صورة شجرة صنوبر ضخمة : جذعها من الدخان الاسود ، وأغصانها من اللهب والنيران !٠٠ نيران تصاعدت ألسنتها الحمراء المتوهجة تتلوى وتتطاول وهى تلعق عنان السماء فى وحشية الثعابين المفترسة ٠٠!

ثم انتفضت الارض انتفاضة عنيفة ، واهتزت جدران الملعب !٠٠ ومن

بعيد سمع ارتطام المبانى المتساقطة ٠٠ وبدأت السحابة تزحف نحـــو مكان المجتمعين ، ملقية على الارض فى طريقها وابلا من الحمم وشظايا الاحجـــار المشتعلة بالنار !٠٠ ولم يلبث الجبل الملتهب أن قذف من جوفه أعمـــدة من الماء فى درجة الغليان !

◆ وفى غمرة غروب النهار وهبوط الليل الشاحب على هـــذه الصـــورة المخيفة تبخر من أذهان الجماهير المذعورة كل تفكير فى العدالة أو فى معاقبة أرباس ٠٠ وانطلقوا لايلوون على شىء ، هاربين نحو البحر كمن أصـــيبوا بمس من الجنون !

وخلال الظلمة قادت «نيديا» محبوبها جلوكاس ، الذى أفاق بعض الشىء من تأثير الاكسير السام ، ومعه خطيبته ايونى ، نحو الشاطىء ٠٠ فان عماها جعل السير فى العتمة مألوفا لديها وحدها !

وفى الوقت الذى هلك فيه أرباس مع أغلبية النظارة ، تابع هؤلاء الثلاثة فرارهم الحثيث الى البحر ٠٠ حيث انضموا الى فريق من الشـــجعان الذين فضلوا أن يواجهوا أى خطر محتمل ، على البقاء فى تلك الارض الملعونة !

واذ استقر الثلاثة فى السفينة الصغيرة كان الاعياء قد نال من ايونى فنامت على صدر حبيبها ، بينما رقدت نيديا عند قدميه ٠٠ واستمر وابل من الحمم والشظايا المحرقة يتساقط فوق الامواج ، ويتفتت فوق سطح السفينة ، ومنها ماحملته الرياح الى البلاد البعيدة فسقط فوق أرض مصر العـــريقة ، وسوريا ، وعلى رؤوس زنوج أفريقيا !

٨ ــ الفجر الجديد !

◆ ثم بدأت حدة البركان الثائر تخف بالتدريج ، والرياح العاصفة تخلد الى الراحة ، وزبد الامواج الهائجة يموت فى أفق البحر اللازوردى الساجى ٠٠ وأشرق أخيرا فجر جديد ساكن ، ناعم ، جميل ٠٠ بينما كانت غلالات من الضباب الرقيق تقتنص بالتدريج من الافق الشرقى حمرة خده ، بشيرة الصبح الوردى !

وفى قلب الليل الساكن الاخرس نهضت العمياء من رقادها فى رفق ، فانحنت فوق وجه محبوبها جلوكاس وطبعت على فمه قبلة ناعمة !٠٠ ثم بحثت

عن يده ، حتى وجدتها نائمة ـ وياللاسف ـ فى راحة حبيبته ايونى ، فأطلقت المسكينة زفرة من قلب يحترق ، ثم عادت تقبل جبين حبيبها ٠٠ وبشعرها مسحت عنه ندى الليل ، مغمغمة : «فلتباركك الآلهة أيها الاثينى ٠٠ ولتسعدمع حبيبتك !٠٠ وعسى أن تذكر «نيديا» بين الحين والحين ٠٠ ولكن ، واحسرتاه ! ٠٠ انها لم يعد لها نفع على هذه الارض ! »

واستدارت مبتعدة ٠٠ وبعد برهة سمع بحار ، كان نصف نائم على ظهر السفينة ، صوت ارتطام جسم ثقيل بالماء !٠٠ فنظر حواليه ، وخلفه ، وهو يغالب النعاس ٠٠ بينما تابعت السفينة انزلاقها على صدر المياه الضاحكة ٠٠ وخيل للرجل أنه رأى شيئا أبيض يلوح بعيدا ، وقد أخذت تهدهده الامواج !٠٠ لكنه لم يلبث أن اختفى بعد لحظة ، فرد البحار بصره عن البحر واستدار على جنبه الآخر ليستأنف حلمه بوطنه وبيته !

◆ وحين أفاق العاشقان من نومهما كان أول خاطر جال بفكر كل منهما أن يلتفت الى صاحبه ٠٠ والخاطر الثانى أن يتطلع حوله باحثا عن «نيديا» !٠٠ وقد فتشوا كل ركن من أركان السفينة ، ولكن دون أن يعثروا لها على أى أثر !٠٠ فكما عاشت اليونانية العمياء من البداية الى النهاية أشبه بالطيف العابر ٠٠ تبخرت آخر الامر من عالم الاحياء فى هدوء ، دون أن تحدث ضجيجا !

وأدرك الحبيبان مصيرها ، وقد لاذا بالصمت ٠٠ لكنهما وهما يقتربان كلاهما من صاحبه ـ الذى كان فى نظره أغلى قدرا من الدنيا بأسرها ! ـ نسيا فرحتهما بالنجاة فبكيا «أختهما» الراحلة بكاء مرا ٠٠!

إقرأ معى



كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

سواء كنت قد قرأت كتب «ديل كارنيجى» السابقة ، التى أشهرها : (كيف تكسب الاصدقاء وتؤثر فى الناس، دع القلق وابدأ الحياة ، الخطابة والتأثير فى عملائك ، لنكولن المجهول ، حقائق غير معروفة عن أشخاص معروفين ..) أقول سواء كنت قرأت هذه الكتب أو لم تقرأها ، فأنت خليق ان تستمتع بهذا الكتاب من كتب كارنيجى الذى أقدمه لك فى الصفحات التالية ، والذى تقرأ فيه مجموعة منوعة من السير القصيرة الشائقة لعدد من الاعلام البارزين فى شتى ميادين العظمة وذيوع الصيت ، راعى المؤلف فى كل منها أن تتضمن أطرف وابرز ما صادف اولئك المشاهير من نقط التحول فى حياتهم : من الخمول والفشل ، الى النجاح ونباهة الذكر ..!

و« ديل كارنجى » كاتب امريكى بدأ حياته أجيرا يعمل مقابل «بنس» واحد فى الساعة (أى نحو ٤ مليمات) .. فاصبح اليوم يملك ثمانين مليونا من الجنيهات (لا الدولارات !) .. وحين صار غنيا وكثير المشاغل ، اتخذ لنفسه خبيرا يقرأ له جميع الكتب التى تهمه موضوعاتها ويرشده الى الصفحات الشائقة منها كى يستمتع بقراءتها بنفسه . وانت قد لا تكون غنيا ، لكنك حتما كثير المشاغل ، ولاسيما فى هذا العصر المعقد ، ومن ثم فأنا اقدم لك خبيرا عالميا – هو كارنيجى – كى يركز لك فى صفحات أهم ما طالعه فى سير هؤلاء العظماء الذين يكتب عنهم !


FIVE MINUTE
BIOGRAPHIES
by
DALE CARNEGIE
كيف نجحوا
فى الحياة!
الكتاب العالمى
للكاتب الأمريكي ديل كارنيجي

١ ـ روكفيللر : ملك المال

◆ فى حياة جون د . روكفيللر ثلاث عجائب خارقة : أولها أنه جمع من المال ما لعله يعد أضخم ثروة فى تاريخ الانسانية ! وقد بدأ حياته العملية بفلاحة الارض وزراعة البطاطس تحت وهج الشمس المحرقة ، مقابل بنسين (٨ مليمات) فى الساعة !.. وفى تلك الايام لم يكن فى الولايات المتحدة بأسرها نصف « دستة » من الرجال يملك الواحد منهم مائتى ألف جنيه !.. لكن روكفيللر جمع من الثروة ماقدر بين العشرين والاربعين مليونا من الجنيهات !

ومع ذلك فان أول فتاة أحبها رفضت الزواج منه . لماذا ؟ لان أمها أبت الموافقة على تزويجها من رجل مثل جون روكفيللر لايملك أية مؤهلات تبشر بمستقبل مرموق !

والعجيبة الثانية فى حياة روكفيللر أنه تبرع بمبالغ من المال تفوق ماتبرع به أى انسان فى التاريخ !.. فقد بلغ مجموع تبرعاته مائة وخمسين مليون جنيه ، وهذا يعنى أنه تبرع بأكثر من ثلاثة شلنات مقابل كل دقيقة مرت منذ مولد المسيح (أى منذ ١٩٥٢ سنة) ، أومايوازى مائة وخمسين جنيها مقابل كل يوم أشرقت شمسه منذ قاد موسى بنى اسرائيل عبر البحر الاحمر (أى منذ ٣٥٠٠ سنة) !

وثالثة العجائب أن روكفيللر عاش حتى سن السابعة والتسعين .. رغم أنه تلقى آلاف الخطابات التى يهدده كاتبوها بالقتل . (فقد كان من أكثر الرجال المكروهين فى أمريكا !)وقد اقتضى ذلك تعيين حراس مسلحين لحراسته ليل نهار !.. كما أن روكفيللر احتمل الارهاق العصبى والجسمانى المروع الذى اقترن به تأسيس وادارة مشروعاته الضخمة العديدة .. وهو الارهاق الذى قتل ثلاثة من أصحاب الملايين وكبار رجال الاعمال الامريكيين (هم : هاريمان ، ملك السكك الحديدية .. ثم وولورث ، ملك متاجر ألف صنف .. وباك ديوك ، ملك التبغ) فى سن ٦١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، على التوالى !.. لكن روكفيللر جمع أكثر من ثروات هؤلاء الثلاثة مجتمعة ، ومع ذلك فقد عاش الى سن ٩٧ !.. ولو علمت أنه لايبلغ هذه السن غير ثلاثين رجلا من

كل مليون ، ولايبلغها مستمتعابجميع أسنانه الطبيعية سليمة ـ مثل روكفيللر ـ غير واحد بين كل مائة مليون شخص ‥ لاعتبرت تعميره واحتفاظه بصحته الى هذه السن أعجوبة الاعاجيب !

سر طول العمر !

◆ فماذا كان سر طول عمر روكفيللر ؟ لعله قد ورث «الاستعداد» لطول العمر عن والديه وأجداده ‥ لكن الذى قوى من هذا « الاستعداد » طبيعة الرجل الهادئة التى كانت تحميه دائما من الانفعال والعجلة ‥ ثم حرصه على أخذ قسط اضافى من النوم أثناء النهار ٠ من قبيل ذلك أنه حين كان يرأس شركة ستاندارد للبترول ، كان يحتفظ فى غرفة مكتبه بكنبة عريضة يخلد عليها للنعاس لمدة نصف ساعة عند ظهر كل يوم ٠ وقد استمر على هذه العادة حتى نهاية حياته ٠

وقد أصيب روكفيللر فى سن الخامسة والخمسين بانهيار فى صحته ، فكان ذلك من أسعد الاحداث فى تاريخ الطب عامة ‥ فبسبب ذلك الانهيار صار الرجل ينفق الملايين من الجنيهات على البحوث الطبية ٠ وماتزال «مؤسسة روكفيللر » تنفق فى هذا الباب مليونين ونصف مليون من الدولارات كل عام !‥ وحين تفشى وباء الكوليرا الرهيب فى الصين سنة ١٩٣٢ ، كانت كلية الطب التى أنشأتها تلك المؤسسة فى «بيكنج» ، من أعظم الهيئات التى تولت مكافحة الوباء ، برغم عوائق الفقر والجهل السائدين هناك ٠ ومن ناحية أخرى كان أطباء المؤسسة هم الذين اكتشفوا مصل الحمى الصفراء اللعينة ، وهم الذين يشنون الحملات الظافرة فى كل بقاع الارض ضد حمى الملاريا بدورها ‥

◆ وقد ربح جون روكفيللر أول «شلن» فى حياته من مساعدته لامه فى تربية الدواجن ! (وقد ظل حتى آخر حياته يحتفظ بقطيع من الديكة الاصيلة فى ضيعته البالغة مساحتها ثمانية آلاف فدان ٠ احتفظ بها لتذكره بصور طفولته الغابرة !) ‥ وقد كان يدخر كل فلس تعطيه اياه أمه مقابل تعهد دواجنها ، فى فنجان شاى مكسور يحتفظ به فوق رف المدفأة !

أول أجر !

ثم عمل فى مزرعة بأجر قدره شلن ونصف فى اليوم ، فكان يدخر كل أجره حتى جمع مبلغ عشرة جنيهات ، أقرضه يومئذ لمخدومه بفائدة قدرها ٧ فى المائة ٠ واذذاك اكتشف أن جنيهاته العشرة تدر عليه فى العام مايوازى أجره عن عمله الشاق لمدة عشرة أيام !٠٠ « ومنذ اكتشفت هذه الحقيقة اعتزمت أن أجعل المال يكون عبدا لى ، بدلا من أن أكون أنا عبدا للمال ! »

◆ وروكفيللر لم يدلل ابنه ويفسده باغداق المال عليه ، بل كان لايعطيه منه الابمقدار حاجته ، على أن يؤدى فى مقابل ذلك عملا نافعا ٠ من ذلك أنه جعل له نصف بنس (مليمين) عن كل ثغرة فى سياج الضيعة يكتشف حاجتها للاصلاح !٠٠ فلما اكتشف الابن من هذه الثغرات ثلاث عشرة فى يوم واحد ، دفع له أبوه عنها ستة بنسات ونصف ٠ ثم صار يدفع له سبعة بنسات ونصف عن كل ساعة يقضيها فى اصلاح تلك الثغرات ٠٠ كما اعتادت أمه أن تدفع له بنسين ونصف عن كل ساعة يتمرن فيها على عزف الكمان !

ولم يدرس روكفيللر يوما فى جامعة ، وانما التحق عقب دراسته « الثانوية » بمدرسة للتجارة لبضعة أشهر ٠٠ ثم زهد فى الدراسات العلمية وهو فى سن ١٦ ٠ ومع ذلك فقد تبرع لجامعة شيكاغو بهبة قدرها عشرة ملايين جنيه !!

◆ وكان روكفيللر على الدوام مواظبا على الذهاب الى الكنيسة ، وفى شبابه كان يتولى تدريس الدين فى اجتماعات مدارس الاحد ٠ وكان متدينا ، مستقيما ، لم يرقص قط ٠٠ ولا لعب القمار ٠٠ ولا دخل مسرحا ٠٠ ولا دخن سيجارة ٠٠ أوشرب كأسا من الخمر !٠٠ وكان يصلى قبل تناول كل وجبة طعام ، ويقرأ فى الانجيل وكتب الصلوات كل يوم ٠٠

وثروة روكفيللر ماتزال تنمو بمعدل عشرين جنيها كل دقيقة ! وقد كانت كل أمنية الرجل أن يعيش حتى يبلغ المائة ، كى يتم قرنا كاملا ٠٠ وصرح بأنه لو قدر له أن يحتفل بعيد مولده المئوى (الذى كان موعده يوم ٨ يوليو سنة ١٩٣٩) فسوف يقيم الاحتفال المذكور فى الدار التى أنشأها بضيعته ، وسوف يقود بنفسه جوقة الموسيقى لتعزف لحنه المفضل : « عندما كنا ، أنت وأنا ، فى شبابنا يا «ماجى» !

٢ ـ سومرست موم : الطبيب الاديب



◆ هل تعرف ماهى أعظم مسرحية كتبت حتى يومنا هذا ؟ ٠٠ عندما أخـــذت أصوات أبرز النقاد المسرحيين فى نيويورك، لاختيـــار أعظم عشر مسرحيـــات فى جميع العصور ، نالت «هاملت» المكان الاول فى القائمة ٠٠ أما الرواية الثانيـة فى الترتيب فلم تكن «ماكبث» أو «الملك لير » ، أو « تاجر البندقية » ٠٠٠ بل كانت « الامطار » !

نعم : « الامطار » ! تلك الـدراما العاصفة التى تصور صراع غريزة الجنس مع الدين ، وعراكهما بالسن والناب فى البحار الجنوبية ٠٠ وهى التمثيليـــة التى اقتبست عن قصة قصيرة لسومرست موم !

وقد ربح موم من هذه المسرحية أربعين ألف جنيه ٠٠ ومع ذلك فانه لم ينفق فى كتابتها ٠٠ دقيقة واحدة !

واليك القصة (أو بالاحرى قصة القصة) : كان موم قد كتب قصـــة قصيرة أطلق عليها «سادى تومسون» ، ثم لم يعد يفكر فيها بعد ذلك ٠٠ وذات ليلة كان أحد كتاب المسرح ـ ويدعى جون كولتون ـ يبيت فى ضيافته ، فطلب شيئا يقرأه ليستعين به على النعاس ٠ واذ ذاك أعطاه موم مسودة قصـــة «سادى تومسون» !

وأعجب كولتون بالقصة ، وأثارت انفعاله ، فنهض من الفـــراش وجعل يذرع الحجرة ٠٠ وهو يتصور القصة بخياله وقد وضعت فى قالب مسرحى ، فصارت دراما تستحق الخلود !٠٠ وفى الصباح هرع الضيف الى موم صائحا به : «ان القصة التى أعطيتنى اياها لتعيننى على النوم ، قد بددت النوم من عينى ! ٠٠ فقد قضيت الليـــلة بأكملها أفكر فى صـــلاحيتها لان تقتبس منهـــا مسرحية هائلة !»

لكن موم قابل الفكرة بفتور ، قائلاانها لاتستحق عناء الاهتمام بهـا !٠٠ ومع ذلك فقد واصل كولتون جهوده حتى أتم اعداد القصـــة للمسرح ٠ ثم عرضها على عدد من المخرجين ، فرفضوها جميعا ، جازمين بفشلها !٠٠ وأخيرا قبلها واحد منهم ، هو «سام هاريس» ، قبلها خصيصا كى يسند بطولتها الى ممثلة ناشئة تدعى «جين ايجلز» !

ونجحت «جين» فى تمثيل دور البطلة ، بحرارة وقوة جعلتها أعجـوبة الوسط المسرحى فى برودواى !٠٠ واستمرت الرواية تمثـــل فيمتلىء المسرح بأكمله بالنظارة طيلة أربعمائة وخمس عشرة ليلة متوالية !

وقد كتب موم كتبا كثيرة ممتازة ، منها : أغلال الحب ، القمر وسـتة بنسات ، القناع الملون ٠٠ عدا طائفة من المسرحيات الناجحة ٠٠ لكنه « لم يكتب » أشهر مسرحية له على الاطـــلاق !٠٠ فالذى كتبها فى الواقع هــو «كولتون» وليس موم !

◆ ويطلق البعض على «موم» اليوم ألقاب النبوغ والعبقرية ٠٠ لكنه ظـل فاشلا من الناحية المالية طيلة أحد عشر عاما بعد أن بدأ الكتابة ! وهـــذا الكاتب الذى قدر له أن يربح من التأليف مائتى ألف جنيه ، لم يكن يربح طوال العام ـ أثناء الاحد عشر عاما الاولى ـ أكثر من مائة جنيه !

وأحيانا كان يقاسى مرارة الجوع ٠٠ فحاول أن يعثر على «وظيفة » كاتب للمقالات الافتتاحية فى احدى الصحف ، بمرتب ثابت ٠٠ لكنه لم يجـــد من يوظفه !٠٠ « وهكذا اضطررت الى الاستمرار فى كتابة القصص ، بسبب عجزى عن العثور على وظيفة ! »

ولامه أصدقاؤه على حماقته التى تجعله يحترف الكتابة ، وهو الــذى تخرج من كلية الطب ! ونصحوه بهجر القلم ليمارس مهنـة المبضع ٠ لكن جهودهم فشلت فى زحزحته عن تصميمه على كتابة اسمه بأبرز خط على صفحات تاريخ الادب الانجليزى !

وقد قيل يوما : « ان الرجل قد يعمل ويكدح عشر سنوات وهـو نكرة مغمور ، ثم ينال الشهرة فجأة فى خمس دقائق !٠٠» وهذا القول يصدق كل الصدق على سومرست موم ، فقد واتاه الحظ آخر الامر من حيث لايدرى : كان صاحب أحد المسارح قد فوجىء بفشل مسرحية جديدة مثلت على مسرحه ، قبـل أن

بعد المسرحية التى تليها ، فراح يبحث فى عجلة عن مسرحية ولو متوسطة الجودة ، كى يعرضها مؤقتا حتى يعد المسرحية التالية .. وفيماهو يستعرض الروايات المهملة التى تزخر بها أدراج مكتبه ، وقعت فى يده رواية لسومرست موم اسمها «ليدى فردريك» كانت ترقد فى الدرج منذ أكثر من عام .. فرأى أن يسد بها الفراغ الشاغر لبضعة أسابيع

وحدثت المعجزة !.. فقد ظفرت « ليدى فردريك » بنجاح هائل ، وأثارت من تعليقات المعجبين فى لندن بل انجلترا بأسرها مالم تثره مسرحية أخرى منذ عهد روايات أوسكار وايلد !

وللحال تهافت مديرو المسارح جميعا على سومرست موم يلتمسون رواياته .. فنبش صاحبنا أوراقه المهملة وخرج منها بثلاث مسرحيات مثلت فى ثلاثة مسارح مختلفة فى وقت واحد !

وهبط الحظ على العبقرى الذى كان مغمورا ، وسلطت عليه الاضواء فجأة ، فبات موضع حديث الناس جميعا .. وتقاطر عليه الناشرون يغدقون عليه الذهب !.. وأغرقه المجتمع بالدعوات والحفلات . وهكذا ، بعد أحد عشر عاما من النسيان والاهمال ، وجد موم نفسه فجأة موضع التنافس على شرب نخبه فى صالونات « ماى فير » الراقية !

◆ وموم لايكتب حرفا بعد الساعة الواحدة ظهرا ، فهو يقول ان ذهنه يشل طوال ساعات بعد الظهيرة .. ومكانه المختار للكتابة مظلة شبيهة بمظلات الكروم أقامها فى حديقة الفيللا التى يقطنها فى اقليم الريفييرا الفرنسية ، وقد شيدها على الطراز المراكشى !

ومن عادته دائما أن يدخن غليونه ويقرأ الفلسفة لمدة ساعة قبل أن يشرع فى الكتابة . وقد فر من الاحتلال الالمانى أثناء الحرب فأقام فى مزرعة بولاية « كارولينا الجنوبية » بالولايات المتحدة .

ورغم زعمه أنه لايؤمن بالخرافات ، فانه يضع علامة « العين الشريرة » على كعب جميع مؤلفاته ، كما يضعها على أطباق مائدته ، وأدوات مكتبه ، وأوراق اللعب التى يستعملها (الكوتشينة) .. كما أنه حفر العلامة ذاتها على رف مدفأته ، بل وعلى مدخل داره !.. لكنه حين يسأل عما اذا كان يؤمن بهذه المعتقدات ، يبتسم ولايجيب !

٣ ـ وليم راندولف هيرست : ملك الصحافة

(ملحوظة : كتب المؤلف هذا الفصل قبل وفاة هيرست)

◆ هل فكرت يوما ماذا تفعل اذا كنت تملك ٢٠٠ ألف جنيه ؟.. فماذا يكون بالاحرى تفكير «وليم راندولف هيرست» ـ ملك الصحافة الامريكية ـ وهو الرجل الذى يبلغ ايراده «كل شهر» ٢٠٠ ألف جنيه !.. أى ستة آلاف جنيه يوميا !؟.. بل انك حين تفرغ من قراءة هذا الفصل القصير الذى يحدثك عنه سيكون ايراده قد ازداد خلال هذه الدقائق المعدودة نحوعشرين جنيها !

و « هيرست » هو أغنى وأقوى ناشر فى العالم ، فهو يصدر أربعا وعشرين صحيفة يومية وتسع مجلات ، يقرؤها عشرات الملايين من الامريكيين .. ويعمل فيها سبعون ألف موظف ومحرر ، يطلقون جميعا عليه لقب «الرئيس».. ورغم شهرته فى أنحاء أمريكا فان أحدا لايكاد يعرف عنه شيئا يذكر ، فحياته محاطة بالغموض ، ورجل الشارع الامريكى يعرف عن حياة « غاندى » الخاصة أكثر ممايعرف عن حياته !

وأغرب شىء فى شخصية وليم هيرست أنه بقدر مايهاجم ويتحدى فى جرائده ، بقدر ماهو خجول منطو على نفسه !.. ورغم اختلاطه وتعامله مع العظماء والبارزين طيلة نصف قرن ، فانه ينفر أشد النفور من تقديمه الى الغرباء !

وأنت اذا حللت بضيعته الكبرى فى كاليفورنيا فى أى وقت تجد فى ضيافته دائما بين العشرة والستين ضيفا !.. وتعد ضيعته تلك أفخم ضيعة فى العالم الغربى ، ومساحتها ربع مليون فدان ، تمتد مسافة خمسين ميلا بمحاذاة الشاطىء الغربى الامريكى المواجه للمحيط !.. وقد أنشأ فيها على ارتفاع ألفى قدم فوق سطح البحر « مجموعة » من القصور الفاخرة على الطراز المراكشى أطلق عليها «التل السحرى» ، وأنفق على تأثيثها وتزيينها ملايين لا حصر لها من الجنيهات !.. حتى لقد كسا بعض جدرانها بالاقمشة المزركشة التى كانت تزين يوما قصور ملوك فرنسا ، ورشق حوائط أبهائها الرائعة بلوحات من ريشة رسامى العالم الخالدين أمثال : رافاييل ، ورمبرانت ،



وروبنز !.. أما قاعة المائدة التى يتناول فيها ضيوفه طعامهم فيعجز القلم عن وصف التحف التى تزدان بها ، والتى تكاد لاتقدر بثمن !

◆ ويملك هيرست مجموعة من الحيوانات المفترسة تفوق مايحتويه أكبر سيرك عالمى ، وقد أنشأ لها حديقة حيوان خاصة تمرح فيها قطعان الجاموس وحمار الوحش والزرافات و«الكنجارو» ، وتزأر فى جنباتها الاسود والفهود ، وتصدح فوق أشجارها آلاف من الطيور والبلابل المغردة ..

ويرسل هيرست مندوبين عنه الى فرنسا وايطاليا ليشتروا لحسابه أندر القطع الاثرية وتحف الفن ، بل انهم يشترون له القصور الجميلة التى تصادفهم وينقلونها اليه حجرا حجرا ، بعد أن يضعوا على كل حجر رقما .. وبنفس الدقة يميزون كل قطعة خشب أو رخام ، حتى يتيسر لهم تشييد القصر من جديد فى أمريكا بنفس الصورة التى كان عليها فى موضعه !

وقد بلغ من مغالاته فى شراء التحف من كل مكان أنه اضطر الى شراء مخزن ضخم فى نيويورك كى يودع فيه الاشياء التى لايستعملها . ويدير المخزن المذكور عشرون موظفا ، وهو يكلف صاحبه ١٢ ألف جنيه سنويا ، ويحتوى على غرائب لا حصر لها ، من ساعات الحائط الاثرية الى المومياءات المصرية !

◆ وقد كان والد وليم هيرست فلاحا من ولاية « ميسورى » ، اتجه غربا خلال حركة « جنون الذهب » سنة ١٨٤٩ ، فعبر صحراء كاليفورنيا مسافة ألفى ميل الى جوار ثورين وعربة مغطاة ، وخلال الطريق قاتل الهنود الحمر ، وصادف الاهوال .. حتى وصل ، فاغترف نصيبا من الذهب الذى اكتشف ، وجمع ثروة تقدر بالملايين !.. وحين تقدم فى السن صار يحلو له أن يجلس فى ظل شجرة ضخمة معينة من أشجار ضيعته .. وقد حدث منذ بضع سنوات أن لاحظ ابنه وليم ـ ملك الصحافة ـ أن تلك الشجرة تحجب منظر المحيط

عن احدى نوافذه ، فلم يشأ أن يقتلع شجرة كانت لها مكانة خاصة عند أبيه .. ومن ثم أنفق ثمانية آلاف جنيه كى ينقل الشجرة بجذورها وتربتها مسافة لاتزيد على ثلاثين قدما !

وقد بلغ من شغف هيرست (الابن) بحيواناته ، أن عددا من رجال السينما طاروا اليه يوما من هوليوود كى يعقدوا معه مؤتمرا هاما ، فتركهم ينتظرون حتى يسعف « سحلية » فقدت جزءا من ذيلها !.. وفى مناسبة أخرى أرسل يخته الخاص الى أحد الاطباء البيطريين فى منتصف الليل ، ودفع له أجرا قدره مائة جنيه ، كى يعالج خنزيرا من خنازيره المدللة كسرت ساقه !

◆ ورغم بلوغ هيرست الثمانين (يوم كتب المؤلف هذا الفصل) فانه كان مايزال يلعب التنس ، رياضته المفضلة التى يمارسها منذ أربعين عاما !.. وهو مصور فوتوغرافى - هاو - خبير فى فنه ، يلتقط كل عام آلاف الصور .. كما أنه خبير فى استعمال البندقية واصابة الهدف بها ، ولاسيما فى صيد الطيور أثناء انطلاقها فى الجو .. وخبير فى الرقص التوقيعى بالقبقاب ، وفى تقليد حركات الناس وأصواتهم .. وفى سرد القصص .. وذاكرته أشبه بدائرة المعارف : فلو سألته مثلا أن يذكر لك أسماء زوجات الملك هنرى الثامن ، أو رؤساء جمهورية الولايات المتحدة ، لذكرها لك توا دون تلعثم !.. وذات يوم كان الممثل الهزلى شارلى شابلن يزوره مع آخر ، واختلف الزائران بشأن نص آية من آيات التوراة .. فحسم هيرست الخلاف بترديد نص الآية المختلف عليها عن ظهر قلب !

ويحب هيرست أن يحيط نفسه دائما بالشباب ، ولايسمح لاحد بالاشارة الى الموت فى حضوره ! وحين يذهب الى نيويورك تكون تسليته المفضلة للترويح عن نفسه أن يطل من النافذة ، ساعات !

وقد ورث هيرست عن أبيه ستة ملايين من الجنيهات ، كان يستطيع أن يعيش بها معيشة خمول وفراغ .. لكنه بدلا من ذلك عاش بعد ذلك ستين عاما يعمل كل يوم بين ثمانى وخمس عشرة ساعة . وكان يقسم انه لن يتقاعد حتى ينقضى أجله !

وقد بر بقسمه !



٤ ـ شكسبير ٠٠ وكفى !

◆ لم يلق أحد بالا اليه وهو على قيد الحياة ٠٠ بل ان اسمه ظل شبه مجهول خلال المائة عام التالية لوفاته ! ولكن منذ ذلك التاريخ حتى اليوم كتبت عنه آلاف الكتب ، وملايين الكلمات ، وأثار اسمه من التعليقات على أدبه وشخصه أكثر من أى أديب آخر فى تاريخ العالم ٠٠ بل ان آلافا من الناس « يحجون » كل سنة الى المكان الذى ولد فيه !

وقد زرت أنا تلك البقعة ـ ستراتفورد أون أفون ـ عام ١٩٢١ ، وتعمدت أن أذرع الحقول الممتدة منها الى قرية «سلاتارى» القريبة ، سالكا نفس الطريق الذى كلت من السير فيه قدما الشاب الريفى الخجول وليم شكسبير كلما مضى لمقابلة محبوبته «آن هويتلى» !٠٠ ترى هل كان يخطر بباله يومئذ أن اسمه سوف يقرع أسماع الاجيال فى اطار من المجد ؟٠٠ وهل كان فى وسعه أن يصدق أن حبه المذكور ، الجميل ، المثالى ، كان مصيره الى الاسى والحسرة ٠٠ وسنوات من الندم ؟

◆ ذلك أنه مما لاشك فيه أن مأساة حياة شكسبير انما كانت زواجه !٠٠ كان قد أحب آن هويتلى ، لكنه فى الساعات المتأخرة من الليالى المقمرة كان يمتحن الاقدار باللهو مع فتاة أخرى ، هى «آن هاثاواى» !٠٠ فلما علمت آن هاثاواى أن حبيبها قد استخرج رخصة زواج تمهيدا لعقد قرانه على غيرها ، صعقت ٠٠ جنت فزعا ويأسا !٠٠ وفى نوبة يأسها اندفعت تطرق أبواب جيرانها ، لتبكى عارها أمامهم ، وتوضح لهم لماذا ينبغى على شكسبير أن يتزوجها !٠٠ وأحس جيرانها البسطاء الطيبون بالخزى الذى تعانيه التعسة ، واستبشعوا فعلة الشاب ، فمضوا فى اليوم التالى مباشرة الى دار العمدة والجهات المختصة

وشرعوا فى اتخاذ الاجراءات الرسمية لتزويج شكسبير من ضحيته آن هاثاواى !

وكانت العروس تكبر عريسها بثمانية أعوام ، ومنذ البداية كان زواجهما رباطا تعسا • وقد حذر شكسبير فيمابعد قراء رواياته الرجال من أن يتزوجوا نساء يكبرهم فى السن !•• والواقع ان شكسبير لم يقض مع زوجته الا وقتا ضئيلا للغاية ، أما أكثر أيام حياته الزوجية فقد صار يقضيها فى لندن ، بحيث لم يكن يعود الى أسرته الا نحو مرة كل عام !

◆ واليوم تعتبر بلدة « ستراتفورد أون أفون » من أجمل بلدان انجلترا ، بحدائقها الغناء ، وبيوتها الصغيرة الانيقة ، وشوارعها الملتوية الظريفة •• لكنها فى أيام شكسبير كانت قذرة يعمها الفقر وتجتاحها الامراض والاوبئة ، اذلم يكن فيها أنابيب للمجارى • وكانت الخنازير تعيث فى شوارعها الرئيسية فسادا وتلتهم الفضلات • وقد حكم مرة بغرامة على والدشكسبير - الذى كان من موظفى البلدة الرسميين - لانه ألقى خارج بابه كومة من مخلفات (الاسطبل) !

ولو عقدنا مقارنة بين عصر شكسبير وعصرنا الحاضر ، لادركنا أننا نعيش الآن فى أيام رخية هنيئة بالقياس الى تلك الايام •• ففى زمن شكسبير كان نصف سكان البلدة يعيشون على البر والاحسان ، كما كان أكثرهم أميين ، بل ان والد شكسبير ووالدته وأخته وابنته ثم حفيدته •• كانوا جميعا يجهلون مبادىء القراءة والكتابة !

ومن عجائب المفارقات أن الرجل الذى قدرله أن يصبح عنوانا لقوة ومجد الادب الانجليزى ، اضطر الى ترك المدرسة وهو بعد فى الثالثة عشرة ، كى يعمل ويعين أباه الفلاح فى حلب البقر ، ورعاية الماشية ، وصنع الزبد ، ودبغ الجلود !

ثم ضاق بحياة الريف فهاجر الى العاصمة (لندن) ، حيث اشتغل حارسا للجياد والعربات أمام أبواب المسارح •• ثم انتقل الى داخل المسارح حين احترف التمثيل •• فلم تنقض عليه خمس سنوات حتى كان يربح دخلا لابأس به من مهنته الجديدة ، حتى لقد اشترى أسهما فى مسرحين ، وصار يقرض المال مقابل فوائد عالية ! كان ايراده فى تلك الفترة نحو ثلاثمائة جنيه فى السنة (مع ملاحظة أن القوة الشرائية للنقود كانت يومئذ أكبر منها اليوم بنحو اثنى عشر ضعفا !) •• ثم لم يبلغ شكسبير الخامسة والاربعين

حتى كان دخله يتراوح حول الاربعة آلاف من الجنيهات !٠٠ وحين مات كان معدودا من الاغنياء بحسب مقاييس ذلك العصر

ولكن ، كم من المال تحسبه ترك لزوجته فى وصيته ؟ ولا بنس واحد ! لم يترك لها غير سرير نومه المستعمل ٠٠ وحتى هذا لم يفكر فيه الا فى آخر لحظة ، فكتبه حشرا بين السطور بعد أن انتهى من صياغة الوصية !

◆ وبعد وفاته بسبع سنوات نشرت مسرحياته لاول مرة فى صورة كتب ٠٠ وأنت تستطيع اليوم الحصول فى نيويورك على نسخة من تلك الطبعة الاولى مقابل مبلغ مائتين وخمسين ألفا من الجنيهات ! مع أن شكسبير نفسه لم يقبض أجرا على بعض مسرحياته الخالدة ذاتها ـ مثل هملت ، أو مكبث ، أو حلم ليلة صيف ـ أكثر ممايوازى الآن مائة جنيه للواحدة !

وقد راجت فى وقت من الاوقات شائعات ـ وألفت فى ذلك عشرات من الكتب ـ تزعم أن كاتب مسرحيات شكسبير هو سير «فرنسيس بيكون» وليس شكسبير ، وان هذا الاسم الاخير ماهو الاسم وهمى مستعار اتخذه بيكون ليستتر وراءه ، خجلا من أن يكتب نبيل مثله فى الحب ، ويمثل مايكتب على المسارح !٠٠ وبالتالى تزعم تلك الشائعات أن شكسبير شخص خيالى لم يوجد أصلا !٠٠ لكننى سألت فى ذلك الباحث المحقق « دكتور س ١٠ ٠ تانبناوم » ، الذى ألف عدة كتب عن شكسبير ، فقال ان هناك أدلة قاطعة تؤكد أن مؤلف مسرحيات شكسبير هو «وليم شكسبير» الذى ولد وعاش زمنا فى بلدة «ستراتفورد أون أفون » !

وقد طالما وقفت أمام قبر شكسبير ، أردد تلك العبارات المفزعة التى كتبها هو على قبر أحد أبطال رواياته : « أيها المار ترفق فلاتحفر هذا التراب٠٠ فلتباركك السماء اذا تجنبت المساس بهذه الاحجار ، ولتلعنك اذا جرؤت على تحريك عظامى ! »

وعندما مات شكسبير ، دفن فى كنيسة بلدته الصغيرة « ستراتفورد » ، أمام منبر الواعظ ٠٠ فهل أعطوه مكان الصدارة والشرف ذاك تقديرا لعبقريته ؟ كلا ، بل ان الشاعر الذى صار فيمابعد قطب الادب الانجليزى وعماده الاول ، انما دفن فى تلك الكنيسة لانه كان يقرض الاموال لاهل بلدته ٠٠ ولولم يفعل ذلك مبتكر شخصية المرابى شايلوك ـ تاجر البندقية ـ لكانت عظامه اليوم ضائعة المعالم فى قبر لايعرف أحد مكانه !

٥ ـ زهاروف : تاجر الموت !

◆ هناك رجال ، مثل روكفيللر ، ينجحون فى حياتهم ويجمعون الثروات عن طريق التزام مبادىء الشرف والاستقامة ، والسعى الى الخير .. لكن من الناس من يجمع المال ـ ولاأقول ينجح فى الحياة ، فبئس هذا النجاح ! ـ عن طريق تجاهل كل مبادىء الشرف أوالاستقامة ، والسعى الى الشر !

ومن هؤلاء النفر الاخير : بازيل زهاروف !

وقد كان زهاروف من أغنى البشر الذين دبوا على هذه الارض ، لكنه كان أيضا من أكثرهم غموضا ، واستحقاقا للعنات التى صار هدفا لها ـ حتى لقد رصدت فى سنة ١٩٢٦ جائزة قدرها عشرون ألف جنيه لاى انسان يتمكن من اغتياله !.. وألفت عنه عشرات الكتب ، باعتباره « ظاهرة » من أعجب ظواهر الريبة فى المحيط الدولى ، والبغضاء من أهل وطنه !

وقد استقبل زهاروف الحياة فى أسوأ حال من الفقر المدقع .. لكنه ودعها وهو يملك ثروة من أضخم الثروات التى جمعت على الارض !.. وقد جمعها عن طريق بيع أسلحة الموت من المدافع والبنادق الرشاشة والمفرقعات !.. ولعل من أصدق وأبلغ ماقيل فيه هذه العبارة التىصدربها أحدهم كتابه الذىألفه عن زهاروف : « ان قبور مليون رجل سوف تكون ضريحه ، وأناتهم ساعة النزع سوف تكون رثاءه ! »

◆ كان زهاروف فى الثامنة والعشرين حين حصل على وظيفة سمسار لاحد تجار الاسلحة والذخائر ، مقابل مرتب قدره عشرون جنيها ، تضاف اليها العمولة . وكان يعيش وقتئذ فى بلاد اليونان ، وأدرك أن السبيل الوحيد لبيع السلاح هو خلق الحاجة اليه .. فهداه تفكيره الشيطانى الى أن يعمد الى اثارة مخاوف اليونانيين من الدول المجاورة لهم . قال لهم انهم محاطون بأعداء متعطشين للدماء ، وانهم يجب أن يشتروا الاسلحة للدفاع والذود عن وطن آبائهم .. فاجتاحت البلاد موجة من الحماسة والانفعال ، تألفت فى ظلها العصابات الوطنية .. وخفقت الاعلام .. واستثار الخطباء حمية الجماهير وحثوا الشعب على التأهب للقتال .. فضاعفت اليونان جيشها وزودته بغواصة (من أول الغواصات التى بنيت للحرب !) ، واشترت ذلك كله من .. زهاروف !



واذ جمع زهاروف ثروة من العمولة التى تقاضاها نظير الكميات الهائلة التى باعها من الاسلحة ، شد رحاله الى تركيا ، حيث هرع من فوره الى المسئولين الاتراك يقول لهم : «أنظروا ما يفعله اليونانيون .. انهم يعدون العدة كى يشنوا عليكم حربا يمسحون بها بلادكم من خريطة العالم !» .. فاشترى الاتراك بدل الغواصة غواصتين ، وهكذا بدأ سباق التسليح الرهيب بين الدولتين ! .. وبذلك احترف زهاروف هذه المهنة التى قدر لها أن تدر عليه أكثر من ستين مليونا من الجنيهات .. المخضبة بالدم !

وعاش زهاروف أكثر من نصف قرن يلهب بدسائسه مخاوف الدول ، ويسلح الجيوش ، ويساهم فى اشعال نيران الحروب المدمرة ! .. وخلال الحرب الروسية اليابانية باع أسلحته لكلا الفريقين ! .. وخلال الحرب الامريكية الاسبانية باع الرصاص الذى قتل الجنود الامريكيين .. وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى كان يملك أسهما فى مصانع الذخيرة فى كل من ألمانيا ، وانجلترا ، وايطاليا ، وفرنسا ! وهكذا تضخمت ثروته بصورة تفوق كل خيال ..

وطيلة نصف قرن ، دأب على التسلل بين أروقة وزارات الحربية فى مختلف الدول الاوربية بنعومة الحية وهدوء القطة ، مغلفا حركاته بنطاق صارم من التكتم والسرية ! .. وكان يستخدم رجلين يشبهانه فى الشكل والصورة الى درجة عجيبة ، كان عملهما الوحيد أن يظهر الواحد منهما فى المحافل العامة ، فتنشر الصحف أن زهاروف موجود فى برلين أو مونت كارلو ، فى الوقت الذى يكون فيه زهاروف الحقيقى فى عاصمة أخرى ، يباشر احدى مؤامراته السرية !

وكان يكره أن تلتقط له صور أو تؤخذ منه أحاديث .. ولم يحدث أن أوضح للصحف موضوعا يثور حوله الجدل ويتصل بشخصه ، ولا دفع عن نفسه

يوما تهمة أوهاجم خصما أوألقى بالا الى الحملات التى كانت تشــن عليه بين الحين والآخر !

◆ وقد أحب زهاروف ـ وكان فى السادسة والعشرين ، وسيما ، أنيقا ، خلابا ـ فتاة حسناء فى السابعة عشرة ، التقى بها فى القطار أثناء رحـلة له من أثينا الى باريس ٠ وعرض عليها أن يتزوجا فورا بمجرد وصولهما ٠٠ لكن الفتاة كانت لسوء الحظ متزوجة بالفعل من نبيل اسبانى نصف مجنون ، وفى عمر أبيها !٠٠ وكان الطلاق مستحيلا بحكم مذهبها الكاثوليكى ، فلبث زهاروف ينتظر موت زوجها ، وهو يهدهد حبها فى قلبه ، زهاء نصف قرن !٠٠ وأخيرا مات زوجها فى مصحة للامراض العقلية سنة ١٩٢٣ ، فتزوجت فى العام التالى من زهاروف : وكانت قد بلغت الخامسة والســتين ، وأشرف هو على الرابعـة والسبعين !٠٠ لكنها لم تلبث أن ماتت بعد عام ونصف عام ، بعد أن عاشت عشيقة له ثمانية وأربعين عاما ، وزوجة له ثمانية عشر شهرا !

◆ وقد عاش زهاروف يقضى أشهر الصيف فى قصر رائع بالقرب من باريس ، وهو الذى ولد فى كوخ من الطين لانوافذ له ، فى احدى قرى تركيا ، وقضى سنوات طفولته ينام على الارض القذرة بعد أن يلف قدميه بالخرق البالية كى يكفل لها بعض الدفء ! وكم من ليال أوى فيها الى « فراشه » ذاك ، طاويا بطنه على الفراغ والجوع الموجعين !

ولم يتردد زهاروف على المدارس غير خمس سنوات ، لكنه فيما بعــد صار يتكلم بأربع عشرة لغة ٠٠ ثم خلعت عليه جامعة أكسفورد لقب الدكتوراه الفخرية فى القانون المدنى !٠٠ ومن عجائب المفارقات أنه فى المرة الاولى التى وطأت فيها قدماه مدينة لندن ألقى فى السجن بتهمة السرقة ٠٠ وبعــد ثلاثين سنة من ذلك التاريخ أنعم عليه ملك انجلترا بلقب «سير» !

وقد حدث ذات يوم من صيف سنة ١٩٠٩ أن كان « رجل أوربا الغامض» ـ كما أطلق على زهاروف ـ يسير فى حديقة الحيوان الكبرى بباريس ، فأزعجه أن يلاحظ أن القردة جائعة ، وان أشهر أسد فى الحديقة يشكو الروماتيزم ٠٠ فقابل زهاروف مدير الحديقة ونهره بشدة على اهماله ، واذ ذاك أجابه هــذا ـ وهو لايدرى أنه يخاطب شخصا من أغنى أغنياء العالم ـ بأنه لايملك النصف

مليون فرنك اللازمة له كى يعتنى بالحيوانات على الوجه الاكمل !٠٠ فماكان من الرجل الذى قتلت أسلحته أكثر من مليون جندى ، الآن أخرج دفتر شيكاته وحرر للمدير شيكا بعشرين ألف جنيه ثم سلمه اليه كى ينفق المبلـــغ على حيوانات الحديقة !٠٠ لكن المدير ، الذى عجز عن قراءة توقيع زهاروف السريع وبالتالى عن معرفة شخصيته ، ظن أن محدثه يمزح ٠٠ فوضع الشيك جانبا وأهمل أمره ٠ وبعد شهور عرضه مصادفة على صديق له ، وكم كانت دهشته عندما تبين هذا أن محرر الشيك هو أغنى رجل فى فرنسا !

◆ وحين مات زهاروف كان فى الخامسة والثمانين ، وكان قد عاش أيامه الاخيرة وحيدا ، مريضا ، يجلس على مقعد ذى عجلات تجره به خادمتـــه ، وقد تركزت هوايته الوحيدة الباقية فى تأمل الورود الجميلة التى تزخر بها حديقته ٠٠

وكان قد حرص طيلة حياته على تسجيل مذكراته وخواطره اليومية فى مفكرات ، بلغ مجموعها فى نهاية نصف قرن ثلاثا وخمسين مفكرة ٠٠ لكنه أمر باحراق هذه « السجلات السرية » جميعا بمجرد وفاته !

ومن يدرى أية أسرار كانت تخفيها مفكرات تاجر الموت ؟

(اقرأ فى العدد القادم سيرا شائقة لشخصيات عالمية أخرى تحدث عنها «كارنيجى» فى نفس الكتاب)

محتويات الكتاب


المرطب
الممتع
بيبسي كولا
لذيذة
فوارة
معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش.م.م
SPMO